جامعة دمشق
كلية الآداب
قسـم التايخ

تشكيلات السراي الهمايوني العثماني

OsmanLI Hümayun saray TeşkilatI

1324-1908م

بحث أعُدّ لينل درجة الدكتوراه في التاريخ العثماني

إشراف

أ.د. محمود عامر

إعداد

الطالبة نورة الخلف العلي

دمشق 2014/2015م

إهـــداء

- إلى والدي الحبيب الذي ضحى بالغالي لأجلنا رحمه الله
- إلى والدتي العزيزة الغالية الصابرة على الأحزان.
- إلى أخوتي الذين وقفوا إلى جانبي في الأزمات.
- إلى زوجي الذي تحملّ أسئلتي ووقف إلى جانبي في كل الأزمات.
- إلى فلذة كبدي ومستقبلي المستمر أولادي حفظكم الله.

بتواضع جم ورضا صادق إليهم أنحني

نـــورة

مقدمة

لا تستقر المجتمعات إلا من خلال حضارة عمرانية تستوعب أفراد المجتمع كاملاً، وكذلك الحال فإن الحكومات أو الدول والدويلات لا تكتسب الشرعية إلا من خلال إقامة قصر لها، أو مقر دائم.

لقد عرفت قبيلة قايي (الحجر) الخيمة منذ وجودها في أواسط آسيا حتى احتلالها لمدينة بورصه، واتخاذها عاصمة لها سنة 1324م، وقد تزامن إتخاذ بورصه عاصمة مع بناء قصر خاص بإدارتهم، وقد دهشوا منذ المراحل الأولى بالاستقرار في بناء خاص له حرسه وله بوابوه وله رئيس تشريفات، وبتعبير آخر لقد بدأ العثمانيون بالتدريج بترتيب شروط القصر، ويبدو أنهم قلدوا البيزنطيين في إقامة سرايات دون أن يطلق على قصر الغازي أورخان سنة 1324–1359م، وكذلك خلفه مراد الأول سنة 1359–1389م مصطلح سراي القصر، لأنهما اتخذا لقب غازي (المجاهد)، ولم تكن الظروف مهيأة للسلطان يلدرم بايزيد الأول سنة 1389–1402م لبناء سراي خاص به.

بعد موت السلطان يلدرم بايزيد الأول تشتت الدولة العثمانية الناشئة، وتقاذفتها الأهواء الشخصية بين أبناء بايزيد، ولولا شجاعة الأمير محمد الأول سنة 1413–1421م، وتلقبه بألقاب شرفية لم ينلها سوى النبي نوح عليه السلام (منقذ الأمة، نوح السفينة) وبشجاعته عادت دولة الخيمة (القبيلة) إلى الوجود كدولة ناشئة حيث وضع أسس نشأتها واستمراريتها، وألغى محمد الأول الزواج بالحرائر، وأصبح القصر ضرورة حتمية لاستراحة المقاتل العثماني، لكن بناء القصور التي مرَّ بها الأتراك العثمانيون بدءاً من مدن بورصه وإذنيق وإزمير كانت أشبه باستراحة فارس، لأن مهمتها ومهمة أنصاره لن تكون قد تحققت وظلت في حالة اضطراب وقلق مستمرين إلى أن تمكن الفاتح من دك عرش البيزنطينيين 1453م، واستولى على ملكها وعرشها، وبفضله تحول العثمانيون من أمراء حدود إلى أمراء جهاد، وأصبح من حقه بناء سراي تاريخي لخلفائه، لأنه أدرك أن مناطقه جميعها، أصبحت طوع بنانه، وليس من قوة في العالم قادرة

على الوصول إلى عاصمة ملكه، بل فرض الخوف في مستقبل أعدائه، ولهذا تسارعت دول بأمرائها وملوكها زمنية كانت أم دينية لتقديم الولاء والطاعة، بعضها أضاف لطاعته ضريبة مالية تحاشياً من قيام الفاتح (محمد الثاني) سنة 1451–1481م بمهاجمته، وقد اقتصر الأمر على الدول الأوروبية وخاصة الشرقية منها.

ظل الفاتح في حالة حرب مع أعدائه حتى وفاته حيث دس السم له سنة 1481م، وكان الفاتح قد أقر قانون نامه، رسم من خلاله الخطوط الرئيسة لدولته المرتقبة، وقد تجاوز في قانونه مسائل أخلاقية دفع أحفاده ثمنها بالجملة، إضافة إلى أنه جسّد المسألة اللاإنسانية في الدولة العثمانية، حين أقر بموافقة العلماء على أحقية قتل السلطان الحاكم لأخوته ، تخوفاً من صراع فيما بينهم على العرش.

ما أن دفن الفاتح (محمد الثاني) حتى دار صراع بين ولديه (جام وبايزيد) على العرش، حيث طالب جام باقتسام السلطة والبلاد فيما بينهما، غير أن بايزيد الثاني رفض طلبه، فحاربه بمؤازرة العساكر الإنكشارية، فاضطر جام للهرب إلى مدينة فارس ومنها إلى المماليك وصولاً إلى بابا روما الذي أُرغم على دس السم له مقابل مبالغ مالية، لكي لا يتخذه الملك الفرنسي الذي هاجم إيطاليا وسيلة أو حجة لاستعادة القسطنطينية من الأتراك العثمانيين الذين انتزعوها من العالم المسيحي، ومن جهة أخرى ليزيد من يأس الملك الفرنسي شارل الثامن، وليقتل طموحه وتذرعه بتحرير القسطنطينية من جهة أخرى.

ما يمكن قوله: بالنسبة للغازي أورخان حتى محمد الفاتح كانت القصور التي بُنيت سابقاً قصور حربية أكثر مما هي قصور استراحة واستجمام، ورغم ذلك كُلفت بمهمة تنظيم الدولة الناشئة وأمام عيون السلطان الحاكم، وفيما بعد جُمّلت تلك القصور وزينت بحدائق ومناظر داخلية خلابة لتغدوا استراحة للسلطان الحاكم من عناء تعب، وقضى بعضهم فيها ليالي حافلة بمباهج الفرح والسرور.

في الوقت نفسه دُربت عناصر الإنكشارية تحت مسمى، (ايج اوغلانلر İç oğlanlar)، وهناك قصور بنيت للنساء اللواتي عاشرهن السلطان الحاكم ولم

ينجبن ذكوراً سميت قصر الدموع، وهناك قصور سجن بها سلاطين مثل قصر چراغان الذي سُجن به السلطان عبد العزيز سنة 1861-1875م.

تتضاءل عظمة القصور التي بنيت منذ قيام الدولة العثمانية سنة 1299م وحتى انهيارها وزوالها سنة 1924م، أمام ثلاثة قصور في مقدمتها قصر طوب قابي Topkapı saray ، وثانيهما قصر دولمه بغچه Dolma bahçe saray الحديقة المملؤة ، وثالثهما قصر يلدز Yıldız saray قصر النجوم، وقد بُنيت هذه القصور كمفخرة تراثية، أما القصور الأخرى التي لم تحظَ بأهمية خاصة تتجاوز رحلة صيفية لسلطان أو خلوة سياسية وما شابهها.

أما إشكاليات البحث فهي، ما سر هذه القصور؟ ما القوى البشرية التي تعيش داخل القصر هذا أو ذاك،؟ لماذا قُسم إلى حرملك وسلاملك ؟ ما هي مهام الحاشية الداخلية للسلطان الحكم؟ أين كانت هانم سلطان تسكن في القصر الرئيس؟ أم هناك قصر خاص بها وبأمثالها من النساء اللواتي أنجبن غلماناً ذكوراً؟ من أين تأتي واردات القصر؟ هل هي ضريبة تفرض على الولايات؟ أو تبرعات تقدمها الولايات كدلالة على الطاعة والولاء؟ لماذا أطلقت المصادر العثمانية على قصر طوب قابي قصر الظلمات؟ أو بتعبير آخر مقر ظلم، هل لأن رؤوس كثيرة قُطعت بحق أو بدون حق؟

أليست هذه التساؤلات مشكلات معقدة، قلما يعرفها دارس وحتى باحث في التاريخ العثماني.

أليس هذا إنجاز علمي متميز، إذا وفق البحث والباحثة في إيضاح نقاط سرية اختص القصر بها، وليسامحني القراء على أن الأسرار اختصت بالنساء فهل سيتجاوز القراء لبحث سقطاته فيما يتعلق بانغماس بعض السلاطين في أحضان الغواني، وبعضهم عقد معاهدات لصالح أوروبة وبعضهم تخلى عن عنفوانه حيال امرأة أرغمته على عقد معاهدات إذعان لصالح بلادها، ولماذا لم يتزوج جميع السلاطين بامرأة مسلمة عربية – تركية إن وجدت – فارسية؟ البعض يقول إن الأتراك من ذوي البشرة السمراء كالعرب، تهافتوا على المرأة البيضاء والشقراء، وهل هذه الميزة تفتقر لها الفتيات المسلمات ، ولماذا رفض السلاطين العثمانيون

بعد معركة أنقرة سنة 1402م الزواج بالحرائر، ودأبوا على الزواج بالمستوردات الأوروبيات؟

أليست هذه مشكلات معقدة يصعب على أي قارئ للتاريخ العثماني عن إيضاحها بشكل علمي ، والبحث سعى جاهداً بصعوبة إلى إيضاح واقع السراي الهمايوني ومهامه ودوره كمؤسسة إدارية عليا، وقد اعتمد الوثائق التي جمعت قبل المباشرة بمرحة الإعداد.

أما المنهج الذي اعتمد فهو المنهج الاستقرائي القائم على قراءة ظروف إنشاء السراي الهمايونية العثمانية، والدور الذي أداه سراي طوب قابي الذي أنشئ بعدما تحولت الدولة العثمانية إلى إمبراطورية، ومن ثم عُرضت هذه القراءة على المنهج المقارن لتحديد الصواب في البحث ومدى اقترابه من واقع الأحداث.

لم يتم العثور على بحث باللغة العربية أو بالعثمانية بهذا العنوان ما عدا ما أعدّه المؤرخ العثماني إسماعيل حقي اوزون تشارشلي بعنوان الدولة العثمانية وتشكيلات قصورها، وإذا تم اقتباس العنوان من المرجع العثماني، ولكن بفترات زمنية مختلفة، غير أن البحث مهتم بتاريخ الدولة العثمانية، فقامت الباحثة باللجوء إلى المصادر العثمانية ومراجعها واستخلص بصعوبة شديدة أبرز نقاط تشكيلات السراي الهمايوني .

إن عدداً من المؤرخين الأتراك العثمانيين، أشاروا إلى أهمية السراي الهمايوني مثل : عطا باشا، والسلانيكي، وعلي نعيما، وأكمل الدين إحسان أوغلو، وما تم العثور عليه في مكتبة الأستاذ المشرف، وقد استغرق هذا العمل جهداً مضنياً وتكاليف مادية باهظة بالرغم من الظروف السيئة والمدمرة التي يتعرض لها الوطن الحبيب، ولن تبالغ الباحثة إذا قدر الجهد والسفر ما بين محافظة حلب ومدينة دمشق والمخاطر التي تعرضت لها الباحثة، فضلاً عن ضيق الوقت والحاجة إلى الإنجاز السريع، لكن الإنجاز كان دقيقاً ومتأنياً رغم السرعة في سباق الزمن، وقد أسهم الأستاذ المشرف في اختصاره ورفع عن كاهل الباحثة عبء المصطلحات وكيفية كتابتها باللغة التركية الحديثة بناءً على إصراره وضرورة كتابتها ليكتمل البحث.

لا بد من القول بإن البحث ينفرد بما أوضحه عن السراي الهمايوني، ولإيضاح الواقع للقارئ، فإن تشكيلات السراي الهمايوني تتجسد بسراي طوب قابي الذي أنشأه السلطان محمد الفاتح، وقد اضطر خلفاؤه إلى اعتماد منهج طوب قابي لاسيما في ترميم القصور القديمة وتحديثها وكذلك على السراي (القصور) الجديدة من أبرزها سراي دولمه بغچه الذي بناه السلطان عبد المجيد وسراي يلدز الذي بناه السلطان عبد الحميد الثاني.

لقد قدم البحث معلومات جيدة اعترف بها الأستاذ المشرف نفسه حيث أشاد بما أنجز، وبالطبع فإن البحث اكتمل بفضل الأستاذ المشرف الذي لم يتذمر يوماً من تساؤلات الباحث والبحث معاً.

قسم البحث إلى : مقدمة وتمهيد تاريخي وأربعة فصول وخاتمة، ففي المقدمة استعرض قيام الدولة ونشأتها ودور السلاطين الأوائل 1324-1413م، وأما في تناول التمهيد، فعرض بسرعة قيام الدولة ونشأتها، والمراحل التي مرت بها، كما عرج على دراسة الإنكشارية ونشأتها وأسباب ضعفها وصولاً للقضاء عليها سنة 1826م بعدما أدت خدمة لمدة 464 سنة، حيث تنكر لها العثمانيون وتناسوا، أما الفصل الأول بعنوان سراي السلاطين العثمانيين سنة 1234-1413م، ففي هذه المرحلة التي تسمى فترة النشأة والتوسع بينت ثلاثة قصور (سراي Saray) شكلت بداية تعلق العثمانيين بالقصور (السراي)، علماً بأن سراي بورصه وسراي أدرنه وسراي أستاورز، لم تكن أكثر من سراي إدارية عسكرية بامتياز، لأن الدولة كانت في حالة حرب مع جيرانها، فضلاً على أن أهدافها وعوامل قيامها لم تستقر، وكان هذه السراي (القصور) أشبه بغرفة عمليات يتجالس فيها قائد القبيلة مع محاربيه ويتدارسون الإنجازات والصعوبات ويلجؤون إلى إيجاد تحالفات مع جيرانهم عن طريق التبادل والزواج وأساليب أخرى حتمت على سلاطين تلك المرحلة إتباعها.

وبعدها يتجه البحث إلى دراسة سراي مرحلة الاستيلاء والفتوحات بدءاً من سنة 1413 وحتى 1595م، حيث يكتفي هؤلاء السلاطين بما بناه الأوائل من آبائهم وأجدادهم، ويكتفون بما ضمه سراي طوب قابي Top kapı الذي بناه

الفاتح كما ذكر سابقاً. وقد عدّ سراي طوب قابي النموذج الرئيس لسلاطين بني عثمان. وبوفاة سليمان القانوني تحول السراي الهمايوني إلى مقبرة للسلاطين الذين غرقوا في مستنقعه ودهاليزه لكثرة الرفاهية والنساء اللواتي عشن فيه، وبناء على ذلك، اعتمد البحث على دراسة السرايا الهمايونية دراسة دقيقة وألقى الضوء على طرازه وهيكليته الإدارية، وغدت السرايات الأخرى أشبه بمتنفس للسلاطين الضعاف الذين وجدوا في سراي بورصه وأدرنه مكاناً مريحاً يمارسون فيها ما يحلو لهم من ملذات الغنج والدلال. علماً بأن سرايا الاصطياف والترويح عن النفس لم تؤدِ دوراً في تربية الغلمان أو أبناء السلاطين، لكن لا يعني هذا بأن تلك السراي لم يكن غرفة ولا قسماً واحداً ولا حرساً، وإنما المئات بل الآلاف منهم من سهر على راحة السلطان الحاكم وبعضهم عمل كمراقب على الحراس أو لتربية الإنكشارية، مثل سراي إبراهيم باشا وسراي غلطه وسراي چراعان وسراي البكلربكي (البيلربي)، أما السراي المهمة بعد سراي الطوب قابي فهي سراي دولمه بغچه، وسراي يلدز، وقد قلد بناته طراز سراي الطوب قابي وطبقوه على سراياهم ، ولهذا فإن قراءة تشكيلات السراي الهمايوني قرأها الباحث من سراي الطوب قابي، وبعد ذلك خلص الفصل الأول إلى استنتاج قُرئ فيه واقع السراي ورؤية البحث في أحداث هذه السرايا وخفاياها.

الفصل الثاني، السراي الهمايوني أقسامه ونظامه[1]. وقد تناول البحث أقسام السراي الهمايوني وأبرز الأبواب الرئيسة التي قُسّم إليها السراي، ثم تطرق إلى نظام السراي الهمايوني، وأشار إلى مصطلح السراي العامرة، وسراي الطوب قابي، ووضح أن السراي العامرة سميت هكذا لجلوس السلطان فيها، وهي غير سراي الطوب قابي التي يعمل فيها خدم وحشم وخصيان، والفرق بين المصطلحين هو عدم مساواة السلطان (التابو) أي ممنوع اللمس بحاشيته، فهو لا يتساوى معهم حتى ولو كانوا مجاورين له، ثم وضحّ البحث الدوائرالإدارية المقامة في سراي

(1) إن أقسام السراي الهمايوني قرئت من خلال سراي الطوب قابي، وما يدرس عن سراي الطوب قابي، كأن البحث يدرس السراي الهمايوني في دولمه بغچه وسراي يلدز، لأن العثمانيين اعتمدوا وحدانية القرار (يمكن مراجعة الملاحق).

الطوب قابي، وأشار إلى أبرز هذه الدوائر وتوسع إلى حد ما في إيضاحها، لأن التعرض إلى أبرز نقاط تلك الدائرة هي أقصر الطرق إلى استكمال تشكيلات السراي الهمايوني.

ثم أشار إلى مهام الأندرون Enderun القسم الداخلي للسراي وإلى البيرون Birun القسم الخارجي وما بينهما سمته المصادر العثمانية المابين Almabeyn أو الوسطى (اورطه)، وقد ارتبطت هذه المهام بالعاملين بهم وسماها البحث (الحاشية) تقليداً وليس ابتكاراً، فواقعها حاشية ولا يليق بها غير هذا المصطلح، فأرغم البحث على اعتماده، ثم خلص الفصل الثاني باستنتاج عام لأبرز نقاط هذا الفصل الذي يعدّ بحق أساس البحث وجوهره.

الفصل الثالث، فهو المراسيم والفرمانات الهمايونية، مثل المراسيم التي أقرت جلوس السلطان وأختامه وقيافته ودخوله وخروجه، بتعبير آخر، أن السلطان يتحرك بناءً على توجيهات مسبقة لا يستطيع الخروج عنها ولا تجاوزها، لكنه يتلكأ في تنفيذ ما خفي منها، وهنا تكمن مصيبة السلاطين وخاصة سلاطين الضعف والترهل ومن خلفهم، ثم أدرج البحث الفرمانات السلطانية والأحكام والأوامر، ثم انتقل إلى دراسة ديوان السراي الهمايوني والعاملين به من أعضاء وأقلام سواء أساسية أو أقلام تابعة ليخلص الفصل الثالث إلى استنتاج له.

الفصل الرابع، تناول الهيئة العلمية والقلمية في السراي الهمايوني، مثل قضاة العسكر، وشيخ الإسلام، ونقيب الأشراف، أما العلمية فتضمن رئيس الكتاب وكتبة السراي، والدفاتر والأوراق ومحتويات بعضها، كما عرّج الفصل الرابع إلى النظام المالي للسراي الهمايوني ومن تولي رئيس المؤسسة المالية في السراي؟ ومن ساعده، وما الميزانيات وما الخزائن؟ علماً بأن الفصل الثاني أشار بطرف خفي إلى الخزينة ووضح أقسامها، لكنه لم يوضح مصادر دخلها، وهذا مرتبط بالفصل الرابع الذي يعالج جزءاً منه النظام المالي.

إنها مسيرة علمية شاقة ومفرحة، شاقة بالجهد والتعب والإرباك الذي ابتلى به الأستاذ المشرف، ومفرحة لأن المعلومات التي انتقاها البحث ضمن مراحله لا يعادلها أية قراءة عن الدولة العثمانية، وهذا ما قاله الأستاذ المشرف الذي يختزن

معلومات لا حدود لها، فكان يعلمني عن ناحية ما، وعندما أقرأها أقول إن الأستاذ المشرف قالها لي ورغم معرفته التي لا أبالغ فيها أبداً التي لا حـــدود ولا قــدرة للبحث على استيعابها.

بعد هذا يحق لي القول أو أقل ما يقال لولاه لما أنجزت الباحثة بحثها، ولما استطاعت أن تنظمه هذا التنظيم ولما تمكنت من ضبط حدوده وأبعاده، فقد تــرجم لي ووضح المصطلحات دون ضجر أو ملل ومن بدون أن يتقبل منـــي الشــكر، حيث قال لا تشكريني فهذا واجبي وعليك أن تساعدي الطلاب مستقبلاً بإخلاص.

أشكره جزيل الشكر واعترف بفضله وأتمنى له طول العمر وحسن الختــام كما أتقدم إلى كل من ساعدني وقدم لي خدمة صغيرة أم كبيرة.

وإلى الهيئة التدريسية في قسم التاريخ المعروف بأســاتذته الكبــار الــذين يتجاوزون أخطاء طلابهم ويسامحون بلا حدود إليهم أنحني بأدب جم.

والله ولي النصر

1ـ تمهيد تاريخي:

يصعب تحديد واقع الدولة العثمانية التي خرجت من رحم القبيلة خلال المراحل الأولى لقيامها، ولاسيما فترة دخولها الأناضول النصف الثاني من القرن الثالث عشر، لأن المصادر آنذاك اختلفت في توضيح مناطق قدوم القبيلة التي قادها سليمان شاه، وإذا كانت قبيلة سليمان شاه قد قدمت من أواسط آسيا، وأقامت في مدينة أخلاط، فقد هجرتها، لأن التتر اقتربوا منها، فآثر سليمان شاه الرحيل إلى أذربيجان[1].

لقد أشارت معظم المصادر إلى أن سليمان شاه أراد العودة إلى وطنه أواسط آسيا، فعبر نهر الفرات، لكنه غرق فيه، فأقيم له مزار بالقرب من قلعة جعبر، وهناك اختلف أولاده الأربع، وانقسمت القبيلة إلى قسمين، قسم عاد إلى أواسط آسيا برئاسة سنقورتكين وكون طوغدي، أما القسم الآخر الذي ترأسه أرطغرل ودندان فقد آثر المغامرة، وتحركا بمن معهما باتجاه الأناضول، وبدخولهما ساقتهما الأقدار لمشاركة السلطان علاء الدين السلجوقي (سلطان قونية) في حربه ضد المغول، وحول هزيمته إلى نصر، فرد السلطان علاء الدين السلجوقي الجميل إلى أرطغرل بك، ومنحه قطعة أرض في الشمال الغربي للأناضول تسمى (سكودا)[2].

تضاعف عدد العثمانيين وشكلوا قوة ضاربة، ركزت جهودها بالدرجة الأولى على محاربة البيزنطيين الذين يعيشون فيما بينهم حالات صراع على العرش، هذا الوضع شجع العثمانيين الجدد على ضربهم، لدرجة أنهم سجلوا عدة انتصارات عليهم[3].

---

(1) إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، الإمارات العربية 2003، ص43.

(2) بعض المصادر تذكر أن السلطان علاء الدين السلجوقي منحه، مدينة تسمى (اسكي شهر) المدينة القديمة، وهو احتمال يستبعد لأسباب استراتيجيه، لأن الترك تزايدوا في الأناضول.

(3) IsmaiL HakkI, osmanLI Tariki, Ankara, 1958.C.1.3.S.22.

توفي قائد القبيلة أرطغرل بك سنة 1281م فخلفه ابنه عثمان بك الذي دأب على محاربة البيزنطيين، وتمكن بفضل شجاعة محاربيه من إلحاق الهزائم بهم، وفي أثناء حربه على البيزنطيين، توفي السلطان علاء الدين السلجوقي سنة 1299م وبوفاته حق للغازي عثمان سك النقود والخطبة باسمه وتلقب بالغازي، لأنه أعلن حرباً جهادية ضد البيزنطيين[1].

أجمع المؤرخون العثمانيون على اعتماد سنة 1299م سنة قيام الدولة التي سميت بالعثمانية تيمناً بالغازي عثمان الذي وضع أسس الدولة، ودرب خلفاءه على الجهاد وإقامة العدالة واحترام العلماء، والاهتمام بالقضاء، لأنه أسس الملك وثبته الميتن[2].

سار عثمان بن أرطغرل على خطة أبيه في مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين، وقد آزرته قوى إسلامية، أكراد وعرب، وتركمان ومنظمات دينية، لأنهم عدّوا غزوات عثمان أعمالاً جهادية وعليهم مؤازرته.

لقد ضم الأناضول أثناء تحركات عثمان الجهادية قوى بشرية، نتيجة ملابسات معقدة، فرضت على تلك القوى البشرية الوافدة إلى الأناضول المشاركة في الصراع الدائر على الساح الأناضولية، وعلى الرغم من شراسة مقاتلي تلك المرحلة، فإن قوى نمت على هامش الأحداث، وتمكنت من إثبات وجودها كقوة ضاربة اكتسبت في حربها صفة جهادية، ولقب قادتها بالمجاهدين الغزاة، وتمكنت خلال قرن ونصف من الزمن أن تغدو قوة ضاربة، أرغمت جميع قوى الأناضول وما جاوره للإنضواء تحت رايتها[3].

استمر الغازي عثمان الذي استطاع أن يجاهد بقواته بعيداً عن العناصر الفوضوية التي تعبث بأمن الأناضول، وركز جهود مقاتليه لمحاربة البيزنطيين

---

(1) محمد فؤاد كوبريلي، تورك أدبيات تاريخي، ترجمة محمد عامر، استانبول 1980م، ص304 وما بعد.

(2) أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، 12 جزءاً، استانبول 1309هـ، ج2، ص385.

(3) كوبريلي، المصدر السابق، ص287.

وعهد إلى ابنه أورخان قيادة مقاتليه[1]، وقد أوصلهم الغازي أورخان إلى حصـــار بورصه، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها حتى سنة 1324م، وبينما كـــان يحـــاول تنظيم المدينة، جاءه خبر مرض والده، فسارع إليه، وبعد أن حمله عدة وصـــايا، فارق الغازي عثمان الحياة، تاركاً لابنه أورخان قيادة القبيلة وتأمين مستقبلها.

سار الغازي أورخان على خطة أبيه في قيادة القبيلة ومحاربة البيـــزنطيين وتمكن خلال فترة قصيرة من الاستيلاء على أراضٍ بلغت مساحتها 95,000 كم^2 واتخذ بورصة عاصمة لدولته المرتقبة، وواظب على تدريب مقاتليـــه، والتعامـــل معهم بروح جهادية عالية وحببت لديهم الجهاد.

لم تصفُ الأيام للغازي عثمان، حيث فقد ابنه وولي عهده ســـليمان الـــذي توفي بعدما سقط عن ظهر جواده أثناء تدريبة على الجريد سنة 1359م، فحـــزن عليه حزناً شديداً، فقرر الاعتزال وعهد إلى ابنه مراد الأول قيـــادة القبيلـــة فـــي جهادها ضد البيزنطيين، وإذا كان مراد الأول لم يشارك والده ولا أخاه سليمان في العمليات الحربية، إلا أنه أبدى شجاعة فائقة، وتلقب بالسلطان، وأدرك أن قواتـــه العسكرية المؤلفة من أفراد القبيلة وقوات المسلم واليايا[2] غير كافية لإقامة دولـــة والدفاع عنها بصورة دائمة[3]، فقد قرر تنفيذ فكرة والده أورخان المتضمنة إنشـــاء جيش جديد، فتوجه في سنة 1362م مع بعض العساكر إلى الحـــاجي بكطـــاش، وطلب منه تسمية عساكره الجديدة التي سيجمعها بموجب نظـــام الدوفشـــرمه[4]، فبارك الحاجي خطوته هذه، وسماها ينى جرى أي الجند الجديد وتُرجمـــت إلـــى

---

(1) Fahri belen 20 yüzyILda osmanLi TarihI istanbouL, c.f.1973.s.435.

(2) اليايا، وهي قوات مشاة، وقد أنشئ هذا التكشيل في زمن أورخان، للمزيد :
Mahnemt Zeki pakLIn deyimlevi ve TerimLeri sözLüğym istanbuL, 1954,C.I.S.608.

(3) المسلم، وهي قوات جمعت من الأسرى الذين تربوا بين الأتراك واعتنقوا الدين الإسلامي، ولهذا سميت عناصر بالمسلم.

(4) الدوفشرمه، القطف، الخطف، وتقضي بجمع الشبان من مناطق البلقان، ممن تراوحت أعمارهم بين 8–18 سنة ويدربون في القصور العثمانية، للمزيد المصدر السابق، 1، ص98.

العربية الإنشكارية، وقد أدت هذه العناصر دوراً فعالاً ورئيساً في الحروب، وألحقت بأعداء الدولة هزائم مخيفة، واستمرت في انتصاراتها حتى النصف الثاني من القرن السادس عشر، حيث بدأ نظامها في الفساد، ويجمع غالبية المؤرخين، أن إسناد قيادتها في الحروب إلى الصدور العظام أسهم في فسادها وتخليها عن مهامها، ولاسيما عندما عمد السلطان مراد الثاني 1574–1595م إلى منح الفرقة الموسيقية التي أقامت حفلة الختان إلى ولده محمد، بمنحها ميزات الإنكشارية إضافة إلى عوامل عدة، أبرزها تحجب السلاطين وتخليهم عن قيادتها[1].

واظب السلطان مراد الأول على مقارعة أعدائه وإلحاق الهزائم بهم، وفي سنة 1389م أقام الأوروبيون تحالفاً ضده، وقرروا التصدي له، واجتمع الطرفان في منطقة قوص أوه (وادي الماء)، وتمكن السلطان مراد بفضل شجاعة محاربيه من الانتصار عليهم وبعد انتهاء المعركة لصالحه، وكعادته قام بتفقد الجرحى من قواته، وفجأة غافلة صربي بخنجر مسموم، وطعنه به فأرداه قتيلاً سنة 1389م، خلفه في قيادة الدولة الناشئة ابنه يلدرم بايزيد الأول الذي ورث دولة قوية مرهوبة الجانب، ورغم شجاعته وضربه لأعدائه، إلا أنه مال إلى اللهو[2]، وفي سنة 1402م غافله تيمورلنك بقواته[3]، والتقى الطرفان في (أنقرة) الماعز البيضاء، ودار بين الطرفين قتال مخيف، أسفر عن هزيمة يلدرم بايزيد الأول ووقوعه في الأسر[4].

ما يمكن قوله إن هزيمة يلدرم بايزيد الأول في معركة أنقره، شكلت محطات مهمة وبارزة في تاريخ الدولة العثمانية[5]، فعلى الصعيد الاجتماعي، امتنع سلاطين آل عثمان بعد قدوم نيلوفر زوجة يلدرم بأحلى زيها للشماتة ببازيد

---

(1) فيردون تولبنشتي، عشق السلاطين، دار الروائع (د.ت) ص13 وما بعد.

(2) FahribeLen, مرجع سابق، C.I,S.54.

(3) جودت، مصدر سابق، ج2، ص114.

(4) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ترجمة إحسان حقي، القاهرة 1998م، ص146.

(5) محمد فريد بك المحامي، المرجع نفسه، ص150.

(بايزيد) وهو في قفص حديدي، وموته قهراً منها، الزواج بـــالحرائر، وصـــمموا الزواج بالجواري والمستوردات الأوروبيات، وعلى الصعيد السياســـي، تمزقـــت ملكة أو دولة يلدرم بين أولاده الخمسة، غير أن محمد الأول وبتشجيع من والدته، انتزع الملك من أخوته من الواحد تلو الآخر، وأعاد دولة آبائه وأجـــداده، وتـــولى إدارتها بدءاً من سنة 1413–1421م، وسلمها لابنه مراد الثاني الـــذي عـــرف بشجاعته وقوة بأسه وضربه لأعدائه على مدار ثلاثن سنة، وسلمها لابنـــه الفـــاتح سنة 1451م الذي كان يحلم بفتح القسطنيطينة[1]، ولهذا عمل منذ المراحل الأولى لحكمه على تهيئة جيوشه، وفي سنة 1453م ضـــرب حصـــاراً شـــديداً حولهـــا، وانتزعوا الملك من قياصرتها وحولها إلى مدينة إسلامية بعدما اتخذها عاصـــمة لدولته[2].

توجه الفاتح محمد بعدما تأكد من سقوط المدينة بيده إلى كنيسة آيا صـــوفيا ورأى بأم عينيه السلب والنهب الذي يمارس، وبعد تأدية الصلاة فيها ذهـــب إلـــى مقر قيادته، واستدعى أبرز علمائه، وطلب إليه وضع قانون ينظم شؤون الدولـــة، فقام العالم محمد بن مصطفى الشهير بليس زاده التوقيعي بإعـــداد قـــانون نامـــه ووضعه في ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في بيان مراتب الأكابر والأعيان.

الباب الثاني: في بيان المراسم الخاصة بالسلطان.

الباب الثالث: في بيان ما يتعلق بالجرائم وفي كـــل مـــا يخـــص أربـــاب المناصب.

لم يكن لدى السلاطين الأوائل قانون معتمد ينظم شؤون دولتـــه للأســـباب التالية:

1–الدولة في حالة حرب، ولا يعلمون المفاجآت التي تصادفهم في غد كـــل يوم.

---

(1) كوبريلي، مصدر سابق، ص3012.

(2) خليل ساحلي أوغلي، محمد الفاتح، قانون نامه، عمان (د.ت)، ص111.

2-لم يكونوا يفكرون أو يتصورون أنهم سيقيمون دولة لهم.

3-اتصفت حياتهم منذ دخولهم الأناضول حتى سقوط القسطنطينية بالاقتتال مع البزنطيين بشكل دائم ومستمر[1].

4-اهتم أورخان بتنظيم الشؤون المالية، فعين دفتردار مسؤول عن الصادرات والواردات، وسك الأقجة سنة 1327م.

5-جمع الفاتح في قانونه ما توارثه عن آبائه وأجداده ووضعه في قانونه الذي يعد أول قانون ينظمه آل عثمان، وهذا يعني أنهم تأكدوا من قيام دولة خاصة بهم[2].

إن العثمانيين الأوائل الذين تبنوا الجهاد لم يتأخروا عن نصرة مظلوم، ولم يطلبون من الآخرين مساعدتهم، لأن الجهاد ضد الكفار لا يقتضي دعوة.

لم يتوقف الفاتح عن التوسع والاستيلاء على أملاك أعدائه، وقد حقق إنجازات واسعة، وبلغت مساحة دولته 2314000 كم^2، وكان يعد العدة لفتح جزر بحر إيجه، غير أن المنية وافته مسموماً، وقد كثرت الإشاعات عن سبب موته[3].

دار خلاف بين ولدي محمد الفاتح (بايزيد الثاني – جام) وقد طالب جام بإعطائه أجزاءً من دولة أبيه، لكن بايزيد رفض، ودار إلى الأخوين قتال ضار، غير أن بايزيد بدعم الإنكشارية له، تمكن من هزم أخيه الذي فر إلى الصفويين ومنهم إلى المماليك ووصل الأمر به إلى الفاتيكان حيث احتجزه الباب ثم دس السم له مقابل مبالغ مالية.

على ما يبدو لسلاطين آل عثمان هفوات إدارية، ترتب عليها مستقبلاً حدوث خلل في إدارتهم، فبايزيد اشترى رضا الإنكشارية بالأموال، وقد اعتادت

---

(1) الساحلي أوغلي، قانون نامه، ص112.

(2) كوبريلي، مصدر سابق، ص263.

(3) يقال إن زوجه هي التي دست السم له، ليصل ابنها بايزيد العرش، للمزيد محمود عامر، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، دمشق 2003، ص98 وما بعد.

على ذلك، وحينما مال إلى الاستقامة وابتعد عن المنكرات، تآمرت الإنكشارية عليه، فاتفقت مع ابنه سليم الأول الذي دس السم له سنة 1512م وتولى العرش.

عُرف السلطان سليم بحبه للعسكرية، ولهذا اهتم بالإنكشارية، ودربها وقض على عوامل الفوضى، وخاض بها حربين[1].

حرب مع الفرس في جالديران سنة 1514م، وانتصر عليهم، وهدم دولتهم، حرب مع المماليك في موقعتين، مرج دابق سنة 1516م، والريدانية 1517م، وأزال السلطنة المملوكية من التاريخ[2].

1-التشكيلات العسكرية العثمانية:

عندما دخل العثمانيون الأناضول لم يكن لديهم جيش، ولم يكونوا على معرفة به من أسسه ونظامه، وكانت القبيلة كلها قوى مقاتلة، تدافع عن وجودها، لهذا لم يكن أحد معفى من حمل السلاح إذا تعرضت القبيلة لخطر داهم أو لغزو مفاجئ[3].

ما إن دخلوا الأناضول حتى سارعت قوى إسلامية متعددة القوميات والأعراف للوقوف إلى جانبها كونها إسلامية وتحارب الكفار، هذا الانضمام مع ما اكستبته من خبرة، فرض انصياع الجميع لقائد وكان القائد آنذاك قائد القبيلة وأميرها، وبمرور الزمن، اكتسب القائد خبرة عسكرية مبنية على أسس قائد وآمر ومأمور حتى لو كان الفرد من أفراد القبيلة!

عندما انتقلت القبيلة بقوتها وقواها إلى بورصة في عهد أورخان 1324-1359م كوّن عناصر عسكرية من نوعين:

المسلم وهم الأسرى من المسيحيين الذي اعتنقوا الإسلام وارتضوا العمل كمقاتلين في القبيلة، ومنح الفرد منهم في أ وقات الحرب (2 أقجة) وفي أوقات السلم، ينصرف لممارسته أعماله الزراعية، ضمن المجتمع العثماني[4].

---

(1) فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص182.

(2) جودت، مصدر سابق، ج5، ص270.

(3) أحمد رفيق، عثمانلي بيوك تاريخي، استانبول 1298هـ، ج1، ص78.

الياية (المشاة) وهي قوات مقاتلة أنشأها أورخان بعدما اتخذ بورصة لدولته، بهذه القوات إضافة إلى أفراد القبيلة والمجاهدين المسلمين من عرب وكرد ومنظمات آخية حارب أعداءه، وألحق بهم هزائم كثيرة[1].

لم يكتفِ أورخان بما لديه من قوات، فأنشأ فرقة الاقنجي[2]، وفرقة السباهية، ودربها بشكل جيد وعهد إليها تقدم القوات، وقد بلغ عدد ما لديه من قوات عدا أفراد القبيلة والمتطوعين من المجاهدين 20,000 مقاتل، وقد حققت هذه القوات انتصارات باهرة ودبت الرعب في أعدائها وخصومها، ومع تولي مراد الأول الذي تلقب بالسلطان، أدرك أن هذه القوات غير كافية لإقامة دولة وتحقيق النصر ضد أعداء لا هم لهم سوى محاربته والقضاء عليه وعلى قبيلته، فقرر إيجاد نظام الدوفشرمه[3] الذي يضمن له تأمين قوات ترتبط بالدولة بشكل دائم.

أ-الإنكشارية:

يُعد العثمانيون أول من اخترع مصطلح إنكشاري، لأن الوحدات المتطوعة أو الميليشيات لم تكن ترضي غرور العثماني الباحث عن مستقر ثم عن دويلة ثم عن دولة ثم عن إمبراطورية، وقد حقق تطلعاته، بفضل شجاعته، وابتعاده عن أنصاف الحلول في مقارعة أعدائه.

إن أسرى الحرب لدى العثمانيين الأوائل والمسمى البنجيك (الخمس) لم يكن ليحقق لهم تطلعاتهم الرامية إلى تكوين دولة، وبما أنهم فشلوا تماماً في تحويل الأسرى الراشدين إلى جنود منضبطين، في كل الأوقات، ولا يترددون في تنفيذ ما يؤمرون به، فعمدوا إلى إرسال هؤ لاء الأسرى إلى المجتمع العثماني لمخالطة

---

(1) أحمد رفيق، عثمانلي بيوك تاريخي، مصدر سابق، ج1، ص78.

(2) الأقنجي، الندائي، المغوار، السباهية، قوات ترتبط بالأرض، وهي على نوعين، سباهية خيال وسواري فرسان، للمزيد محمد زكي بقالين، قاموس المصطلحات والأساليب العثمانية، استانبول 1954م، ج1، ص98.

(3) الدفشرمه، سبق تعريفها، وأطلق على عناصرها (ايج أوغلانلر) الغلمان الداخليون.

الأتراك والتعايش معهم واكتساب عاداتهم وتقاليدهم، ودأبوا على تـــدريبهم ضـــمن مؤسسة تعني بذلك سموها (مؤسسة العجم) مهمتها تربية هؤلاء الأســـرى الـــذين طبق عليهم قانون النبجيك أي (الخمس).

حقق نظام الدوفشرمه أهدافه حيثه جُمع الشبان المسيحيون من البلقان ممن تراوحت أعمارهم من 8–18 سنة، وقد أصر القانون وبشدة على انتقاء الأصحاء وأخذ أولاد الرهبان، وحذر من أخذ الولد الوحيد والمسلم واليهودي. وقد تأسســت الإنكشارية التي انضوت تحت مسمى (الأوردي الهمايوني) [1]، وأطلق على ذوي الاختصاص الواحد (يولداش) [2].

اقتصر جمع الشبان بموجب نظام الدوفشرمه على إلبانيا وجـــزر المـــوره وبلغاريا، فيما بعد أضيف إليهم صربيا والبوسنة والهرسك والمجر، وفـــي عهـــد الفاتح اقتصر جمع الشبان على مسلمي البوسنة بحسب رغباتهم، وســـعوا الشـــبان الذين جمعوا من مسلمي البوسنة لم يمنحوا إلى الفلاحين الأترك لتـــربيتهم علـــى العادات والتقاليد التركية كما كان يجري سابقاً، بل كانوا بعد انتهاء فترة تـــدريبهم يساقون إلى السراي الهمايوني للعمل في وحدة البستانجي[3].

لم يُعمل بمصطلح اليولداش (ذوي الاختصاص الواحد) واستبدل فيما بعـــد بمصطلح الأوجاق، وقد قسمت الإنكشارة إلى سبعة أوجاقات هي:

1–أوجاق الإنكشارية (ينجريلري) الجند الجديد.

2–أوجاق عمي أوغلانلر (أولاد الأعاجم).

3–أوجاق جبة جيلر (المدرعات).

4–أوجاق طوبجي لر (المدفعية).

---

(1) الأوردي الهمايوني، تعني الجيش السلطاني، أما لفظة همايون، فهي مؤلفة من لفظتين (هما) وتعني الديار، المنطقة، (يون) وتعني المبارك، السعيد، وهي لفظة فارسية الأصل.

(2) يولداش، وتعني رفيق السلاح، رفيق الدرب، وهي مؤلفة من لفظتين (يول) طريق و(داش)، رقيق.

(3) إسماعيل حقي، علمية تشكيلاتي، أنقرة، 1958م، ص57.

5-طوبة آربه جيلر (عربات المدفعية).

6-خميره جيلر (سلاح الذخيرة).

7-أوجاق شقالر (الشعاؤون) [1].

إن لهذه الأوجاقات التي تفرع من الإنكشارية تأسست بالأصل من عجمي أوغلانلر[2]، الذين تم اختيارهم بموجب نظام الدوفشرمه الذي أقره السلطان مراد الأول سنة 1362م، وحولت العساكر التي كانت تشكل عماد قوة الدولة إلى عناصر خدمية، وبعضها وزع على الولايات مثل الروميلي ومنحوا إقطاعات أرضية عرفت باسم (التيمار والزعامت)، وقد شددت الدولة على أصحاب التيمار المكلف بإرسال جندي عن كل 3000 أقجه، أما أصحاب الزعامت فعليه إرسال جندي مجهز بالكامل في حال نشوب حرب عن كل 6000 أقجة[3].

إن هذه الأوجاقات قبل تخرجها وإعدادها تربوياً وعسكرياًن كانت تربى في السراي الهمايوني، وكان يطلق عليها (ايج أوغلانلري) غلمان الداخل، وبعد تخرجها أفرزت إلى القطاعات المحاربة، وقد قدمت خدمات جليلة للدولة، وعندما أصابها الفساد وتخلت عن التدريب، التفتت للاشتغال بالشؤون المدنية، من تجارة وتسيير معاملات وغيرها من الأعمال التي تتنافى مع مهنتها، وبعضها الآخر تولى الشؤون السياسية لدرجة أن أي سلطان لا يمكنه تولي العرش دون المرور تحت سيوفها، وتكريمها بالرشاوى ومنحها الرتب، وبمرور الزمن شددت الخناق على السلاطين الذين شعروا أنهم مقيدون وملزمون بالعمل بحسب رغبات الضباط الكبار من الإنكشارية[4].

من الصعوبة بشيء تحديد عوامل ضعف الإنكشارية، فهناك عدة ظروف أبرزها:

---

(1) محمود عامر، الدولة العثمانية، تاريخ ووثائق، دمشق 2001م، ص41.

(2) إسماعيل حقي، علمية تشكيلاتي، مرجع سابق، ص289.

(3) سلحلي أوغلي، قانون نامه، ص139.

(4) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، ج2، ص131.

أولاً – العامل الإداري، ويتحمل السلطان سليمان القانوني مسؤوليته، يوم عهد إلى الصدر الأعظم بقيادة الجيوش في المعركة بدلاً منه، وحملّه الخاتم، فالإنكشارية التي اختطفت من أبويها واعتنقت الإسلام، وضحت بنفسها لحماية السلطان ليس حباً به ولا لقاء مبالغ مالية أو هدايا، هي دفعت نفسها إلى الموت دفاعاً عنه[1]، لأنه هو أبوه وأمها ولغتها وقوميتها ووطنيتها، وحينما غاب عن قيادتها عمن ستدافع، هل تدافع عن صدر أعظم، كان سابقاً فرد منها، ولظروف وصل إلى هذا المنصب بدون وجه حق، فسئمت التضحية في المعركة، ومالت إلى التخاذل وعدم استعدادها للقتال، لأن الذين أسند إليهم الصدارة العظمى كانوا زملاء لهم تدربوا سوية وعاشوا سوية، لكن الظروف تدخلت وأوصلتهم إلى ما وصلوا إليه من جاه وسلطان.

ثانياً – جانب سياسي، فالسلاطين أقاموا علاقات طيبة مع معظم الدول الأوروبية، وتوقف الاقتتال فيما بينهم، والعساكر عامة والإنكشارية خاصة لا يناسبها توقف الحروب والاتفاقات التي تنتهي تلك الحروب، فبالحروب تجدد همهما وتنال الرتب والياشين، ناهيك عن الغنائم، ولم يبقَ أمامها سوى الالتفاق إلى الداخل والتدخل بشؤون الأهالي، لدرجة أن بعضهم عمل مؤذناً والبعض الآخر خادم جامع، والبعض معقب معاملات طلاق وزواج. أما التجارة فهي مهنة من لا مهنة له، ولاسيما التهريب وشحن البضائع.

ثالثاً – الجانب الاقتصادي، الإنكشارية أسست بموجب نظام الدوفشرمه لا لتتوالد وتنجب أبناء ولها زوجات، ولا لترخي لحى تمارس من خلالها الشعوذة، ولطالما تزوجت وأصبح لديها زوجة وأولاد، فعليها مسؤولية تأمين معيشة لهم بالحد الأدنى، فالرواتب لا تكفي، وشهوراً تبقى بدون رواتب، لأن الدولة في حالة إفلاس، فما السبيل لتأمين لقمة الطعام لعائلاتها ولم يبقَ سوى بيع السلاح ثم بيع الخدمات كمرتزقة، وإذا كتبت لهم الحياة فعليهم الاتجار حتى بالموبقات[2].

---

(1) للمزيد، إسمايل حقي أوزون تشارشلي، علمية تشكيلاتي، أنقره 1961م، ص117.

(2) مذكرات اليوزرباشي رستم كدك أوغلو، مكتبة نور عثمانية، رقم 3475، ترجمه لي الأستاذ المشرف، فاخترت بعض النقاط المهمة بحسب رؤيتي (الباحثة).

على ضوء ما ورد لم يبقَ للقارئ ما يقوله، فلقد أوجز آلام الإنكشارية وما تختزنه من الأوجاع، وهذا لا يعني أن القراءة تسوغ له ما ذكره، فالاقتتال لم يتوقف بين الدولة العثمانية وجيرانها أكثر من أشهر على مدار استمرارية الدولة العثمانية، وبعض القراء يحملون الإنكشارية مسؤولية ما وصلت إليه الدولة من انهيار[1].

تجمع كل الدراسات على أن السلطان سليمان القانوني أسهم في ضعف الدولة، فالامتيازات التي منحها في زمن قوة دولته، تحولت في زمن خلفائه إلى ما يشبه الوصاية على الدولة، والأوروبيون استغلوا تلك الامتيازات أبشع استغلال، وبدؤوا بممارسة التعدي على الرعايا[2].

صحيح أن وحدانية القرار أساس من أسس الحكم، لكن تشكيل حكومة استبدادية يقبض رجل واحد على مفاصل الدولة، يزيد الأمور سوءاً، فالصدر الأعظم كان أقوى من السلطان ولاسيما خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وكان السلاطين الذي عهد إلى الصدر الأعظم إدارة شؤون الدولة نيابة عنه، فلأنه كان يتصور أن امته جيش ودولته معسكر، وبذلك تكون دولة السلطان قد تعرضت إلى الظلم، فالسلطان مسؤول عن حاشيته الداخلية والخارجية وعلى كل من حوله، والصدر الأعظم استبد بالولايات وأسند إلى ولاته إدارة هذه الولايات وتأمين الطاعة والضرائب[3]، هذه الاستبدادية من السلطان والصدر الأعظم اقتضت اتخاذ إجراءات.

إن ازدياد تدخل الإنكشارية بشؤون الدولة عامة وخصوصية العرش العثماني خاصة، ولدَّ لدى العامة والخاصة ضرورة إيقاف تمادي الإنكشارية

---

(1) بيهم، مرجع سابق، ص131.

(2) ماري سركو، الامتيازات الأجنبية وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية على سوريا، دمشق 2010، ص330.

(3) ستوضح الفصول المقبلة حاشية السلطان الداخلية والخارجية (الباحثة).

وتجاوزاتها، غير أن الكثير من السلاطين وإن كان يتمنى إيقاف هذه التجاوزات، لكنه كان يخاف على رأسه من الإنكشارية[1].

بدأ سلاطين القرن الثامن عشر بمحاولة إجراء إصلاحات على نطاق ضيق، خشية إثارة الإنكشارية، حتى أن العامة بدأت الصراخ عندما بدأ بعض السلاطين التسلل سراً لتوقيع معاهدات اذعان يتنازل بموجبها عن بعض الأراضي من دولته إما للنمسا أو للروس، وتزايد الصراخ حتى الإنكشارية تألمت مما تتعرض له الدولة[2].

من المؤسف القول إن الإصلاحات تزامنت زمنياً مع بروز المسألة الشرقية التي ضمت عدة مشكلات أسها وأساسها ضعف الدولة، وإذا كانت المحاولات الإصلاحية خجولة، فهذا يعني أن بروزوها بشكل علني غدا قريباً، ويعد السلطان سليم الثالث 1789–1807م، هو رائد الإصلاح، فلم يلغِ الإنكشارية، وإنما أنشأ إلى جانبها فرقة عسكرية بلباس جديد وتدريب جديد، وحينما ازداد الضغط عليه اضطر إلى إلغاء الفرقة العسكرية (النظام الجديد) وبراجعه أفسح المجال أمام الإنكشارية للتطاول أكثر على السلاطين[3].

إن تراجع السلطان سليم أمام الإنكشارية أفقده رأسه، وتدخلت الإنكشارية وعينت مصطفى الرابع سلطاناً بدلاً من سليم، غير أن مقتل سليم دفع مصطفى البيرقدار للتدخل، فخلع مصطفى الرابع وقتله، وعين بدلاً منه محمود الثاني 1808–1839م، وعلى يده يتم القضاء على الإنكشارية سنة 1826م، بعد خدمة دامت 464 سنة.

ما يهدف البحث إلى إيضاحه إن القصور التي بنيت في بورصة وصولاً إلى استانبول، لم تبنَ لهدف المرح واللهو، كما أشارت الدراسات والبحث واحد من جملة البحوث التي حملّت القصور و السلاطين أكثر من طاقتهما، فالقصور

---

(1) عاصم باشا، تاريخ عاصم، 1293هـ، ج1، ص55.

(2) واصف باشا، محاسن الآثار وحقائق الأخبار، استانبول 1313هـ، ص1–5.

(3) عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح في عصر السلطان محمود الثاني 1808–1839م، دار التراث 1978م، ص93 وما بعد.

العثمانية بداياتها تنظيم شؤون دولة، وتدريب نتاج الدوفشـــرمه المتضـــمنة جمـــع الشبان وتدريبهم في القصور السلطانية ليكونوا السلاطين (الحاكم منهم) على دراية تامة بأوضاع تلك الشبان الذين يطلق عليهم (ايج أوغلانلر)، ولم تكـــن القصـــور مهيأة في يوم من الأيام لممارسة االلهو أو مرتعاً للنساء الأوروبيات المســـتوردات من بلدانهم، غير أن أحداث كحادثة أوليفر وتشفيها بزوجها السلطان يلدرم بايزيـــد الأول، قد أحدثت تبدلاً في الاتجاه الاجتماعي للدولة وسلاطينها، وعلى الرغم من أن هذه القصو حلفت بالجواري من مختلف القوميات والجنسيات، لكنها لم تحد من رقابة السلطان على تدريب هؤلاء الشبان الذين جمعوا بموجب نظام الدوفشـــرمه وأن الإكثار من غرف القصور لم يكن إلا لتدريب هؤلاء الشبان ورفع مســـتواهم العسكري، وإذا كانت الإنكشارية قد زالت نهائياً من التاريخ العثماني، فإن النســـاء الأوروبيات وغير الأوروبيات قد زلن من تاريخ القصور كذلك، فإن القصور التي كانت تعج بالقوى البشرية، ظالم ومظلوم، خادم ومخدوم، قد تحولت إلى متـــاحف يتردد إليها الزوار من أصقاع العالم.

الفصل الأول : سراي السلاطين العثمانيين

أولاً- سراي سلاطين النشأة والتوسع 1324-1413م

1-سراي بورصه Bursa saray

2-سراي أدرنه Edirne saray

ثانياً- سراي سلاطين الاستيلاء والفتوحات 1413-1595م

1-السراي العتيق Atik saray

2-سراي الطوب قابي Topkapı saray

3-غلطه سراي Galata saray

4-سراي ميدان الخيل At meydanı saray

ثالثاً- سراي سلاطين الترهل والجمود 1595-1676م

1-سراي استاورز İstavruz saray

رابعاً- سراي سلاطين النهوض والتجديد 1858-1908م

1-سراي دولمه بغچه Dolam bahçe saray

2- سراي جراغان ÇIrğan saray

3- سراي يلدز YILdız saray

استنتاج الفصل الأول.

لم يكن العثمانيون بأكثر من واحدة من مجموعة قبائل سكنت أواسط آسيا، ثم غادرتها بسبب الضغط المغولي المستمرعليهم، فاضطروا للهجرة باتجاه الشرق إلى إن بلغوا أعالي الفرات، وبدافع التباهي قفز قائد القبيلة سليمان شاه محاولاً عبور نهر الفرات بحصانه، لكن غزارة المياه جرفته بقوة فمات غرقاً في نهر الفرات سنة 1231م[1].

لقد كانت قبيلة سليمان شاه تقطن جبال (التون داغ) في آسيا الوسطى، وحياتها كانت مضطربة في أوائل القرن الثالث عشر بسبب ضغط المغول، وبغرق سليمان شاه حدث تصدع في أفكار أولاده الذين كانوا معارضين لرحلتهم إلى خراسان، ولهذا انقسموا على أنفسهم عقب موته إلى قسمين :

القسم الأكبر بقيادة ولديه كون طوغدي وسنقورتكن اللذين رفضا الاستمرار برحلة المجازفة، وعادا إلى أواسط آسيا، أما القسم الثاني لم يكن عدد أفراده يزيد عن 500 فرد برئاسة أرطغرل ودندار حيث صمما على ركوب مسيرة مجازفة البحث عن مكان يضمن لهم الأمن والاستقرار[2].

تحرك أرطغرل بك بمن معه إلى الجهة الغربية من حدود الدولة السلجوقية، وهناك وجد جيشين يتقاتلان، فوقف أرطغرل بك إلى جانب الجيش الضعيف، وحوّل هزيمته إلى نصر سنة 630هـ/1232م[3].

رد علاء الدين السلجوقي على جميل أرطغرل، فأعطاه قطعة أرض في الشمال الغربي للأناضول وأطلق عليه اسم (أوج بكي)، أي محافظ الحدود.

كان طموح أرطغرل قد دفعه إلى اتخاذ مبدأ الهجوم على بلاد الروم، وقد تمكن من الوصول إلى مدينة اسكي شهر (المدينة القديمة).

---

(1) لا يزال قبر سلطان شاه موجوداً حتى الآن بالقرب من قلعة جعبر، ويسمى لدى الأتراك (ترك مزاري) أي مزار الترك، للمزيد، أحمد راضي، مختصرإسلام تاريخي، إستانبول 1305 هـ، ص 602، سيرغم البحث على تكرار تلك المعلومات فيما بعد.

(2) سليمان راضي، القبيلة الهائمة، استانبول 1956م، ص 103

(3) لم يكن أرطغرل راغباً بدخوله الحرب الدائرة، لكن حنينه للانتقام من المغول الذين يقاتلون السلاجقة، دفعه إلى مناصرة علاء الدين السلجوقي ضد خصومه (الباحثة).

عندما بلغ أرطغرل بقواته أسكي شهر سنة 656هـ/1258م رزق بغلام سماه عثمان، وفي سنة 1281هـ توفي أرطغرل، وتولى عثمان رئاسة قبيلته حيث قادها إلى الاستقرار والأمان، وضمن لها التحول إلى دولة ثم إمبراطورية في عهد خلفائه الذين اقتدوا به في مهاجمة خصومهم من سكان البلقان وغيرها.

لقد مُنحت القبيلة سلطة الاستقلال إثر وفاة السلطان علاء الدين السلجوقي سنة 1299م، وعدّت هذه السلطة بداية قيام الدولة العثمانية رسمياً، لأن الغازي عثمان سك النقود وأقر الخطبة باسمه.

لم يألُ الغازي جهداً في بناء دولته المقبلة، فبدأ بمهاجمة أملاك الدولة البيزنطية، وقد دأب خلفاؤه من بعده بانتزاع مدنها الواحدة تلو الأخرى إلى أن تمكن محمد الثاني الفاتح 1451-1481م من إسقاط القسطنطينية عاصمة البيزنطيين سنة 1453م.

يخطئ من يعتقد أو يتصور أن القبيلة العثمانية التي أفرزت 440 فارساً تمكنت بهم من القضاء على الدولة البيزنطية وإزالتها من الوجود، صحيح أن فرسانها شجعان ميامين كانوا يعقدون اجتماعاتهم على ظهر الخيول.

لكن المؤرخين العثمانيين تناسوا عن قصد جهد المشاركة العربية والكردية والمنظمات الآخية التي جمعتها صيحة الأتراك العثمانيين في حربهم ضد البيزنطيين «الله أكبر».

لقد تمكن العثمانيون بالإسلام والتظاهر بإسلامهم المتشدد في إقامة دولة إسلامية ، تولت قيادة العالم الإسلامي لقرون عدة، وقد دأب السلاطين العثمانيون على التمسك بالشريعة الإسلامية، علماً بأن أمهاتهم بدءاً من الغازي عثمان حتى السلطان محمد وحيد الدين مسيحيات أو يهوديات[1]، لكن هذا النسب من ناحية الأم ورغم ذلك تمسّك هؤلاء السلاطين بالشريعة على الأقل في عهد الفتوحات، وبهذا الصدد يقول دوسن Doson: ((فسواء للسلم أو الحرب ولنظام سياسي أم قانون عسكري ولعقاب وزير أو قائد عام كان العثمانيون يلجؤون إلى المفتي طالبين فتواه، وكثيراً ما كانت تفاوضه وتفاوض كبار العلماء قبل الفتوى، إذ لا يكفي

(1) Ali kemal meram, padişah anaları, Istanbul, 1997, s 71.

الاطمئنان إلى جواز الأمر شرعاً بل من الواجب استفتاء علماء الدين ولاسيما رئيسهم))[1].

وقال أحمد رفيق عن المفتي ((كل شيء في المملكة تحت نفوذه لأنه هو نائب السلطان المطلق في الأمور الشرعية والمدنية سواء ... وله مقام سام حتى أنه إذا قدم يخف السلطان لاستقباله ويتقدم سبع خطوات على حين لا يتقدم لاستقبال الوزير الأول إلا ثلاث خطوات، فضلاً عن ذلك فإن للمفتي أن يُقَبِل كتف السلطان بينما هو لا يسمح لكبير الوزراء تقبيل ذيل ثوبه[2].

لقد تميز سلاطين الفتوحات بصفات مميزة خُلقاً وخَلقاً، فالغازي عثمان ساعد الفقير وتبرع بردائه للمحتاج، أما ابنه أورخان فقد عرف بالتقوى والإحسان ووقف بنفسه لإطعام الفقراء، ومراد الأول وإن لم يكن متديناً لكنه كان متقشفاً لا يلبس الحرير، ويحترم العلماء، وبما أنه لم يكن يصلي فقد أشاد في أدرنه مسجداً سماه مرادية تكفيراً عن ذنوبه[3].

أما يلدرم بايزيد عنهم شذَ عنه، فبعدما أعدم أخاه يعقوب لوشاية عاتبه قومه، فأجابهم أن أمير المؤمنين هو ظل الله في أرضه يجب أن يكون واحداً في الأرض، كما أن الله واحد في السماء[4]، وانغمس في اللهو وسط قطيع من الغواني، وللتكفيرعن نفسه بَنى جامعين جميلين في بورصه[5].

---

(1) ظل الرئيس الديني في الدولة العثمانية يلقب مفتياً حتى حكم السلطان محمود الأول 1143-1168هـ/1730-1754 فسمى مفتي استانبول شيخ الإسلام، كما أن السلطان سليمان القانوني 1520-1566م بدّل لقب الوزير الأول إلى صدرأعظم، للمزيد، محمد جميل بهيم، التاريخ العثماني، بيروت 1935، ص 108.

(2) أحمد رفيق، تاريخ العمومي، إستانبول، 1306هـ، ج2، ص 270.

(3) بيهم، المرجع السابق، ص 108 (السلطان الحاكم إذا بَنى جامعاً يعفى من الصلاة ...).

(4) يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان، تقديم محمد زينهم محمد عزت، القاهرة 1995، ص 38-39.

(5) بيهم، المرجع السابق، ص 133، (عن الصلاة جامع وعن اللهو جامع).

لقد مات يلدرم بايزيد قهراً إثر سقوطه أسيراً بأيدي تيمورلنك سنة 1402م حيث وضعه في قفص، فقدمت زوجته أوليفرا بأحلى زيها وأناقتها للتشفي به، حينما رآها مات قهراً.

لقد شكلت معركة أنقره (الماعز البيضاء) التي هزم فيها العثمانيون منعطفاً اجتماعياً حاداً، إثرها حيث رفضوا الزواج بالحرائر ودأبوا على الزواج بالنساء الأوروبيات المستوردات[1]، وكل من تنجب غلاماً تلقب Kaseki كازه كي وهو خاص بأمهات أبناء السلطان، أما من تنجب أنثى تلقب Kaseki kadın كازه كي قادين.

منذ ذلك التاريخ بدأ السلاطين يتلونون في إيمانهم وسوء وحسن معاملاتهم لرعيتهم، لكنهم اشتركوا في الانغماس في الملذات، وتباهوا كثيراً في انتقاء الجميلات وبعضهم سفك دماء دون ذنب يذكر كالسلطان سليم الأول 1512-1520م الذي دس السم لوالده[2]، والسلطان مراد الرابع 1623-1640م الذي ارتكب مجازر بشرية لا حصر لها في اللاذقية، وأعدم مفتي بورصه وإذنيق واستانبول ولقب بالسلطان الأسود[3].

أما السلطان مراد الثاني، فقد سفك دماء كثيرة، فأكثر من بناء الجوامع تكفيراً عن أخطائه، ولكن الفاتح وإن لم يرتكب ذنوباً، فيكفيه أنه أصدر فتوى يجيز للسلطان الحاكم قتل أخوته، وأما ابنه بايزيد الثاني، فقد كان سكيراً عربيداً ثم أقلع عن المعاصي، فحرضت عساكر الإنكشارية ابنه سليم الأول الذي قتله بالسم سنة 1512م، وقد ارتكب أكبر مجازر في تاريخ البشرية في سورية، كما شجع هجرة

---

(1) سوف يعالج البحث الحاشية الداخلية للسلاطين فيما بعد.

(2) عبد الله العاملي، مجازر سلاطين آل عثمان، مخطوط غير مرقم، وهو موزع بأيدي عدد من الباحثين، وزعه الأستاذ المشرف محمود عامر.

(3) لقد امتلك السلطان مراد الرابع 800 حصان لركوبه و800 أخرى لنقل أمتعته وقت السفر و500 حصان لنقل أمتعة دائرته، و600 لنقل خزينته، و880 حصاناً لنقل الخيام وكان لكل واحد من مماليكه 30 فرساً من جياد الخيل، للمزيد، آصاف، مصدر سابق، ص96.

التركمان إلى سورية، وأسكن فيها قوميات غير عربية، وقد دأب خلفاؤه على سياسة التهجير والتكفير، أما ابنه سليمان فقد أباح البلاد العربية بكاملها إلى الأوروبيين تحت مسمى الإمتيازات، وحذا ابنه سليم الثاني حذوه في منح اليهود إدارة جمارك استانبول وماليتها[1]، واستمرالأمر من قبلهم لدرجة أن كل سلطان امتلك صفات خاصة به، لكنهم جميعاً لم يعرفوا أنصاف الحلول.

ومما يقال أيضاً بحسب ما ذكر محمد جميل بيهم (لم يقصر آل عثمان بشيء من موطدات الملك تقصيرهم في نشر العلم، وتعزيز التمدن، فقد حكموا مئات السنين ولم ينشئوا خلال حكمهم أية مدينة حديثة، ولم يعملوا على إحياء حضارة قديمة، وإنما كان مثلهم كمثل ملوك الرعاة (هيكسوس) الذين تسلطوا على مصر نحوخمسة قرون (منذ القرن 22 ق.م) ثم أجلوا عنها، لم يخلفوا فيها أثراً يذكر).

ومن مميزات العثمانيين (أنهم صبورون على تحمل المشقة لعراقتهم في البداوة، ولاتساع موطنهم ووعورة المسالك فيها، وازدادوا بأساً باستسلامهم إلى حياة الجندية طيلة تاريخهم وإتخاذهم القوة العسكرية المثل الأعلى لهم) [2].

قال الكاهن ليون " مما يلفت النظر في التراث العثماني روح الانتظام والتربية العسكرية وحرصهم على ذلك حتى قضوا بقتل من يرتكب العصيان أو المؤامرة، وقد اصطلحوا على تقدير الناس حسب قوتهم ومعداتهم، ولا عبرة عندهم للتقدم بالسن، والشرف كل الشرف الموت في القتال، والعار كل العار الموت على الفراش "[3]، وأضاف لم يألُ آل عثمان جهداً في الإعفاء عن بعض خصومهم وبعضهم لم يترك مجالاً للصلح، فقد اعتُمدت القسوة في كبح جموح

---

(1) أحمد سليم راضي، تجاوزات سلاطين بني عثمان للشريعة، بغداد، 1943م، ص 18 وما بعد.

(2) بيهم، مرجع سابق، ص 14.

(3) ليون كاهن، عاش أسيراً في قصرالطوب قابي لسنوات، وكان خلالها يحظى بالرعاية، وبإمكانه التجوال في جوانب القصر، وكان بإمكانه الفرار، لكنه لم يفر فدوّن معلوماته، مخطوطة في برلين رقم 638، ورقة 15.

أعدائهم، وقد تجلت رحمتهم بالأوروبيين بشكل ملفت للنظر، ويرد البعض مراعاة آل عثمان للأوروبيين بسبب الدم الذي يجري في عروقهم من الأمهات الأوربيات، وكما يقول المثل العربي: " كادت أن تلد أخاها "، أليس أخوال جميع السلاطين العثمانيين بدءاً من عثمان وحتى السلطان محمد وحيد الذين كانوا أمهاتهم مسيحيات أوربيات أو يهوديات[1].

لقد تحاشى السلاطين العثمانيون الزواج بالمسلمات، علماً بأنه كان يوجد مسلمات جميلات لكنهن غير شقراوات كالأوروبيات، ويضيف راضي: (بدو سود وجياع في كل مناحي حياتهم، رأوا النساء البيضاوات فطار صوابهم[2]، فسارعوا للحصول عليهم شراءً أو بواسطة الخطف أو تدمير مدنهم بهدف غانية أعجبتهم) لكن هذا لا يعني أنهم ظالمون أو فاقدو المروءة والشهامة، فقد امتلكوا من الصفات الحميدة ما تعجز الأقلام عن ذكرها. إن الجري خلف الجميلات ليس عيباً يلام عليها الإنسان، فالجمال هدف وغاية ووسيلة[3].

لم يعرف التاريخ أن ملوكاً أو أمراء وسلاطين انغمسوا في خدور النساء مثلهم إلا خلفاء بني العباس، أما القصورالعثمانية فقد كانت خزينة بشرية للنساء والطواشيه والخدم والحشم والطعام والشراب لقصورهم، فقد كانت القصور مقسمة بانتظام بديع ولا مجال للخطأ لأي من العاملين فيها، فالكل يعرف مهامه ووظيفته نساءً كانت أم طواشية، والكل يدور في فلك السلطان وخدمته، المهمة الأولى لهم جميعاً إرضاء السلطان الحاكم وإدخال السرور إلى قلبه وعرض الجميلات عليه من شرفة غرفته وأمه إلى جانبه، حالما يشير إلى واحدة منهن، تسارع الأم الخطوة لتجميلها وتهيئتها له، وقد يبقى معها ليالي عديدة، وعندها تنصرف والدته لإدارة شؤون الحكم بمساعدة الصدر الأعظم وآغا الكزلار (آغا البنات) [4].

---

(1) عامر، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، دمشق، 2003م، ص81.

(2) راضي، تجاوزات سلاطين بني عثمان، مرجع سابق، ص 90 وما بعد.

(3) بيهم، مرجع سابق، ص 135 .

(4) مدونات الكاهن ليون، الورقة 35 وما بعد. (يقال إن المسلمين لولا حوريات الجنة لما دخلوا الجامع)

يجمع معظم المؤرخين التاريخيين أن التوسع الذي تم في عهد السلطان سليمان القانوني جسدّ مقولة في أذهانهم هي: الاكتفاء بما ملكوه من أراضٍ وأملاك[1].

أولاً – سراي سلاطين النشأة والتوسع 1324–1413م :

صحيح أن قادة العشيرة العثمانية لم يعتادوا السكن ضمن قصور حجرية، فخيامهم مفتوحة أمام الجميع، وقائد القبيلة لا يعرف خصيان طواشيه سود وبيض ولا جواري ولا حرملك ولا سلاملك، ولم يخلع يوماً ثيابه الحربية، ولم ينم يوماً قرير العين، لأن قبيلته تعيش غير آمنة على نفسها من أعداء يتربصون بها منذ أن استقرت في غربي الأناضول في سكودا، فقد هاجمت المناطق التي حولها ومن ثم انتقلت للاستقرار في اسكي شهر (المدينة القديمة) وهاجمت أيضاً المناطق المجاورة لها وأخضعت الجميع لنفوذها، ومن ثم وصل نفوذها إلى مدينة بورصه سنة 1324م فقرر أورخان غازي اتخاذها عاصمة له، لقد بَنى فيها قصراً، عملياً لا يقاس بالقصور التي بنيت في استانبول منذ فتحها، لأن الوقت في بورصه لا يمكنّ الغازي أورخان من الاسترخاء، لأنه لا يزال في حرب مع الجميع، وقصره مهمته ضبط الإدارة وتحميل المسؤولية لمن يسند إليه مهمة إدارته، فالغازي أورخان يقود مقاتليه لضرب أعدائه، وجهازه الإداري في قصر بورصه مهمته ضبط شؤون البلاد وربطها بشكل يؤمن تنظيم شؤون الدولة الحديثة الناشئة.

لم يتصور سلاطين النشأة الأوائل أن الحياة قد تصفو مشاربها لهم ولأبنائهم، لأنهم اعتقدوا أن القتال مع البيزنطينيين، قد يمتد لآخر العمر، ومن سينتصر أيضاً هو آنذاك في عالم المجهول، وإن ختام الحرب شهادة لا مفر منها، وكان الاعتقاد بالانتصارعلى العالم المسيحي شبه مستحيل، بناءً على تصور الغازي عثمان والغازي أورخان والسلطان مراد الأول ويلدرم بايزيد.

(1) محمود عامر، الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، دمشق 2001، ص 147.

إن القصور التي بنيت مهماتها إدارية بالدرجة الأولى، وتفيد سجلات الديوان الهمايوني مثل قصر «بورصه» و«أزمير» و«اذنيق»، لم تكن تحتوي على أقسام حرملك وسلاملك، فقد كانت تحوي بهواً كبيراً يستقبل قائد القبيلة آنذاك قادته لرسم مخطط هجومهم، وقد يستغرق اجتماعهم التشاوري حتى منتصف الليل.

إن قراءة معمقة للتاريخ العثماني، يدرك القارئ أن للأعراف والتقاليد دورها، فإذا نجح العثمانيون في مهامهم الحربية، فإن عليهم تطبيق عدالة مغايرة لعدالة قياصرة بيزنطة الذين حكم التاريخ عليهم بالزوال، وسط هذه التجاذبات التي كانت، صعوبات جمة تواجه سلاطين النشأة، حتمت عليهم جعل القصور التي بنيت في أثناء سير العمليات العسكرية للدولة حصراً، وأن تكون مغايرة لقصور من سبقهم من ملوك الإمبراطوريات[1].

لقد اتصفت السرايات العثمانية بصفة بانيها، مثل سراي بورصه وازمير وإذنيق وأدرنه، شهدت إعداد أجيال من الإنكشارية، وبتعبير آخر فهي أشبه بمدارس عسكرية، لأنها الخزان الرئيس لتزويد الجيش بمقاتلين لحسم معاركهم مع الأعداء بأقصى سرعة، وتفيد سجلات الديوان الهمايوني، بأن العثمانيين لدى اصطدامهم مع أعدائهم، لم يكونوا يتركون لهم فرصة لاستراحة المحاربين لا لهم ولا لغيرهم.

من هذا المنطلق، فإن القوات البيزنطية لم تكن معتادة على الحرب الخاطفة، أما الأتراك فهم بدو لا يعرفون النعيم ولا حتى الراحة، إما حل وترحال أو نهب وسلب للغير، فكيف لا يقاتلون القوات البيزنطية ليل نهار، وخاصة الأوائل منهم لم تبدل واقعهم كمحاربين، وأن النعيم كان وقفاً على السلطان الحاكم

(1) أشار المؤرخ حكمت قفلجملي في مؤلفه (التاريخ العثماني) في أكثر من موضع إلى دور السراي الهمايوني، كذلك فقد أشار جودت باشا إلى الدور المهم الذي أدته سراي آل عثمان، في حين حملّ (بيهم) سراي آل عثمان مسؤولية انهيار الدولة.

وأبنائه، غير أن تبدلاً خسرته القبيلة هو عدم اجتماع قائد القبيلة (السلطان الحاكم) بهم بعدما أصبحت القسطنطينية عاصمة لهم سنة 1453م[1].

لقد سارع العثمانيون لفصل حريمهم عن الغير، وأحكموا مسألة العزل ودأبوا عليها حتى انهيار الدولة العثمانية سنة 1924م، وأقاموا لضيوفهم ولقادتهم قسماً خاصاً بهم، أما المربيات والخصيان فقد توزعت مهامهم ما بين زوجات السلطان والسلطان نفسه[2].

إن القارئ للسراي الهمايوني يلحظ أن السلاطين لم يعرفوا الازدواجية في سراياهم، وبالوقت نفسه فإن أبناءهم فقدوا بتلك السرايا حنان الأمومة وحتى الأبوة، لأنهم تربوا على أيدي جاريات اختلفت قومياتهم، ولهذا أسرفوا في فساد هؤلاء الأبناء[3].

1 – سراي بورصة Bursa saray :

لقد ذكر ابن بطوطة في رحلته أنه زار بورصه سنة 733هـ/1333م عندما كان الغازي أورخان على رأس دولته الناشئة، وتضيف المصادر العثمانية أن ابن بطوطة هذا توجه بعد بورصه إلى مدينة إذنيق İznık والتقى هناك مع زوجة الغازي أورخان بيلون خاتون Bilun Hatun لأن الغازي أورخان، كان قد اتخذ من مدينة إذنيق iznık مركزاً له، وعهد إلى زوجته بالإشراف على ضبط الأمور فيها، وقد كان من أول أعمال الغازي الخيرية مدرسة وعمارة في إذنيق، وأقام في بورصة Bursa قصراً لإدارة شؤون دولته أو مركزاً رئيساً للدولة المرتقبة مع بناء جامع فيها[4].

إن السراي الذي بناه الغازي أورخان في مدينة بورصه Bursa، بعد ما تركه حوّله إلى مدرسة لتنشئة الغلمان الذين تم جمعهم بموجب نظام الدوفشرمه.

---

(1) إسماعيل حقي، عثمانلي تاريخي، انقرة 1954، ج 1، ص 158.

(2) خضر بك، لطائف الأندرون، استانبول، 1276هـ، ص 137.

(3) بيهم، مرجع سابق، ص 14 وما بعد.

(4) İbni batuta, seyahat name sene, 1333, C.I,s 342.

لم تفدنا المصادر آنذاك عن أقسام سراي بورصه Bursa saray، وقد أشار أولياء جلبي أن سراي بورصه، تم بناؤه داخل القلعة، وظلت الأمور كما هي عليه حتى زمن محمد الفاتح 1451-1481م[1]، وقد وجد في هذا السراي مدرسة وحديقة، ويشرف عليها موظفون مختصون، وفيما بعد شكل أوجاق البستانجية[2].

إن سراي بورصه، لم يكن سراي رفاهية، وإنما هو سراي استراحة محارب، ونقطة مراقبة للأجهزة الإدارية التي أسسها الغازي أورخان، وما إن انتقل خلفاؤه من بعده من بورصه حتى غدا قصرها (saray) منتجعاً صيفياً لسلاطين القرن السادس عشر، ومدرسة لتخريج عساكر الدوفشرمه، كما تحولت المدينة كمقبرة لآل عثمان بدءاً من أورخان حتى السلطان بايزيد الأول الذي حوّل المدينة إلى ملهى لملذاته ، غافلاً عن نوائب الزمان ومفاجآت الأيام[3]، فظل في قصر بورصه Bursa saray يستمتع بملذاته حتى جاءه رسول تيمورلنك ملك التتار ينهيه عن هذه الغفلة، فأغلظ له الجواب، فانصرف الرسول ونقل إلى ملك القسطنطينية، وملكه تيمورلنك الذين تحالفوا ضده[4].

لم يدرِ السلطان بايزيد الأول بتحركات أعدائه حتى غدا تيمورلنك على أبواب سيواس، وقتل أرطغرل ابنه الذي قرر التصدي لتيمورلنك بقوات غير مؤهلة ولا توازي قوات تيمورلنك، وفي أثنائها كان بايزيد غارقاً في سراي إذنيق، ومنذ ذلك التاريخ بدأ سلاطين آل عثمان يهيئون قصوراً لممارسة لذاتهم، وبخاصة بعد موت يلدرم بايزيد[5].

---

(1) Evliya çelebi, seyahat name, 1440,c.3, s 10.

(2) اشتقت لفظة بستانجي من البوسنة، وقد عرف عن سكانها مهارتهم في تنظيم وتربية الأزهار، بشكل ملفت للنظر، للمزيد، مدحت سرت أوغلو، التاريخ العثماني المصور أنقره 1958، ص 49.

(3) آصاف، مصدر سابق، ص 41.

(4) Ismail haaki uzun çarşIlI, osmanlı tarihi ,Ankara, 1964, C.169.

(5) تسترت معظم المصادر العثمانية عن سبب موت بايزيد الأول، فقد تزوج من ابنة ملك الصرب أوليفيرا التي رفضت الزواج به، قائلاً لها إن بايزيد لا يحمل من الإسلام إلا اسمه فوالدته مسيحية فقبلت الزواج به شريطة أن تبقى على مسيحيتها، فقبل بايزيد وتزوج بها بعدما دفع تكاليف باهظة، أفقر الخزينة، وحينما وقع في الأسر، جاءته =

لم تفدنا المصادر عن مكونات سراي بورصه، وقد أشار أولياء جلبي إلى أن سراي بورصه خلال المراحل الأولى، كان مؤسسة حكومية تدير دويلة في طور النشأة ، ولهذا فلم يكن لدى الغازي أورخان والسلطان مراد الأول متسعاً من الوقت، لأن حماية دويلتهم كانت شغلهم الشاغل، وقد ترك مراد الأول لابنه يلدرم بايزيد دويلة قوية مرهوبة الجانب، لهذا انصرف مطمئناً إلى ممارسة اللهو على حساب دويلة لا تزال في طور النشأة.

وأضاف أولياء جلبي أن قصر بورصه (سراي) كان يتألف من عدة أقسام، لكن قسم الحرملك، لم يكن أكثر من جناح صغير، علماً بأن الغازي أورخان قد تزوج بثلاث فتيات .

2 – سراي أدرنه Edirne saray :

أسلف البحث سابقاً أن استمرار قتال العثمانيين للروم البيزنطيين أوصلهم إلى مدينة بورصه Bursa şehri، ومنها دأب خلفاء الغازي أورخان على مواصلة عملياتهم الحربية، فوصل السلطان مراد الأول إلى أدرنه Edrine سنة 767هـ/1365م[1]، فعمل على نقل مركز دولته إليها، تاركاً بورصه كعاصمة لدولته الناشئة واتخذ السراي القديم Eski saray مقراً ومركزاً لإدارته، ومنها بدأ بمهاجمة أعدائه الذين بدؤوا بالتحالف ضده، وذلك سنة 792هـ/1389م في

بأحلى زيها للتشفي به، وحينما رآها يلدرم بايزيد مات قهراً، منذ ذلك التاريخ أقلع خلفاؤه عن الزواج بالنساء الحرائر (الحرة هي التي تأتي لزوجها على هودج) وبدؤوا الزواج بالجواري المستوردات، للمزيد:

Ali darem, poadışah analarI, Istanbul, 1996, s.119.

(1) لُقب مراد الأول بـ خداونكار، أي الله، اذاً فهو مراد الله، أما مدينة أدرنه فاسمها بالرومية (أدريانا بوليس) نسبة للإمبراطور أدريان الرومي الذي توفي سنة 138م، وتقع على ملتقى ثلاثة أنهر، ولهذا نقل مركز السلطنة إليها، واستمرت عاصمة لهم إلى فتحت القسطنطينية سنة 1453. وللمزيد : محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، القاهرة 1998، ص 129.

معركة (قوص أوه)، ثم بنى يلدرم بايزيد قصراً في أدرنه عُرف بالقصر الجديد (السراي الجديد Yeni saray) .

لم يقم السلطان مراد الأول ببناء القصر(السرايلر)، لأن أعداءه كان يحيطون بهم، ولكنه قام بتوسيع السراي القديم، وخصص قسماً للضيوف ورجال دولته وسماه السلاملك، أما القسم الثاني فقد خصصه لزوجته ماريا (كل چيچك) أي وردة الأزهار، وقد أنجبت له أربعة أولاد وفتاة واحدة، لكن مقتله من قبل صربي سنة 1389م أنهى حياته وتولى السلطة بعده ابنه يلدرم بايزيد.

لقد ضم سراي أدرنه القديم Edirne eski saray الديوان خانه Divanhane وعدة غرف Odalar، وعنابر Anberler أي مخازن متنوعة المهام، ومقرات لأوجاق البستانجية Bostanciye [1]، وفي عهد السلطان سليمان القانوني 1520–1566م أصبح مخصصاً لإقامة غلمان البلاط (ايج أوغلانلر).

أما السراي الجديد، فقد طوره السلطان محمد الأول بشكل فني متميز، وقسمه إلى أقسام عدة، وأفادت معظم المصادرالعثمانية أن سراي أدرنه Edirne saray بني سنة 1457م، لكن حريقاً أصابه سنة 1459م فدمره بصورة كاملة، فاضطرالسلطان محمد الثاني إلى إعادة إصلاحه وترميمه بشكل فني متميز، وعلى الرغم من أن أدرنه أصبحت مركزاً للدولة في عهد السلطان مراد الأول، لكن بورصه ظلت موضع اهتمام جميع سلاطين آل عثمان، لأن مؤسسي الدولة (الغازي عثمان والغازي أورخان) دفنا في مدينة بورصه، ولهذا توجهت أنظار خلفاء السلطان محمد الفاتح إليها وإلى قصر أدرنه، وأصبح هذان القصران İki saray موضع اهتمام لتربية أجيال الدفشرمة، ومقراً لأولياء العهد، حيث كانوا يرسلون لتلقي العلوم والتربية في سراي بورصه وسراي أدرنه، أما السلاطين فكانوا يترددون إلى ذاك القصرين İki saray للترويح عن النفس،

---

(2) أوجاق البستانجية، مهمته الخدمة داخل السرايا وخارجه، ومهمته الاهتمام بالحدائق والبساتين ومهمات أخرى متفرقة، وهم مرتبطون بالسلطان الحاكم مباشرة، وهم من نتائج الدفشرمه وفي بادئ الأمر عملوا مطولاً إلى جانب المزارع التركي للمزيد :
Midhat sert oğlu, resimli osmanılı tarihi, Ankara,1958.s49

فكانوا يترددون إلى تلك القصور لقضاء ساعة من اللهو والمجون بعيداً عن زوجاتهم، وقد أجمعت المصادر العثمانية على تسمية العاصمة (باي تخت Payi tahit) وخاصة السراي الجديدة Yeni saray واهتم به السلطان سليم الثاني 1566–1574، والسلطان أحمد الأول 1603–1617م ، والسلطان إبراهيم الأول 1640–1648م، والسلطان محمد الرابع 1648–1687م، وكان من أبرز أقسامه :

قسم الحرملك، وخاص أوضه، وخرقة السعادة ، والخزينة للمؤن، وعنبر لآغوات باب السعادة وأقسام للبلطجية ودوائر متنوعة[1]، وقد أحب السلطان محمد الرابع (الصياد) قصر أدرنه كثيراً، وقضى معظم فترة توليه العرش في الصيد في مناطق أدرنه، وكان يستريح في القصر الجديد حيث كلف البستانجية بتربية الورود والأزهار في حدائقه، وطلب إليهم تنظيمه بشكل جذاب، ويقال إن مساحته زادت 70,000 م، وكان نهر التونجه بالقرب منه، كما بنى السلطان محمد الرابع كشك Köşk على النهر، وأمر ببناء ثلاثة جوامع شريفة في أدرنه بالقرب من القصر[2].

لم يهمل سلاطين بني عثمان سراي أدرنه بعد فتح استانبول، وكان السلاطين يقومون بزيارته باستمرار، لكن مركز الدولة وإدارتها انتقلت إلى مدينة القسطنطينية التي بنيت من قبل قسطنطيين سنة 330م[3].

لقد أنشئ جسر ما بين القصر الجديد والغابة المجاورة له، وأطلق على القسم الشمالي من القصرالجديد اسم باب همايون Bab-I Hümayun ، في حين

---

(1) البلطجية BaltacI، عناصر من الإنكشارية مهمتها الخدمة داخل السراي، وقد أسندت إليهم مهام من أبرزها تقدم القوات لقطع الأشجار التي تعيق تقدم القوات النظامية، وسوف تضم ملاحق البحث صور لسلاطين عثمان وإنكشاريتهم وغلمانهم وقصورهم.

(2) Yaşar Ahmet, Türk tarihi arkivi, Istanbul ,1298,s 22.

(3) بعدما بَنى قسطنطين مدينته القسطنطينية سنة 330م سمى دولته بيزنطة إحياء لمدينة بيزنطة التي بناها اليونان سنة 568 ق.م ، للمزيد : محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، مصدر سابق، ص 156.

أقيم في القسم الجنوبي قرب الباب (قصرالعدالة Kasr-I adalet) ، كـذلك فقـد أنشئ فيلا Kȯşk وحديقة في الجهة الشمالية، كما وجد بين الساحة والعنبر مساحة استخدمت كمدخل للسراي (القصر) [1].

أقام السلاطين حديقة للسراي القديم، وكذلك أقيم سور سميك من ناحية نهر تونجه Tunca، وبنوا ساحة كبيرة سميت الحرم الهمايوني مؤلف من سبعة غرف مع حوض، وكان أول من أنشأ دائرة الحـريم السـلطان أحمـد الأول 1603-1617م، وزيّنها السلطان مراد الرابع 1623-1648م[2].

لقد تميز القصر الجديد بالسورالكبيرالذي أنشأه السلطان محمد الرابع الملقب (الصياد) 1648-1687م، نظراً لأن معظم أوقاته كـان يمضـيها فـي أدرنـه وقصورها[3].

ثانياً – سراي سلاطين الاستيلاء والفتوحات 1413-1595م :

لقد تبدلت نوايا السلاطين الذين يمثلون مرحلة الاستيلاء والفتوحات نتيجـة ما حل بالسلطان يلدرم بايزيد الأول 1389-1402م إثر هزيمته أمام تيمورلنـك وموته قهراً، لأن زوجته أوليفرا الصربية التي جاءت بأحلى زينتها للتشفي بـه[4]، منذ ذلك التاريخ حدث تحول في بنية الدولة وفي عقلية سلاطينها، وقد بـدأ هـذا الدور بتولي محمد الأول سنة 1413-1421م، عرش السلطنة بعدما انتزع ملـك آبائه وأجداده من أخوته الستة، وأعاد بنية الدولة كما كانت سـابقاً موحـدة قويـة البنيان، ولقب نوح السفينة ومنقذ الأمة، خلفه على سدة العرش ابنه مـراد الثـاني الذي ضرب بشدة أعدائه الداخليين، وشن حملات صاعقة ضد أعدائه الخارجيين، وضمّن لابنه محمد الفاتح عرشاً قوياً وملكاً مرهوب الجانب[5].

---

(1) Evliya çelebi, seyyahat năme (مصدر سابق).C.3S. 550.

(2) Ismail haki, saray teşkilatı (مرجع سابق) .s 12.

(3) Selim razı oğlu, edirne sarayları, Ankara, 1928.s 159.

(4) عامر، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، مرجع سابق، ص 103.

(5) Ismail hakki, osmanılı tarihi, Ankara ,1954,s 89.

لقد كان محمد الفاتح يحلم بفتح القسطنطينية، ولهذا أعــدّ جيشــه لفتحهــا، وباشر بمهاجمتها بعد استلامه العرش بسنتين أي ســنة 1453م، وتمكــن بقــوة عزيمته وشجاعة محاربيه من دك عرش البيزنطيين، وبانتصــاره بــدل الوجهــة التاريخية للأتراك العثمانيين وبدل عجلة الزمن أيضاً[1].

أدرك محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية ضرورة تثبيــت ملكــه، ولاســيما بعدما اتخذ مدينة القسطنطينية عاصمة لدولته وسماها (إســلام بــول) أي مدينــة الإسلام، وبعدها التفت لتثبيت دولته وتوطيد أركانها فبدأ ببناء السراي ولاسيما بعد أن أصدر قانون نامه.

1 – السراي العتيق Atik saray:

لقد عامل الفاتح المسيحيين عامة ومسيحيي استانبول خاصة معاملة حســنة حيث أبقى لهم كنائسهم وأديرتهم، ومنح رهبانهم صلاحيات واسعة كإدارة شــؤون رعاياهم المسيحيين، أما الكنائس الصغيرة فقد أمر بتحويلها إلى مساجد وجوامع له ولقواته[2].

وقد تم العثور على دير قديم مهمل في وسط استانبول، فأمر بهدمــه لبنــاء سراي (قصر) لإدارة الدولة وبعدما اكتمل بناء السراي دُهش من جماله وموقعــه غير أنه رفض الدخول إليه، وأجاز لقادته تدريب عناصر الدوفشرمه فيه، وقد ظل ايج أوغلانلر (الغلمان الداخليون) يتدربون به حتى حدوث الوقعة الخيرية والقضاء على الإنكشارية سنة 1826م، وقد أمر السلطان محمود الثاني بتحويله إلى متحف تاريخي ولا يزال حتى تاريخه[3].

لقد قدم السراي العتيق خدمات كبيرة من حيث تنشئة أجيال متعــددة مــن الإنكشارية التي شكلت قوة الدولة العثمانية وعماد قوتها وهيبتها .

---

(1) المحامي، مرجع سابق، ص 160. (يعد قانون نامه للفاتح بداية تنظيم الدولة).

(2) إسماعيل حقي ، دولت عثمانية سراي تشكيلاتي، أنقره 1966، ص 275.

(3) حقي، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ج3، ص 470.

2 – سراي الطوب قابي Top kapı saray [1]:

بنى العثمانيون الأتراك قصوراً كثيرة ومتنوعة لأبنائهم وأحفادهم، وحكموا ولاياتهم من خلالها، وعليه توافد الأمراء والملوك والحكام، ودوّن على الباب الرئيس المسمى باب همايون عبارة تقول: **(السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم).**

من الصعب وصف محتويات السراي (القصر) كون مساحته تزيد عن 700,000 م ويحيط به سور بطول 2,5 كم وعليه عدة أبراج للحراسة، وتخلله عدة أبواب يدخلها الخدم والحشم والمنابون والكتّاب والخصيان سود وبيض[2].

أما القصر (السراي) فلقد بني على شكل مثلث وله ثلاثة أبواب رئيسية، باب همايون، وباب السلام، وباب السعادة، وسمي بالطوب قابي، لأنه عُدَ حارس على بحر مرمره، ومضيقي البوسفور والدردينل، إضافة إلى أن معظم أقسامه الداخلية بنيت من الأخشاب التي رتبت ووضعت بشكل فني خلاب، ومن باب همايون ترى كنيسة آيا صوفيا Aya sofya [3]، ويليه داخلياً ميدان كبير، وعلى كل باب فيلا Köşk يتوسط كل ميدان حديقة، نظمت بشكل جميل ورائع[4].

أما أبواب السور فهي، باب الإبط (الساحل) والباب الكبير ويمتد حتى باب الاصطبل وصولاً إلى باب المرعى، وباب السبيل البارد وباب الحديد، ومدخل سراي الطوب قابي، يبدأ من باب الطاحون وصولاً إلى باب السمك، أما الأبواب الداخلية فينفرد كل منها بساحة خاصة به، كباب الحذاء، وباب الضربخانه، أما الباب الثالث فهو الباب الأوسط Orta kapı، وهذه الأبواب جميعاً يطلق عليها باب السعادة، لأن السلطان يقيم في قسم منها .

---

(1) الطوب قابي: تعني باب المدفع، لأنه يشرف على مضيقي البوسفور والدردنيل، ويتمركز على هضبة على شكل مثلث بمساحة تتجاوز 700,000 م2 وسور بطول 2,5 كم للمزيد: Ismail haki, saray teşkilatı (مرجع سابق) s.15.

(2) أكمل الدين إحسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مرجع سابق، ج1، ص153.

(3) المرجع السابقs. Ismail hakki, 16.

(4) سيتعرض البحث إلى موظفي السراي الهمايوني في الفصول اللاحقة.

بنى مهندسو السراي أضلاعاً على شكل مثلث، الضلعان الفرعيان يتجهان نحو البحر، أما الضلع الآخر فهو من جهة البر[1].

لقد بدء العمل بالسراي سنة 870هـ/1465م، وتم الانتهاء منه سنة 883هـ/1478م، ولم يتمتع الفاتح بالجلوس به لأكثر من ثلاث سنوات، حيث دس له السم عندما كان يشرب القهوة في الحديقة المواجهة للباب الرئيس (باب همايون)، الذي يُعد من أكبر أبواب السراي، وقد أقر السلطان محمد الفاتح استانبول عاصمة للدولة (Pay taht) سنة 1471م أي قبل وفاته بعشر سنوات.

لقد قُسم السراي إلى ثلاثة أقسام هي : بيرون[2]، اندرون، والحرملك، وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني أوجد باب مابين أي صلة الوصل ما بين الأندرون والبيرون. ومن أهم أبواب السراي:

1- باب همايون Bab humayum، وهو الباب الرئيس في سراي طوب قابي، وهو يقع على السورالسلطاني الذي يفصل ما بين السراي والمدينة (مدينة استانبول) وفي بادئ الأمر أطلق عليه باب السلطنة، وبهذا الباب ختم أو تم بناء السراي.

2- باب السلام Bab usseLame، وهو الباب الثاني لسراي طوب قابي، ويطلق عليه أيضاً الباب الأوسط Orta kapı، لأنه يشكل المدخل الرئيس لسراي طوب قابي، وقد أقيم على طرفيه برجان، وكان يستخدم للقبض على الوزراء والصدورالعظام وذلك لأن دخولهم إلى سراي طوب قابي يتم منه، عندها يوقفه الحراس، ولا يجوز لأية شخصية كانت الدخول إلى السراي راكباً إلا السلطان الحاكم.

3- باب السعادة Bab ussaade، وهو الباب الثالث من سراي طوب قابي، وهو يفصل ما بين البيرون Birun والأندرون Enderun، وهو بالأصل باب خاص بالآغوات، وله مدخلان مقابل جوسق (روان أو رواق) وفيه

---

(1) لقد زار استانبول سنة 1502م، وقدم وصفاً عن سراي طوبقابي Diohssun.

(2) لفظة بيرون فارسية وتعني الخارج، أي الموظفون الخارجيون، وهو يقع ما بين باب همايون وباب السعادة، لفظة أندرون، ويطلق على باب السعادة، ويشمل أقساماً عدة، وسوف يتحدث الفصل عن كل قسم، أما الحرملك، فهو قسم مسكن الحريم وأماكن جلوسهم، للمزيد: Midhet sert oğlu, s.47 ve 90.

أعمدة رخامية، وفيه غرفة العرض حيث يجلس السلطان في مراسم الأعياد[1].

4-الباب العالي وهو مقر الصدرالأعظم أو قصرالسلطة في الدولة.

قسم الحرملك Haremlik kısmı:

ويعرف أيضاً بالحرم الهمايوني، وهو مخصص لسكن السلطان وزوجه وأولاده، وهو يحتل القسم الخلفي من الديوان الهمايوني على يسار الساحة الثالثة من السراي، كما يشرف على القرن الذهبي، ويتكون من عدة سواجق (رواق) إضافة إلى ممرات وشقق ومبانٍ عدة للخدمة من الحراس والبوابين والخصيان سود وبيض[2].

تتولى والدة السلطان الحاكم (السلطانة الوالدة) رئاسة الحرم الهمايوني، وفي حال غيابها تقوم بالمهمة باش قادين أفندي Baş kadıne efendi أي السيدة رئيسة النساء، أما إدارة الحرم الخارجية فهي من مهمة أحد الخصيان.

أما بشأن دائرة الحرملك، فقد كانت أكثر الدوائر في السراي نفوذاً بعد السلطان، هذا إذا كان السلطان قوياً، ويقول خليل غانم نقلاً عن محمد جميل بيهم (ليس بين العوامل جميعها، التي أفضت إلى تدهور السلطنة، عامل يضاهي تأثير الحرم مباشرة وتأثير السراي السلطانية في تقرير المصير) [3].

لقد ظلت دائرة الحرم السلطاني تزداد نفوذاً وتأثيراً على مقدرات الدولة حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، غير أن السلطان عبد الحميد أعاد هيبة السراي، عندما ألغى الدستور ومجلس المبعوثان، وتصرف بالدولة وشؤونها، كما كانت قبل مرحلة التنظيمات الخيرية.

---

(1) محمد زكي بقالين، قاموس المصطلحات والأساليب العثمانية، استانبول، 1954م،ج3، ص537،

- باب همايون، ج1، ص 142. (قدم البحث في قسم الملاحق صور عنه).
- باب السلام، ج1 ص 28.
- باب السعادة، ج1 ص 29.

(2) أولياء جلبي ، مرجع سابق، ص 53.

(3) Kara Ahmet Türk Tarihi, Ankara, 1976, S.330.

لقد بُنى سراي الطوب قابي بمختلف أقسامه بحرفية معمارية متميزة، وكذلك فإن تقسيماته أسهمت إلى حد كبير في تنظيم إدارته بحيث أصبح لجميع العاملين فيه مهام كل فرد سواء كان من الخدم أو من الخصيان (سود – بيض)، كذلك فقد خصص في زاويته الشرقية قاعة كبيرة خصصت للإجتماع بالعلماء والنبلاء وقادة الجيش لدراسة أبرز المشكلات التي تواجهها الدولة، غير أن هذه القاعة أهملت لأن سلاطين القرنين السابع عشر والثامن عشر، تخلوا عن هذه القاعدة، وتركوا للصدور العظام شؤون الدولة[1].

لقد ضم سراي الطوب قابي قاعات عدة بعضها خصص لاستقبال الضيوف، وبعضها الآخر للتبريكات في الأعياد، وتولي العرش سلاطين جدد. والجدير بالذكر، فإن سراي الطوب قابي ضم مكتبة ضخمة حوت أكثر من ثلاثة آلاف من المجلدات العربية والعثمانية القديمة، وقد كانت المصادر العربية تحتل ثلثي المكتبة، ناهيك عن المخطوطات الدينية والفلكية[2].

ما يمكن قوله إن سراي الطوب قابي دلل للقراء والكتّاب والمؤرخين على إن العثمانيين التزموا بالأصول والتقاليد التي ورثوها عن المغول، وأن الباب العالي آنذاك كان عبارة عن خيمة كبيرة، وأن حكومتها تقيم فيه، وقد نصت تلك الأصول أن من أولى واجبات هذه الحكومة إنزال الخان المعظم على الرحب والسعة، وإسكانه وحرمه وعائلته وأقاربه وحاشيته المقام الرفيع[3]، وإذا تسرب الخلل إلى تلك المؤسسة فهذا مرده التحديث الذي تسلل سراً إلى السراي الهمايوني من خلال مواظبة السلاطين على الزواج من الأوروبيات المستوردات قسراً إلى سراياهم[4].

3- غلطه سراي Galata saray :

---

(1) أديب أفندي، تاريخ أديب، استانبول، 1294هـ، ج1، ص 84.

(2) إسماعيل حقي، مكتبة الطوب قابي، أنقرة، 1967م، ص 113.

(3) نعمة أفندي، قانون نامه، استانبول، 1279هـ، ص 95.

(4) نعيم أفندي، تاريخ نعيم، استانبول، 1305هـ، ج3، ص 29.

بَنى سراي غلطه من قبل السلطان بايزيد الثاني 1481–1512م، وقد تم بناؤه على وصية من أحد الأولياء، وقد بنى إلى جانبه جامعاً وخصصه لأوجاق البكطاشيه، كما خصص مهاجع (قاووش) يتسع كل منهم إلى مئتي نفر من الإنكشاريين الجدد، كما بَنى ثلاثة قاووشات وإلى جانبهم حمام ودائرة لضباط السراي، إضافة إلى دار طباعة، كما بنيت أمكنة خاصة بآغا السراي، وكان العاملون في هذا السراي أدنى مرتبة، وقد أطلق عليهم مصطلح رئيس الزاوية Koşebaşı [1].

خصصت الدولة محاسباً للسراي القديم وغلطه سراي وذلك منذ سنة 1552م، كما خصصت لهما عشرين آغا، وأربع عناصر خدمة من دائرة الأندرون وأربعة غرف خاصة Hasodası وخمسة مدرسين وكاتب وإمام وطبيب ومنظف ألبسة وسقا وحمال، وبتعبير أكثر وضوحاً، هُيئت لسراي غلطه عناصر خدمة كاملة.

لقد حظي غلطه سراي باهتمام السلاطين نظراً لتخريجه عناصر دفشرمه بأعداد كبيرة، وكانوا يتمتعون بسمعة جيدة بين أقرانهم الذين تربوا في السرايا الأخرى. كما امتازت السراي بأن الغرفة الكبيرة والصغيرة فيه، عُدّتا نموذجاً جيداً لغلمان الإنكشارية[2].

لم تخصص غرف غلطه سراي، لتدريب أو استقبال ايج اوغلانلر(الغلمان الداخليون) كما هو الحال في سراي الطوب قابي أو غيرها من السرايا، وإنما

---

(1) مصطلح الزاوية أطلق على الموظفين الذين يأتون من دائرة (ايج اوغلانلر) وهم أدنى رتبة من الآغا، وهذا يعني أنهم لا يحق لهم دخول بيوك اوضه وكوتشوك اوضه، للمزيد، مدحت سرت اوغلو، مرجع سابق، ص 111. (لم تتمكن الباحثة من الحصول على صور له).

(2) مصطلح الغرفة يعني مؤسسة، وليس كما يفهم بأنها غرفة، وبتعبير أوضح مثل الغرفة الصناعية أو التجارية، لأنها تضم ثلاثين من الآغوات الغلمان منهم (السلاحدار والركابدار والجوخدار وغلام الدلبند) بحسب قانون نامه الذي أصدره السلطان محمد الفاتح سنة 1461م، للمزيد علي أميري تصنيفي، مادة (دور القانون) وثيقة رقم 24.

خصصتا لإيواء الفقراء والمساكين وأبناء السبيل تكريماً للوالي الذي أنشئ السراي إكراماً له.

لقد قدم غلطه سراي، خدمات جلى للمنتسبين إليه، وحولّهم من متشـــردين إلى أناس صالحين، وحينما تولى السلطان محمود الأول عرش الســـلطنة 1730-1754م زاد اهتمامه بسراي غلطه، كما بنى مكتبة مقابل الغرفة الكبيـــرة، وفـــي أثناء افتتاحها قدمت الحلوى والشراب للحضور تخليداً لأسم السلطان محمود، وقد سميت المكتبة باسمه[1].

4 – سراي ميدان الخيل أو سراي إبراهيم باشا :

At meydan veya ibrahım paşa saray

بُنى سراي إبراهيم باشا أو سراي الخيل مقابل جامع السلطان أحمد الثالث، وهو بالإجمال صورة طبق الأصل عن سراي أدرنه وغلطه سراي، وقد وجد فيه أندرون لإدارة شؤونه الداخلية ترقباً لقدوم السلطان الحاكم لقضاء ساعة من يومـــه فيه، ولهذا فإن العاملين في الأندرون مهيئون للقيام بواجبات السلطان على أكمـــل وجه، كما خصص لتدريب خيالة القابي قول، وقد تربى أعجمي اوغلانلـــر فيـــه تربية حسنة وجيدة، وأتقنوا فيه القراءة والكتابة، وقد بُنى هذا السراي مـــن قبـــل السلطان سليمان القانوني إكراماً للصدرالأعظم إبراهيم باشا، لأنه كان رفيقاً حميماً له[2].

وبحسب القراءات لقد حوّل اسم هذا السراي إلى سراي الخيـــل لأن اســـمه (اسم إبراهيم باشا) كان يثير حفيظة زوج السلطان سليمان (روكسلانه) فتـــآمرت مع رستم باشا، وتمكنا من قتله[3]، ثم عينت رستم باشا صدراً أعظم وزوجته مـــن

---

(1) حقى، دولت عثمانية سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 306.

(2) كوجي بك، مجموعة تشكيلاتي، استانبول، 1319هـــ، ص 51.

(3) حسين مؤنس، الجارية روكسلانه، ومن باب التصويب واستناداً إلى ما قاله الأستاذ المشرف أن العنوان الذي وضع حسين مؤنس فيه خطأ، فروكسلانه تزوجت سليمان القانوني وليس سليمان الفاتح، ربما منحه هذا اللقب الشرفي.

ابنتها مهرماه، كما ألغت اسم إبراهيم باشا وسمته سراي ميدان الخيل، لأن الخيول كانت تروض في هذا المكان قبل بنائه، وقد خصصته بعدما تخلصت من إبـــراهيم باشا للغلمان القادمين من البوسنه والصرب، وفيما بعـــد أصـــبح أشـــبه بمكتـــب (تدريس) أو قشله (ثكنة) [1].

لقد أصبح سراي إبراهيم باشا سنة 1576م خراباً، لأن نوربانو اليهوديـــة زوج سليم الثاني أكملت المهمة بدقة، ونقلت عناصره إلى السراي الجديد، غير أن السلطان محمد الرابع (الصياد) أعاد ترميمه ونقل إليه غلمان أدرنه، وغـــدا هـــذا السراي قاعدة رئيسة لتدريب الإنكشارية[2].

ثالثاً – سراي سلاطين الترهل والجمود 1595–1676م :

دأب سلاطين القرن السابع عشر الذين عرفّهم التـــاريخ، بـــأنهم ســـلاطين الجمود والترهل 1595–1676م على الاختباء في خدور النساء، وتركوا مقدرات الدولة بأيدي السفلة ورواد الفساد من الإنكشارية ومؤيديها، وجلَّ ما فعلـــوه أنهـــم تسللوا سراً لتوقيع معاهدات إذعان مع أعداء الدين والدولة، مـــرددين اســـتانبول تكفينا، غير أن هذا القرن شهد طفرات قوة مثّلها مـــراد الرابـــع 1623–1640م والملقب بالسلطان الأسود لإعدامه مفتي بورصه وإذنيق، ودس السم إلـــى مفتـــي استانبول، كما قام بتهجير أعداد من الأكراد والتركمان وبعـــض الأســـر التركيـــة المشاغبة إلى ولاية بلاد الشام، لكنه ورغم ذلك تمكن من استعادة بغداد والقضـــاء على فخرالدين المعني الثاني وأعدمه سنة 1635م، غير أن ولاية اليمن طـــردت الولاة العثمانيين من جزئها الشمالي بفضل المقاومة الزيدية التي تصدت بشراســـة إلى الولاة العثمانيين لممارستهم الظلم.

لم يبدِ سلاطين آل عثمان أي تحرك حول ولاية بلاد الشام أو غيرها، ولهذا تعرضت الولايات إلى الفوضى وأعلنت الإنكشارية ثورتهـــا، غيـــر أن الســـلطان

---

(1) اسماعيل حقي، مرجع سابق، ص 397–400، كوجي بك، مصدرسابق، ص 66.

(2) كوجي بك، مصدرسابق ص 66. (لم يتمكن البحث من الحصول على صور له).

محمد الرابع الملقب بالصياد قام بمحاولات من خلال الصدورالعظام من آل كوبريللي، ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء عليها وتلاها ثورات الأمراء، وهكذا عاشت الإدارة في اضطراب شبه دائم، واكتفى السلاطين بالتستر خلف الصدر الأعظم، ولم يكتفوا بالاختباء، بل امتنعوا عن القيام بأي نشاط عمراني يخلد ذكراهم حتى داخل استانبول، ويعلق المؤرخون العثمانيون أن معظم سلاطين مرحلتي الجمود والتقهقر ومرحلة الإنحلال والترهل /1595–1676م/ و/1676–1828م/، لم تطء قدم معظمهم خارج سراي الطوب قابي[1].

ويُعد السلطان أحمد الأول السلطان الوحيد الذي اتخذ إجراءات مهمة مثل إلغاء مسألة قتل الأخوة واستبدلها بوضعهم في الغرفة الحديدية، كما بنى سراي استاوروز İstavruz saray، وتفيد معظم المصادر أنه بناه إكراماً لوالدته هاندان اليونانية التي اختطفت من بلادها من قبل رجال البحر، وتزوجها السلطان محمد الثالث سنة 1595–1603م، لأنها أوصلته إلى سدة العرش، فبنى لها هذا القصر (السراي) من باب برّ الوالدة.

1 – سراي استاوروز İstavruz saray :

يقع سراي استاوروز في منطقة البيلربي Beylerlbey، وعندما زار السلطان أحمد الأول تلك المنطقة، قرر أن يبني سراي، وعندما علمت والدته بذلك رجته أن يسميه سراي الصليب (استاوروز)، لأن الكلمة تحمل عدة معانٍ، وكان الموقع يشرف على جزء من مضيق البوسفور والقرن الذهبي معاً، كما أمر بتخصيص قسم من هذا السراي لأن يكون جامعاً، والقسم الآخر للغلمان الداخلين وغلمان الباب[2]، وأن تحول الحديقة المجاورة إلى أبنية تابعة للسراي، وخصص الجزء الشمالي إلى غرفة كبيرة وغرفة سفرة مخصصة للغلمان، في حين خصصت الجهة الغربية كغرفة خاصة[3]، أما الجزء الجنوبي فتم تخصيصه

(1) حقي، دولت عثمانية سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 16.

(2) حقي، دولت عثمانية سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 14.

(3) Müstfa safi efendi, zübdet-üt, tevarih, varak, S 293.

للغلمان، في حين خصصت الجهة الغربية كغرفة خاصة للخزينة والمؤن وإلى جانبهما قاووش خاص بالغلمان، وحينما تولى العرش السلطان مراد الرابع أمر بإخلائه من الغلمان ونقلهم إلى سراي الطوب قابي، علماً بأن السراي لا تزال محافظة على هيكلتها حتى تاريخه[1]، ولم تفدنا المصادر والمراجع عن الدوافع التي دفعت السلطان مراد الرابع لإهمال هذا السراي، فقد بلغت تكاليف بناء السراي وملحقاته أموالاً باهظة بحيث عرضت الخزينة إلى ضائقة اقتصادية[2].

رابعاً – سراي سلاطين النهوض والتجديد 1828–1908م :

شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر محاولات إصلاحية خجولة من قبل سلاطين تلك المرحلة، وتجلت إصلاحاتهم في التعليم المدني والعسكري تخوفاً من إثارة حفيظة الإنكشارية التي هي الأخرى كانت تطالب بالإصلاح، لكن على طريقتها بمعنى إعدادها وتهيئتها وليس استبدالها، وحينما تولى السلطان سليم الثالث العرش تجرأ في إصلاحاته، حيث حاول إنشاء فرقة جديدة إلى جانب الإنكشارية التي ثارت عليه وعزلته سنة 1807م، وعينت مصطفى الرابع الذي عزل هو الآخر، لأنه أعدم السلطان سليم الثالث، وتولى العرش السلطان محمود الثاني الذي أوغل في إصلاحاته، وحينما ثارت الإنكشارية عليه ضربها فيما يسمى الواقعة الخيرية 1826م، وبذلك يكون السلطان محمود الثاني أول سلاطين الإصلاح.

سار السلطان عبد المجيد على خطة والده في الإصلاحات، وباشر في تنظيم البلاد حيث أصدر كلخانه خطي سنة 1839م، لكنه ارتأى أن إصلاحاته غير مكتملة، لأنه يعيش وسط غابة من الذئاب البشرية التي لا هم لها سوى التآمر على السلطان وحياكة الدسائس ضده والتآمر عليه، وتسعى للتخلص منه، فقرر

---

(1) Raşit tarihi. C.5,s. 427.(بعض المصادر سمته سراي البيلربي (الملاحق)

(2) Ismail hakkI uzun çarşıLı, osmanIı tarihi, (مرجع سابق) c.3,s. 236.

بناء سراي يمثل المرحلة التنظيمية التي خطاها بمساعدة الدول الأوروبية (فرنسا وبريطانيا)[1].

1 – سراي دولمه بغچه DoLam bahçe saray:

ارتأى السلطان عبد المجيد ومساعدوه بناء السراي الجديد على ضفاف البوسفور فاستغل وجود خلجان بالقرب من الموقع، فأمر بأن يملئ أحدهم ثم بنى السراي فوقه، لهذا سمي دولمه بغجه أي الحديقة المملوءة، بوشر ببنائه سنة 1843م، وتم افتتاحه سنة 1850م، وجُمّل السراي بأسوار وحدائق سنة 1856م، وقد كان السراي قطعة معمارية متميزة، فاق قصورالعالم معمارياً وفنياً، وبلغت تكاليف بنائه سبعين مليون فرنك ذهبي[2]، وحينما سأل مدير الخزينة الخاصة عن تكاليفه، أجابه بتواضع جم، مولاي صاحب الخلافة إنه لم يكلف إلا مبلغاً زهيداً، لقد كانت ثلاثة آلاف وخمسمائة قرش كافية له، وبالطبع فإن المدير كان يريد القول إن الخزانة لم تخسر إلا قيمة الورق وأجُرته لإصدار كمية من الأوراق المالية التي تعرف بالقائمة[3].

لقد تكوّن السراي من ثلاثة أقسام تقليداً لأقسام الطوب قابي :

1) القسم الهمايوني: وهو قسم السلاملك، يحتوي على قاعة للمعايدة والتشريفات أو للحفلات الرسمية.
2) الحرم الهمايوني: قسم الحرملك، وقد بني بشكل فني أكثر مما هو موجود في سراي الطوب قابي، لأن سراي طوب قابي بناه الفاتح مقراً لإدارته وقواته[4]، وتقسيماته طورها خلفاؤه من بعده، فكلما تولى سلطان كان يقوم ببناء غرف إضافية.

---

(1) Ismail hakkı uzan çarşılı, (مرجع سابق) c.4, s 180.

(2) Mustaf effendi, dolam bahçe saray davri, Ankara ,1913, s 179.

(3) محمود عامر، الدولة العثمانية، تاريخ ووثائق، دمشق، 2001، ص111.

(4)السلحدار، تاريخ السلحدار، استانبول 1311هـ، ج3، ص 270.

3) المابين: وهو يتوسط القسم الهمايوني وقسم الحرملك، وقد ضم عدداً من الكتبة والمترجمين والمراسلين والبوابين وإدارة الأقلام الأساسية والأقلام التابعة[1].

لقد بُنى السراي بشكل طولاني بموازاة المضيق، في حين يشرف القسم الأمامي على منطقة بشكتاش (الأحجار الخمسة)، والقسم الجنوبي على (قبة طاش) كما بُنى جامع مقابل البحر سمي جامع دولمه بغچه، وقد بلغت مساحة السراي 16670 متراً مربعاً.

صنع القسم الداخلي من السراي بمرمر يسمى (صو مرمري) أي مرمر الماء، ومن المرمر الملون، باب السلطنة للسراي يشرف على الشارع العام، وقد وجُد للسراي 10 أبواب، كما بنيت فيه صالة زرقاء مساحتها 2000 م^2، وهي مخصصة لمعايدة النساء، أما قسم الحرملك فقد بُني هو الآخر بفنية متميزة، وضم أربعة أجنحة مثل جناح السلطانة – الوالدة، والأجنحة الأربعة خصصت لزوجات الباديشاه، أما صالة المباركة للسلطان فقد بلغت مساحتها 2225 م^2، وتستند أسقف السراي الأربعة على 56 عموداً ارتفاع كل منهم 36 متراً، تتوسطهم ثريا من الكريستال الخالص زنة 4,5 طن، وتشتمل على 750 شمعة، أهدتها ملكة بريطانية له في أثناء افتتاح السراي، كذلك فقد اشتمل السراي على آلاف المصابيح التي تضيء السراي، فصالة المعايدة احتوت على 4500 شمعة وفيها افتتح السلطان عبد الحميد الثاني مجلس المبعوثان وذلك بتاريخ 1877/3/19م.

تختلف القراءات في جمال سراي دولمه بغجه (الحديقة المملوءة) فالبعض قرأه على أنه كنز معماري متميز، والبعض الآخر قرأه على أنه تراث قديم حديث أي جمع ما بين الفن السلجوقي والفن الغربي المتطور، وعلى الرغم من أن السلطان عبد الحميد الثاني بنى لنفسه سراي حديث، لكنه كان يتقبل المعايدة من كبار قادته والسفراء في الصالة التي خصصها عبد المجيد لتلك المناسبات[2].

---

(1) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية،2ج، استانبول، 1990، ج1 ص 305 وما بعد.

(2) Ahmed deyar bekIr oğlu, dolma bahçe masilidi, Ankara, 1959 ,s 29.

2 – سراي چراغان Çırğan saray:

بني سراي چراغان في منطقة اورطه كوي (القرية الوسطى Orta köy) على الساحل الأوروبي لمدينة استانبول، أي بالقرب من مضيق البوسفور، وهو يقع شمال سراي دولمه بغچه، وقد بني على شكل مستطيل نظراً لتعدد غرفه وأبنيته، وكان في بادئ الأمر عبارة عن مجموعة أبنية خشبية، لأنه اتخذ كمصيف لسلاطين النهوض والتجديد[1]، وقد تردد إليه السلطان سليم الثالث والسلطان محمود الثاني، غير أن السلطان عبد المجيد كان تردده إليه محدوداً قياساً بمن سبقه من السلاطين الذين واجهوا أزمات حادة فإن السراي كان مهربهم من تلك الأزمات[2].

لقد فكر السلطان عبد المجيد بهدمه وإعادة بنائه لحسن موقعه وللهدوء الذي يلفه، لكن الموت اختطفه قبل تنفيذه لفكرته، فسارع السلطان عبد العزيز فور توليه العرش إلى إعادة بنائه بشكل منظم، وقد نفذ فكرته سنة 1863م.

وتفيد المصادر وبعض المراجع وخاصة يلماز أوزتونا أن تكاليفه قاربت تكليف سراي دولمه بغجه، وأضاف أن السراي مكون من خمسة أبنية، كما ضم صالة كبيرة مساحتها ألف متر مربع، وتحيط بالسراي حديقة من أطرافه الثلاثة ما عدا الجهة المقابلة للمضيق حيث يبلغ طولها قرابة 750م[3].

لقد سجن السلطان عبد العزيز في سراي چراغان وقتل فيه، ومن بعده سكنه مراد الخامس الذي لم يتولَ عرش السلطنة أكثر من ثلاثة أشهر، في حين قضى حياته مع عائلته في سراي چراغان مسجوناً مدة 28 عاماً، وفي عهد المشروطية أصبح مخصصاً لمجلس الأعيان ومجلس النواب، وقد حاول السلطان محمد رشاد منع ذلك، لكنه لم يوفق، ويعلق أوزتونا بالقول إن مكاناً كهذا مملوء بالمجوهرات والتحف الثمينة، واللوحات الفنية الرائعة، ألا يحق للأعيان أن يدخلوا قصور سلاطينهم ليروا البذخ الذي كان السلاطين يتقلبون به.

---

(1) Müstafa bey atlla, çIrgan sarayinda bahçesi, Ankara ,1979 ,s 129.

(2) ismail hakkI, osmanlı devLetin saray teşkilatı, (مرجع سابق) S 314.

(3) أوزتونا، مرجع سابق، ج2، ص 308.

3 – سراي يلدز Yıldız saray:

إن قراءة هادئة لطفولة السلطان عبد الحميد الثاني تجعلك تسوغ لـــه بنـــاء قصر(سراي) في منطقة كانت شبه نائية، وإن الوصول إليـــه أمـــر فـــي غايـــة الصعوبة، كما تقرأ من تلك الطفولة عدة اتجاهات في ذهنيتهـــا، أبرزهـــا الحـــذر والحيطة من كل البشر.

صحيح أن السرايات تعددت وكثرت، لكن من مرحلة الفاتح مروراً بمرحلة بايزيد الثاني حتى مرحلة سليم الأول ومنتصف مرحلة ســـليمان كانـــت مهامهـــا عسكرية وإدارية بامتياز، وما تلاها من مراحل تجاوزت ثلاثمائة سنة، كانت حياة لهو ومجون، وما خططه الأوائل اقتدى به الأبناء والأحفاد.

أما مرحلة السلطان عبد الحميد الثاني فقد خلت من لهو ومجون، واتصفت بطابع التفرد بالسلطة والتأليه، يضاف إليها حذر السلطان عبد الحميد الثاني ممـــن حوله من نسائه ومن جواريه ومن خدمه، ومن الأسطول فقيـــده بالسلاســـل أمـــام عينيه، أما من حوله فقد سلط الكل على الكل، وأقام كادراً من رجالـــه الســـريين مهمتهم التخلص ممن يسيء لفظاً إلى شخصه.

يُعدّ سراي يلدز مفخرة عمرانية متميزة، فلقد بنـــاه الســـلطان عبدالحميـــد الثاني بشكل متفاوت في الجمال والروعة، فمساحة السراي بلغـــت 500,000 م^2 بني على تلة مرتفعة تشرف على مضيق البوسفور وسراي دولمه بغجه وتراقـــب سراي طوب قابي وتحرك القوى العسكرية المتمركزة فـــي القســـطنطنيية، يقـــع السراي ما بين منطقة بشكطاش واورطه كوي، والمنطقة بكاملها مغطاة بالأشجار منذ زمن موغل بالقدم، وقد تربعت سراي يلدز على الواقع العثماني أكثر من ربع قرن من المشروطية الأولى عام 1876م حتى المشروطية الثانية عـــام 1904م، وتحّكم الباب العالي (أي الحكومة العثمانية) بمصير الدولة بالاتجاه الذي يرضـــي السلطان عبد الحميد الثاني[1].

(1) للمزيد (الملاحق الملحق غالباً دوّن تحت كل صورة اسم السراي العائد له).

بناء على ما تقدم فليس مستغرباً أن يقيم هذا السلطان سراي بين أشجار الغابات، يحكم دون أن يُرى، ويؤله من خلال عيونه وقادته ومؤيديه[1].

يُعدّ سراي يلدز (قصر النجمة) من أكثر سرايات بني عثمان مهابة، وهو يقع بين منطقة بشكتاش (بشكطاش) واورطه كوي على قمة هضبة كانت سابقاً حديقة أميرية، وفي وسطها كشك كان يتردد إليها الأمراء وكبار القادة للترويح عن أنفسهم، وكانت تلك الحديقة تسمى حديقة (قازنجي أوغلو) أي ابن الحفار، وقد حوّلها السلاطين العثمانيون بعد سقوط استانبو 1453م إلى حديقة لهو ومسامرة، وقد سميت يلدز لأن الكشك الذي يتوسطها، كان أشبه بنجمة وسط غابة من الأشجار الباسقة، وهناك روايات تذكر أن السلطان سليم الثالث 1789–1807 م سماها يلدز تيمنا بوالدته، في حين يذكر يلماز أوزتوتا أن السلطان عبد المجيد سماها باسم زوجته الثالثة (كوزده Güzde) المسماة بيلدزهانم[2].

كان سراي يلدز مجموعة من الأبنية التي طورّها السلطان عبد الحميد الثاني لتغدو سراياه منظمة ومكونة من الإقليم التي تكون منها سراي الطوب قابي، لكنها ليست في بناء واحد كما هوالحال عليه في سراي الطوب قابي، وإنما مجموعة أبنية مقسمة ما بين باب همايون وباب السعادة والحرملك. وقد أحاط السلطان عبد الحميد الثاني تلك الأبنية المتناثرة بسورعال وأقام عليه أبراج حراسة متعددة.

لقد بلغت تكاليف السراي أكثر من ثمانية ملايين فرنك، وتفيد المصادر أن السلطان عبد الحميد كان يعرف هذه الرابية جيداً، فقد كان يتردد إليها في شبابه، كذلك فقد حوّل السلطان عبد الحميد الثاني سراي يلدز إلى مؤسسة حكومية وإدارية وبوليسية كاملة[3]، وعمل فيه ما يزيد عن ثلاثة عشر ألف خادم وخصي وعبد وحسناء، ناهيك عن العاملين في الطوب قابي، حيث أبقاهم في سراي يلدز

(1) محمود عامر، الدولة العثمانية، تاريخ ووثائق، مرجع سابق، ص 511.

(2) أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، استانبول،1309هـ، ج 11، ص 340.

(3) مجموعة مؤلفين، عصر عبد الحميد الثاني، دمشق، 1965م، ص 87.

بدون عمل يأكلون ويشربون وينامون، وقد عرفّتهم المصادر بتنابل السلطان عبد الحميد أو دعوجية السلطان عبد الحميد.

أبواب السراي Yıldız saray kapılar :

1 – الباب الأول ويقع على مقربة من جامع الحميدية ويعرف باسم Kultuk kapı، وهو الباب الذي يفتح صباحاً، ولا يغلق حتى ساعة متأخرة من الليل، ومنه يدخل السفراء والوزراء وكبار القادة، يحرسه حارسان حارس داخلي وحارس خارجي وبالقرب منه برج مراقبة[1].

أقيم بالقرب من باب قولتوق Kultuk kapı[2]، غرفة صغيرة لمراقبة الداخلين من عامة الناس، وفي آخرالنهار، تقدم لائحة بأسماء الداخلين إلى السلطان عبد الحميد الثاني، ويقع على يمين الداخل غرفة السلاملك وعلى يسارها المطبخ العامرة وخزينة الأوراق وغرفة الترجمة وغرفة رئيس الكتاب، ونظارالتشريفات وعدد من الدوائر الأخرى التي يؤدي بعضها إلى دائرة باب خاص Haskapı dairesi وبذلك يكون الداخل إليها، قد بلغ القسم الثاني من السراي الهمايوني[3].

2 – الباب الملكي Melakı Kapı، وهذا الباب مزين بنقوش رائعة، استمد الفنان بعضها من واقع استانبول وأضفى عليها هدوء غابة يلدز قبل أن تتحول إلى سراي يعج بسكانه، ولا يفتح هذا الباب إلا للسلطان عبد الحميد ذهاباً وإياباً، ومن هذا الباب يمكن الوصول إلى الجنينة، وقد كان السلطان عبد الحميد يتجول بها ليلاً ساعات طوالاً.

3 – باب الحرم Harem Kapı، وهو الباب الثالث من أبواب يلدز، وهذا الباب خاص بالحريم، يحرسه خصيان سود غلاظ، ويوصل هذا الباب إلى الجنينة، وكان النساء يتجولن نهاراً فيها، في حين كان السلطان عبد الحميد في غرفته في الطابق الثاني يسترق النظر إليهن.

---

(1) جودت، مصدر سابق، ج11، ص 485. (قسم الملاحق).

(2) أوزوتونا، مرجع سابق، ج2، ص 309. (قولتق بمعنى باب العبودية).

(3) مجموعة مؤلفين، عصرعبد الحميد، مرجع سابق، ص 87–98.

لم يكتفِ السلطان بإعداد الحدائق وسط سراي يلدز، بل أقام فيه بحيرة سميت بحيرة يلدزالثانية، أما البحيرة الأولى فقد كانت خاصة بالسلطان وحرمه، أسرفت المصادر والمراجع في وصف يلدزعلى أنه مكان للاستجواب فقط، وركزت على تخوف السلطان عبد الحميد من قصره[1]، والحقيقة فإن سراي يلدز لم يكن يختلف عن سراي الطوب قابي من حيث أقسامه والعاملين به والنساء والحدائق والخدم والحشم، وربما زاده سراي يلدز بكثرة عيون السلطان، قاصداً من ذلك حماية نفسه بعدما تعرض لقنبلة سنة 1886م كادت أن تودي بحياته، دبرها جماعة الاتحاد والترقي[2].

صحيح أن السراي كان يعج بالدعوجية، لكن تصرف السلطان عبدالحميد عدّ بحسب تلك المرحلة عمل جيد، لأن كثير من العاملين في سراي طوب قابي، فقدوا أعمالهم عندما انتقل السلطان عبد المجيد بإدارته إلى سراي دولمه بغچه، وكذلك فقد العاملون في سراي دولمه بغچه عملهم، عندما نقل مركز الإدارة إلى سراي يلدز[3].

هؤلاء العاملون جمعهم السلطان عبد الحميد في سراياه، وأمنّ لهم المأكل والشرب ومن أراد المبيت، وكان في كل عيد يقدم لهم الهدايا والأموال، فضلاً عن ذلك لم يكونوا وحدهم الدعوجية، وكان العرب كولايات من الناس المحبة للسلطان عبد الحميد وتتضرع بالنصر المبين له.

---

(1) مجموعة مؤلفين، عصرعبد الحميد، المرجع السابق، ص 89.

(2) راغب علي بايزيد، التآمر ضد السلطان عبد الحميد، بغداد، 1943م، ص185.

(3) للمزيد، أوزوتونا، مرجع سابق، ص 509.

استنتاج الفصل الأول:

لا تقرأ إدارة ما من خلال شخصياتها ووثائقها فقط، بل فإن السراي (القصور) تعبير حقيقي عن واقع الدولة، وإداراتها، وقد مثّلت السراي العثماني عبر مراحلها عن واقع الدولة وفعالية سلاطينها، فقصر بورصه (سراي بورصه) هو وثيقة مقروءة عن دولة بنت سراي لضبط إدارتها، وعقد جلسات تشاور فيها، كما دلل بصورة مباشرة على أن مرحلة سلاطين النشأة والتوسع حافلة بالحروب، لهذا لم يكون بمقدورالسلطان الحاكم التلكؤ في عدم لقاء أفراد القبيلة ومقاتليها، رغم المكانة التي كان يحظى بها بموجب الأعراف المتوارثة كابر عن كابر.

إن الانتقال من سراي بورصه إلى سراي أدرنه، لم يعنِ قط أن السلاطين تركوا شاغراً للإنزواء فيه أو للترويح عن النفس، بل تحولت تلك السراي إلى مدرسة لتخريج غلمان الدوفشرمه الذين تم جمعهم بموجبها، لأن الدولة لا تزال بحالة حرب مع أعدائها، ولا يزال وضع القبيلة معرضاً للخطر من قبل جيرانها الذين تحولوا إلى أعداء يترصدون ضعفها أو منح مقاتليها استراحة محارب، ولهذا كان سراي أدرنه كتلة لهب مشتعلة فلا جواري ولا حدائق ولا غلمان، بل جنود شجعان ومقاتلين أشداء يتصدون بقوة وعزيمة لأعدائهم.

لقد أوصل سراي بورصه وسراي أدرنه الدولة ما يكفيها من إنكشاريين جدد، وخلت مرحلة ما قبل استانبول من النساء، لكن فتح استانبول أحدث تبدلاً تدريجياً في حياة خلفاء الفاتح، بلغت ذروتها، بروكسلانه زوج سليمان القانوني التي أثرت بشكل كبير على السلطان سليمان وتجسد بتخليه عن قيادة الجيوش ومسألة الخطف وسرقة الجميلات من الأوروبيات، ويوماً بعد يوماً تزايدت أعداد النساء الجميلات، وأقيم لهن قسم داخل سراي الطوب قابي يعادل القسمين (الأندرون والبيرون) مكانة وتأثيراً في الإدارة، وغدا الاتجار بالجميلات يؤمن لمرتكبها غناً فاحشاً من سلطان امتلك ثلاث غرف مملوءة بالحلي والمجوهرات حيث رهن خزينته هذه لشراء الجميلات، وعاشت نساء كثيرات وقُتلت نساء كثيرات، واستمر الأمرعليه حتى مطلع القرن التاسع عشر، فبدل السلاطين جلودهم اقتداء بدولتهم التي بدلت جلدها، فالسلطان عبد المجيد بنى سراي دولمه

بغچه تزامناً مع إصلاحاته، وقلده السلطان عبدالحميد الثاني الذي بنى هو الآخر سراي يلدز تخوفاً من رعيته، وهكذا عاش في طفولته خائفاً من أن لا يصل إلى للعرش، وفي آخر أيامه عاش في سراي خوفاً من رعيته، فجاءت السراي تعبيراً صادقاً عن واقع الدولة وواقع سلاطينها.

إن قراءة السرايات العثمانية تعني قراءة تاريخ الدولة النضالي والفوضوي، ففي المراحل الأولى السراي يحكم قبضته بإدارة الدولة، وفي المراحل الوسطى للدولة ولاسيما بعد فتح إستانبول حولت السراي إلى غرفة تخطيط وبرمجة لتوسيع رقعة الدولة .

وقد حقق مخططوها الجزء الأكبر مما رسموه، وإذا تحولوا فيما بعد لخطف الجميلات الأوروبيات، فهذا أيضاً من المهام التي أسهمت في تحويل السراي إلى غرفة للتآمرعلى السلطان ثم على الدولة، ثم على المواطن (الرعية) ليغدو أمر التآمر على الدولة وسلطانها عملاً مشروعاً حسب الرؤية الأوروبية للمواطن العثماني أو لرعية السلطان.

الفصل الثالث

المراسيم والفرمانات السلطانية

أولاً- المراسيم *Merasimler*

1-جلوس السلطان *Padıșah cülüsü*

2-سيف السلطان *Padșahı kılıcı*

3-أختام السلطان *Padıșah Mühürleri*

4-قيافة السلطان وطربوشه *Padıșah kavakve elbisleri*

ثانياً- مظاهر السلطنة وسماتها.

ثالثاً- الفرمانات السلطانية *padıșah Fermanın*

أ- الفرمان *Ferman*

ب- الطغراء (التوقيع) *Turğra*

ج- حكم *Hüküm*

د- بيورلدي (الأمر) *buyuruldu*

هـ- الألقاب *Lakaplar*

رابعاً- ديوان السراي الهمايوني *hümayun saray divanı*

أ- أيام اجتماع الديوان *divan Toplanti gün*

ب- مكان اجتماع الديوان *divan Toplantı yeri*

ج- أعضاء الديوان *divan azaları*

1-رئيس الكتاب *Reis- ülkütap*

2-الأقلام الأساسية *esası Kalemler*

3-الأقلام التابعة *tabia kalemler*

4-مجالس الشورى *Şura mecliler*

5-الهيئة العلمية *ilmiye heyeti*

أ- قضاة عسكر *Kadı askerlri*

ب-شيخ الإسلام *Şeyh üs-islam*

ج- نقيب الأشراف *Nakıb ül-eșraF*

-استنتاج الفصل الثالث.

أولاً – المراسيم:

تميزت الدولة العثمانية على غيرها من الدول والإمبراطوريات بوحدانية القرار، إضافة إلى الألقاب التي تلقب بها سلاطينها، فقد جمعوا بشخصهم ألقاباً قلما تلقب بها ملك أو سلطان وخاصة في عهد السلطان سليمان القانوني 1520–1566م.

كما دأب السلاطين العثمانيون على وحدانية القرار حتى في مرحلة الترهل والجمود، وحذروا قادتهم وكبار ضباطهم حتى الصدر الأعظم من إصدار أي فرمان بأسمائهم، وقد التزم الجميع بذلك، وظل السلطان العثماني في مرحلة القوة أو الضعف يصدر فرمانات وأحكاماً وأوامر موقعة من قبله، وظل في قمة الهرم الإداري والعسكري، وحافظ على قيافته ورونقه وهيئته حتى في مرحلة توقيعه معاهدات إذعان أو تنازل على أرضٍ من دولته، لأن قانون القبيلة طبقه العثمانيون سواء أكانوا سلاطين أم كانوا أمراء، كما نص قانون القبيلة سابقاً والدولة فيما بعد على أن الباديشاه *Padışah* بصفته الشخصية يؤلف العاصمة مركز العرش (باي تخت) الطابق العلوي، ومملكته تشكل الطابق السفلي، وأجهزة الدولة في كلا الطابقين تعمل بإمرة الباديشاه، لأن العاصمة هي الأخرى تعمل تحت إشرافه دون أي وسيط، وهو الوحيد الذي يحق له التدخل في كل ما يتم أو يخطط ويرسم من دواوين الولايات حتى ديوانه الهمايوني، علماً بأن الباديشاه لا يتدخل بالشؤون العامة إلا من خلال السراي والدواوين، كذلك ففي بعض الأحيان قد يتسنى له الإشراف المباشر على ما يهمه من الأمور حتى ولو كان في طريقه للصيد في أيام السلم.

لم تبيح أعراف القبيلة وعاداتها لقائد القبيلة حرية اللباس أو الجلوس أو التوقيع بالخاتم، بل نظمت تلك الأمور بدقة وعناية لدرجة أن القيافة ووضع الطربوش على الرأس له أسسه وقواعده وعلى الباديشاه الالتزام بها، ولكي لا يلام في مظهره الخارجي أقرت قوانين آل عثمان وجود كادر مهمته تهيئة الباديشاه بشكل مطابق لما أقره القانون العثماني، وحددت ما يسمى بالغرفة الخاصة الحاضنة لعناصر عديدين، مهمتهم تولي الشؤون الشخصية للباديشاه، في حين

خصص الأندرون عناصر يسيرون خلف الباديشاه داخل السراي وخارجه، وقد حددت مهمتهم حماية الباديشاه (السلطان) بالسلاحدار والأوضه باشي *oda başı* اللذين يعملان في القسم الداخلي من السراي الهمايوني والمسمى الأندرون *Enderun* وهما يتساويان عند الباديشاه في الرتبة والمقام.

ولم يكن السلطان (الباديشاه) مراقب من قبل اوضه باشي والسلاحدار فقط، حتى تناوله الطعام، كان يتم في الديوان في غرفة السفرة، وهي تقاليد بربرية، غير أن الفاتح حول ولائم الديوان الهمايوني إلى حفلات أشبه بحفلات البيزنطيين أو فراعنة مصر.

ما يفهم مما أقرته القوانين العثمانية أن الباديشاه غير ملزم بالتفكير، فقد ترك أمره إلى العلماء واكتفى بالسلوك العملي فقط.

يتضح من خلال الوثائق والمصادر أن الدولة العثمانية اعتمدت نظماً رئيسة لضبط شؤون إداراتها بما فيها قائد القبيلة، وقد ارتبط العرش ارتباطاً وثيقاً بالأسس التي وضعت من حيث جلوس السلطان وذلك بحسب القواعد المعتمدة لديها[1].

بناءً على هذه الأسس، فقد خصصت الغرفة الخاصة للاهتمام بالسلطان لباساً ومظهراً خارجياً أي (قيافته)، ودخول السلطان وخروجه، ودأبت وعساكرها على المحافظة عليه، لأنه رمزها الذي تفتخر به على غيرها من القبائل أو الدول الأخرى، وقد تم ذلك بموجب مراسيم رئيسة حددت الشروط الواجب إتباعها حيال العرش وحاكمه، ومن أبرز ما نصت عليه تلك المراسيم[2]،

أ – جلوس السلطان *Padışah cülüs* :

لقد اعتمد العثمانيون مصطلح *Taht* لعرشهم، وحددوا كيفية عبور الشخص الفائز، وشروط جلوسه عليه، ومهما تعددت المصطلحات والألفاظ بشأن الجلوس

(*1*) السلحدار، ج2، مصدر سابق، ص 297.

(*2*) يچوى ، تاريخ يچوى، استانبولي، 1306، ج1، ص 215.

على العرش، فإنها تندرج تحت مصطلح عام ومفهوم جلـوس همـايون *Cülüs hamayun*، ويمنح الفائز بالعرش دائرة في السـراي الهمـايوني لـه ولعائلتـه وتخصص له الجواري والعبيد والخدم والحشم، ويمنح قدسية هائلة لدرجـة أنـه ممنوع اللمس أي تابو[1]. وقبل دخوله يمنح خلعه[2]، وبعدها يعطى الخبر إلى آغا دار السعادة ، لتهيئة المراسم اللازمة لاستقبال السلطان، وإعداد عناصر السلحدار لمرافقته إلى قسم دائرة الخرقة الشريفة *hırka-ı şerif*، وبعدها ينقل إلى أوضـه السلحدار.

وتفيد الروايات أن السلطان سليم الأول 1512–1520م بعد عودتـه مـن مصر، أحضر معه عمامة النبي يوسف عليه السلام، وقد التزم السـلاطين الـذين خلفوه زيارة الخرقة ليضعونها على رؤوسهم، ثم يتلقى البيعة من الصدر الأعظـم وشيخ الإسلام قبل أن يجلس على سدة العرش، وبعد مبايعتهما يتقبل التهاني مـن آغا دار السعادة وآغا الباب ثم يتبعهما بقية آغوات السراي الهمايوني، ثم ينصرف آغا السعادة وبقية الأغوات لغسيل السلطان المتوفى، ويصـلى عليـه ثـم يـدفن بحضور السلطان الجديد وعلى يمينه آغـا السـلحدار وعلـى يسـاره عناصـر الصولاقية، ثم تقام مراسيم الدفن المعتادة[3].

عندما يعود السلطان من المقبرة، يقف في باب دار السعادة كشـرط مـن شروط استلام العرش، وتقام له المراسيم المعتادة، ثم يدخل إلـى سـدة العـرش ويكون الحرس قد وقف على يمينه ويساره، ثم تعزف الموسيقى إلـى أن يـدخل الغرفة الهمايونية.

وفي اليوم التالي يقوم آغا السراي بالتبريك له، ومع كل آغا هدية مع دعاء له وهذا دليل على منحه البيعة الكاملة والمحافظة عليه وإطاعته وتنفيذ رغباته.

وبعدما تنتهي المباركة، يقوم السلطان بتقديم البخشيش إلى أوجـاق القـابي قول (عبيد الباب) لأنهم حرسه الخاص.

(*1*) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف جودت، وثيقة رقم 3278.

(*2*) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف جودت، وثيقة رقم 3278.

(3) Ismail hakkı, saray Teşkilatı (مرجع سابق).*s 180-182.*

ب – سيف السلطان *Sultan Kılış* :

بعد المبايعة والتبرك له، يعطى السيف والعمامة كتقليد ثم ينقل إلى مقام أبي أيوب الأنصاري، ويقسم اليمين والسيف بيمينه وعلى رأسه تاج السلطنة وذلك بحسب المراسيم المتبعة، ولم تمدنا الوثائق متى يتم هذا التقليد المعتمد[1].

أما بشأن قسم اليمين على مقام أبي أيوب الأنصاري، فهي طريقة اعتمدها السلطان محمد الفاتح، كما سن محمد الفاتح زيارة السلطان الحاكم لتربة الآباء والأجداد شريطة أن يظل السلطان حاملاً للسيف، ويجوز للسلطان أن يتقلد السيف خلال أسبوع من استلامه العرش أسوة بالسلطان سليم الأول الذي تقلد سيف السلطنة في اليوم السابع من توليه العرش[2].

لقد أقر قانون نامه أن السلطان لا يتقلد سيف السلطنة إلا بحضور شيخ الإسلام ونقيب الأشراف، فشيخ الإسلام يبدأ بالدعاء للسلطان ونقيب الأشراف يسحب السيف من غمده ليعطيه إلى السلطان لقسم يمين الولاء للدولة وللإسلام على حد سواء[3].

لقد تباينت مسألة استلام السيف من سلطان لآخر، فالسلطان سليم الثالث استلمه عندما كان ذاهباً في طريقه إلى أدرنه، والسلطان محمود الثاني استلمه من السلحدار عندما دخل إلى السراي الهمايوني، لكن هذا التباين لا يعفي السلطان الجالس على العرش من زيارة مقام أبي أيوب الأنصاري، ومرافقة مفتي الإسلام ونقيب الأشراف له للقيام بالمراسيم المعتادة ، ويشترط أن يقلد السلطان السيف في الأسبوع الأول لاعتلائه العرش.

وهكذا نرى أن انتقال السلطة من سلطان لآخر، كان لها مراسيمها الخاصة بها، ولا بد للسلطان الجديد من الخضوع لها، ويعد الجلوس وأداء مراسيم البيعة يتمنطق الحزام الحامل للسيف لأن ذلك من أولويات مراسم تقليد العرش، وقد أعطى القانون السلطان الجديد مهلة أسبوع لإتمامها.

(*1*) نعيما ، تاريخ نعيمه ، استانبول 1311هـ، ج 4، ص 328.

(*2*) أحمد راشد، تاريخ راشد، استانبول، 1291هـ، ج3 ، ص 82.

(*3*) تشارشلي، مصدرسابق، ص 191.

ج – أختام السلطان *Padışah Mühürleri* :

أجمعت المصادر العثمانية على تسمية أختام السلطان بمهر همايون، وقد دأب السلاطين العثمانيون على ذكر أسماء آبائهم على خاتمهم المصنوع من الزمرد المركب على خاتم ذهبي، وكان لكل سلطان خاتمه وتوقيعه الخاص به، وقد التزم الجميع بالتقليد المتبع[1]، وكان خروج بعضهم عن التقليد المتبع محدوداً، وقد سك لكل سلطان أربعة أختام، خاتم السلطان وهو من الزمرد الخالص وهو مربع الشكل لا يفارق إصبعه، والأخرى كانت من الذهب، أحدها للصدرالأعظم، والثاني لدى رئيس الغرفة الخاصة، والثالث لدى أمين الخزانة الخاصة، ولدى موت السلطان أو عزله، فإن الأختام تتغير، وإذا سحب السلطان خاتمه الذهبي من أي منهم، فهذا يعني دليل عزله بما فيهم الصدر الأعظم.

د – قيافه السلطان وطربوشه *Padışah kavuk ve elbise* :

لقد حتمت الظروف على سلاطين آل عثمان ارتداء الطربوش والألبسة الرسمية المخصصة له لدى لقائه قادته ورجال دولته، أو الوفود الرسمية، ولم تفدنا المصادر العثمانية بأن السلطان خرج من غرفة نومه بغير اللباس الرسمي، وقد ارتدى السلاطين ألبسة متعددة الألوان على شكل مخروطي، وكان لباسهم يسمى اللباس الخراساني، حيث كان يغطي الرقبة سترة سميكة مع ياقة من الصوف أو جلد الحيوان، وبعضهم جعلها مربعة الشكل والبعض الآخر مثلثة الشكل، حتى أن الفاتح ارتدى الزي الخراساني، لكنه أضاف على الطربوش عدة دوائر بحيث بدت وكأنها عمامة ضخمة يتوسطها طربوش مخروطي الشكل، أما الألبسة فقد كانت بالمطلق فضفاضة بحيث تسمح بحرية الحركة[2].

لقد ارتدى السلاطين أجمل الملابس وأفخرها، وإن تعددت أشكالها، لكنها بالإجمال كانت تدل على أن هذا اللباس خاص بسلاطين آل عثمان، وقد وجد في

(*1*) تشارشلي، مصدر سابق، ص 235.

(*2*) تاريخ نعيمه، مصدر سابق، ج6، ص 155.

السراي الهمايوني عدد من الخياطين الذين خاطوا لكل سلطان ما يرضيه من الأزياء والتشكيلات، لكنها ظلت خراسانية الطابع، كما تعددت ألوانها، لكن السواد كانت الصفة الغالبة عليها[1].

لقد تميز اللباس الرسمي لسلاطين آل عثمان عن غيرهم بوضعهم غطاء الرأس كشارة سموها (صورغوج) وهي شارة زُينت بالجواهر القيمة وريش الطيور النادرة، ومع بدء الإصلاحات وضعت هذه الشارة على القلنسوة[2]، وحينما يرتدي السلطان البزة العسكرية، كان يرتدي رتبة مشير بحري، وإن الصدر كان مزيجاً من لباس المشير والوزير، ولتميزه عن وزرائه، وضعوا على صدور الملابس التي يرتديها الوزراء علامات ذهبية وليست شارات، أي خيوط مذهبة[3].

إن قراءة النظم العثمانية والمميزات التي تميز بها سلاطينها، ظلت علامة فارقة عن غيرها من النظم الأخرى، وكان سلاطينها يصرون على ضرورة الاحتفاظ بالماضي، حتى في عهد التنظيمات ظلوا محافظين على تراثهم، بالرغم من بعض المظاهر الخارجية الخاصة بهم، وقد طرأ عليها بعض التغييرات، فترك الطربوش لم يلغِ النظم الرئيسة، بل على العكس من ذلك، فقد احتفظوا به في مؤلفات كتابّهم ومؤرخيهم، وغدت منتشرة على مختلف المستويات لاسيما بعدما أصبحت الجرائد والمجلات في متناول الجميع، وظل يرددون أنهم يحملون الراية من بعد الرسول، وأن مهمتهم الحفاظ على ديارالإسلام حتى ولو كان هذا مجرد كلام، لكن العامة أيقنت به وحافظت عليه.

2 – مظاهر السلطنة وسماتها :

أسرف الأتراك في مديح السلاطين وعرشهم، وتفاخروا على من حولهم بأن الأتراك العثمانيين اعتلوا وزينوا أريكة إمارة السلطنة والخلافة، وأن سليمان القانوني حمل في فترة ولايته للعرش نموذج السلطان المجد، وقد تناسى هؤلاء

(*1*) تشارشلي، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 222.

(2) Mustafa çandar, osmanlı elbise tarih, Ankara, 1945, s 129.

(*3*) أوزتونا، مرجع سابق،ج2، ص 282.

المؤرخون أن عصر السلطان سليمان كان عظيماً، ففي تلك المرحلة برزت شخصيات من أمثال خير الدين بربا روس، وطرغوت باشا، وقلج علي باشا، وسنان باشا، وغيرهم من الشخصيات التي اعتنقت الإسلام حباً بالغزو وفيما بعد اقتنعت بأن الإسلام دين المحبة والوئام، فأخلصوا للدولة العثمانية، وجنى سليمان ثمرة جهدهم وعظمتهم.

لا شك بأن السلطنة بسلاطينها وإنكشاريتها ووقوف المسلمين معها، أسهمت إلى حد كبير في رسم معالم دولة القبيلة، ومما ثبت تلك المعالم جدية العثماني سلطاناً كان أم رجلاً عادياً، وعدم خلط الأوراق، وتجنب الاعتماد على سياسة أنصاف الحلول، وتحديد مسؤولية كل موظف كبرت مهمته أم صغرت، هذه الجدية بلورتها الأسس التي تشير بوضوح إلى مظاهر السلطنة وسماتها التي تجلت في عدة نقاط أبرزها :

1 – الخطبة : لقد قبل العثمانيون أن يكونوا أمراء حدود والمماليك أمراء جهاد، وظلوا يجدون في قتالهم للبيزنطيين حتى تمكنوا من دك عرشهم من خلال احتلالهم القسطنطينية، ومباشرتهم بتحويلها إلى مدينة إسلامية (إسلام بول) مدينة الإسلام[1]، خلال هذه المرحلة الممتدة من سنة1281م حتى 1516م كانت الخطبة باسم الخليفة العباسي المحمي من قبل السلطنة المملوكية التي مدت سلطانها على مصر وبلاد الشام.

توصل الغازي عثمان إلى إعلان الخطبة باسمه إثر وفاة علاء الدين السلجوقي، لكن هذا لم يدلل على أن العثمانيين أمراء جهاد، وأن لهم نفوذ خارج الأناضول والروميللي [2].

تمكن السلطان سليم الأول سنة 1512–1520م من إزالة الدولة المملوكية وتقدم إليه شريف مكة بالمبايعة، وأعلن الخليفة العباسي تنازله للسلطان العثماني طواعية عن خلافته، فباشر خطباء الجوامع وأئمة المساجد بذكر السلطان العثماني

(*1*) أوزتونا، مرجع سابق،ج2، ص 277.

(*2*) جودت، مصدر سابق، ج 2 ، ص 320.

في الخطبة لوحده، منذ ذلك التاريخ بدت ملامح السلطنة العثمانية تلوح في سماء الديار الإسلامية[1].

2 – المسكوكات : لقد سكت النقود في السنة التي أعلن الغازي عثمان أن الخطبة باسمه، وتم تداول مسكوكاته، وبعد سيطرة سليم الأول على مصر، سكت النقود باسم السلطان العثماني، وقد دلت هذه الخطوة على سمات السلطنة العثمانية، والغريب في الأمر على الرغم من ظهور احتجاجات وثورات في الولايات[2]، فإن القواد لم يقوموا بسك نقود باسمائهم، وقد أشيع أن والي مصر علي بك الكبير سك نقوداً باسمه، لكن بعض المؤرخين ينفون ذلك، غير أن هذه النقود ظلت النقود السائدة في الأسواق، وأن هذه النقود العثمانية أُرخ بها لسلاطينها، ولهذا تعددت وتنوعت في أشكالها وأوزانها، ولم يلحظ على تلك النقود إلا اسم الباديشاه[3].

3 – الطبل، سمته المصادر العثمانية مهترخانه، وقد حظي بقدسية تعادل قدسية العلم (البيرق)، لأن الأتراك العثمانيين، عدّوه إحدى العلامات الرئيسة والمميزة لسلطنتهم، وكانت فرقة المهترخانه تعزف الموسيقا يومياً أمام سراي الحاكم، وكان عامة الشعب يتوافدون لرؤيتها، وما ينطبق على عاصمة الخلافة استانبول ينطبق على مركز الولايات، وكما نعلم بأن الدولة العثمانية امتازت بوحدانية القرار، وكان الطبل يرسل مع العلم إلى الغازي أورخان من قبل السلطان السلجوقي كعلامة بارزة على إمارته[4].

4 – العلم والراية: لفظتان مترادفتان في اللغة العثمانية، وهم يعنيان البيرق والسنجق، وقد تفانت الإنكشارية بحمايتهما وعدم إسقاطهما في أرض المعركة، وقد حمل العثمانيون الراية الخضراء كدليل على أنهم الخلف الشرعي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم[5]، كما أُعتمد الهلال مع النجمة كرمز وطني لهم.

(*1*) رضا نور، عثمانلي تاريخي، مرجع سابق، ج3 ، ص 237.

(*2*) *Raşid tarihi, Istanbul, 1294.c 3 ,s 179.*

(*3*) محمود عامر، المكاييل والأوزان والنقود، دمشق، 1997م، ص 124.

(*4*) اللون الأخضر يدل على الهاشميين.

(*5*)أوزوتونا، مرجع سابق، ج1 ، ص 277.

5 – توغ (طوخ) *Tuĝ*: ويُعد الشارة الرئيسة للسلطنة ومكانته معنوية وفخرية لدرجة أنها تقارب العلم في الأهمية[1].

هذه السمات الأربع تشكل سمة الدولة العثمانية، وهناك سمات أخرى مكملة لقيام الدولة ودلالة لتثبيت أركانها وتوطيد دعائمها.

6– السرداق الهمايونية :

باللغة العثمانية (اوطاغ همايون) أي السراي المتحرك للسلطان العثماني، وهو مكون من عدة شقق، يأخذه في حال الحرب وفي أيام الصيد، وفي هذه الحال فإن الإنكشارية في حالة الحرب تدافع عن سلطانها، لأنه يمثل دينها وقوميتها ولغتها، فبغياب السلطان أو قتله تتناول العامة الإنكشارية بألسنتها، أما في حالة (سياحت همايون) فترافقه عناصر من الركابدار إضافة إلى عدة سفن حربية محملة بالشجعان من عناصر القابي قول لحمايته.

3 – الفرمانات السلطانية *sultanlar Fermanları*:

أ – الفرمان:

لقد أحيط السلطان العثماني بموجب القوانين العثمانية بحصانة تحميه من كل مكروه، وعهد إلى خاصة للاهتمام به ورعايته، وإذا كانت الدولة العثمانية، قد اعتمدت على الكتابات الرسمية في مخاطبة ولاتها وعمالها، فإن هذه الكتابات لا تصبح نافذة المفعول ما لم يوقع السلطان عليها، وفي هذه الحالة تسمى تلك الكتابات بالمصطلح العثماني بيتي *Biti*، لكن إذا استدعى الأمر تعيين والٍ على ولاية ما أو توجبه تنبيه لأي منهم، فلا بد أن يوجه كتاباً باسم السلطان ليصبح هذا الكتاب نافذ المفعول وممثلاً للدولة التي يترأسها السلطان، ولهذا فإن كل ما تصدره الحكومة من عمل ما يتعلق بها فلا بد أن يصدر باسم السلطان العثماني موشحاً بطغرائه ويسمى (فرمان) وقوة هذا الفرمان تعادل قوة القانون، بل في بعض الأحيان تعادل ضعف القانون، لأن نظام (اليسا) الذي تعتمده القبيلة أقوى من

(*1*) الطوغ (الطوخ) ذيل الحصان يوضع على رمح وفوقه كرة مذهبة، فالوزير 3 شارات والسردار (القائد) 4 إشارات والصدر الأعظم 5 شارات والبكلربكي 2 شارة وبك السجق شارة واحدة. مدحت سرت أوغلو، مرجع سابق، ص322.

القانون، فهو يمثل تاريخها وتراثها، وهذا التاريخ وذاك التراث يتجسدان بالسلطان (قائد القبيلة).

إن الكتاب الذي يعده الصدر الأعظم ليوقعه السلطان، يجب أن يزيلّه السلطان بخط يده، إذا رأى ضرورة لذلك، وأما التي يقدمها الصدر الأعظم للسلطان تسمى عريضة، ويشترط بها أن تكون قصيرة ومقتضبة.

إن الكتابات التي صدرت من السلاطين الأوائل كانت تسمى كتابات بيتي *Biti* وكانت متعددة التسميات (نيشان ونيشان عالي الشأن)، وتم النظر في مطلع القرن السادس عشر على تلك الكتابات، بأنها وثائق يجب الأخذ بها[1]، ويذكر أولياء جلبي أن السلاطين الأوائل اعتمدوا ما يصدر عنهم من كتابات متعددة الاتجاهات، صدرت بفعل ظروف قاهرة، وأن عدم تنفيذها قلل من هيبة السلطان الحاكم[2]، وبعد فتح استانبول وتحديداً بعدما خضعت معظم الديار العربية الإسلامية إلى سيطرة العثمانيين وانتقل مركز الخلافة إلى استانبول، فإن الكتابات السابقة منحت صفة وثائقية وعلى السلطان الحاكم تنفيذها إذا كانت في صالح السلطنة[3].

أما جودت باشا، فيذكر أن الكتابات الأولى، صدرت في ظروف مغايرة لظروف القرن الخامس عشر والسادس عشر، ولهذا فهي غير ملزمة، لأن السلاطين الأوائل، لم يكن بمقدورهم فرض إرادتهم قسراً على المحاربين، ولهذا استبدل السلطان محمد الفاتح مصطلح بيتي(*Biti* كتابات) بمصطلح مراسيم *Meresimler*، كذلك فإن المراسيم التي صدرت منذ عهد الفاتح، انضوت بمجموعتها تحت مصطلح فرمان *Ferman*، وأن مصطلح فرمان فارسي الأصل، وهو يعني أمر أو حكم أو مرسوم، لأنه صادر عن السلطان، إذاً هو الحكم الصادر عن السلطان إلى أي شخص داخل حدود دولته، لأن السلطان الحاكم هو رئيس الدولة وصاحب أرفع مقام فيها، وهو التابو(ممنوع اللمس)، وإذا صدر من

(*1*) مجموعة مؤلفين، بحرية انجمن مجموعة سي، لسنة 1403، ص 223.

(*2*) تشارشلي ، مرجع سابق، ص 281.

(*3*) فريدون بك، منشآت السلاطين، استانبولي، 1274م، ج1 ، ص 480.

شخصية غير السلطان مهما كانت فلا يسمى فرمان وإنما يسمى بيورلدي *buyuruldu*، والذين يصدرون البيورلدي هم الصدر الأعظم والوزراء، والدفتردار وقاضي العسكر وقبودان باشا (قائد الأسطول) وأمير الأمراء، أما التعبير الدقيق لمصطلح الفرمان فهو حكم سلطاني غير قابل للطعن أو الاحتجاج وليس هناك فرق في المضمون ما بين فرمان همايون وحكم شريف.

وللفرمان عدة أركان تتوفر فيه :

1- التمهيد *Temhid* أو التمجيد *Temcid*، أي ذكر أسماء الله الحسنى، وما يلحق من صفات الله عز وجل.

2- سبب ذكر إرسال الفرمان وتاريخ إرساله.

3- التأثيرات التي نتجت عن إرسال الفرمان[1].

وقد عُرف سلاطين آل عثمان بكثرة فرماناتهم، وهذا يعني أن الولاة وإن تظاهروا بالطاعة، لكنهم لم يلتزموا بموجبات الفرمانات الموجهة إليهم[2].

ب – الطغراء *Tuğra* :

هو ختم السلطان الذي يوضع وسط الفرمان أو المرسوم الصادر عن السلطان الحاكم، وقد تعددت أسماء الطغراء وأنواعها مثل: برات منشور، حكم، ملك نامه، وقف نامه، وتعرف الطغراء أحياناً بأنه نيشان همايون، وهذه دلائل على التأثيرات الفارسية التي طبعت الطغراء العثمانية، علماً بأن هذا في العربية يعني التوقيع[3].

---

(1) Ayşe gülmadir, osmanlı padişah fermanları, Istanbul,1987.s 28.ve.32.

(2) ismail hakkı, tuğrave pençelerile ferman ve bugurulduldara dair, Ankara ,1978,s 17-18.

(3) الطغراء، وردت في اللغة الأوغوزية *Oguzca* وذلك نسبة لنوع من أنواع صقور الصيد، وفيما بعد حُرفت لتصبح طغرا *Tuğra*، للمزيد، بقالين، مرجع سابق، ج3، ص581.

لم تكن الطغراء (التوقيع) من اختراع العثمانيين، وإنما هي اقتباس عمن سبقهم من الأمم الإسلامية التي دخلت الأناضول مثل سلاجقة الروم والإمارات المتعددة التي برزت على ساحة الأناضول إثر انهيار دولة سلاجقة الروم[1].

وقد ظهرت الطغراء على المراسلات والكتابات العثمانية منذ المراحل الأولى للدولة، وفيما بعد ظهرت على النقود التي سكها العثمانيون بدءاً من الغازي عثمان حتى السلطان محمد وحيد الدين سنة 1922م، وقد أشارت الوثائق إلى أن الطغراء اتخذت عدة أشكال وتراكيب منها: توقيع رفيع، وتوقيع همايون، ونيشان عالي شان، سلطاني طغراي، سامي مكان خاقاني، نيشان همايون ومثال ميمون، وعلامت شريفة[2].

لقد وُجد تمايز بين طغراء سلطان وسلطان آخر، حيث حملت كل منها اسم السلطان، كما دوّن داخل الطغراء رمز يدل على اليوم الذي جلس فيه السلطان على كرسي العرش، وقد كلف الخطاطون بالتصاميم لطغراء كل سلطان، وظلت الدوائر الرسمية تعتمدها حتى وفاته أو عزله[3].

بعد انتهاء الخطاطين من تثبيت الشكل النهائي للطغراء، تصنع ثلاث نسخ أو أربع حسب رغبة السلطان :

- الأولى: ختم أو مهر السلطان *Mühür* في شكله النهائي، ويسلم للسلطان لاستخداماته الشخصية ويطلق عليه خاتم شريف *Hatem-ı şerif* .
- الثانية: تسلم إلى الصدر الأعظم، لأنه الشخصية الثانية بعد السلطان من حيث الترتيب الإداري[4].

---

(1) ismail hakkI, tuğra ve pençeler مرجع سابق *s.12, 13*

(*2*) *Mehmet zeki pakalın, osmanlı Tarih deyimleri ve terimler süğü, Istanbul, 1983, c.3.s 525.*

(3) ismail hakkı, tuğra ve pençeler مرجع سابق *s.111.*

(*4*) *ismail hakkı, tuğra ve pençeler* مرجع سابق *s.111.*

- الثالثة: تعطى إلى خاص اوضه باشي *hasoda başı* المسؤول عن أدوات السلطان الشخصية[1].
- الرابعة: خزندار الحرم السلطاني *Haremdairesi hazınedar* وقد اعتاد العثمانيون على صناعة ختم السلطان من الزمرد.

هناك تشابه ما بين الطغراء والبنجه *Pençe*[2]، فالطغراء تخص السلطان حصرياً، أما البنجه فتوضع في أسفل أو على جنب الكتاب الصادر من شيخ زاده (أبناءالسلاطين) والصدر الأعظم والوزراء وأمير الأمراء، وأمراء السناجق (الألوية) وتتميز البنجه بوجود عبارة محددة مثل: (أعبد الله، أو كتبه أو حرره) وتحتوي على بيضة واحدة، أما الطغراء فتحتوي على بيضتين.

ج – حكم *Hüküm*:

الحكم هو أمر قطعي بالغالب من اختصاصات القضاء، غير أن العثمانيين اعتمدوا مصطلح حكم قطعي، إذا صدر عن السلطان الحاكم، ولا يجوز حسب ما أفادت الوثائق تعيين أي موظف في الدولة دون الحصول على موافقة من السلطان تحت بند حكم أي (أمر حكم همايون) *Emre Hüküm humayn*، ما يصدر إلى المؤسسات بمختلف أصنافها ومهامها من أوامر تعد حكماً وتندرج تحت مسمى (أحكام شريف همايون) وفي حال صدوره إلى أي جهة منه إلى دوائر الدولة فهذا يعني واجب الامتثال له[3].

وقد وجد للحاكم معان عدة، ولإيضاح الحكم يطلب المزيد من المعلومات والإيضاحات، ولهذا فإن الحكم بالغالب ينتهي بكلمات أمر ايدوب (لقد أمرنا بأنه) وإذا كان الأمر موجهاً لشخص بعينه أو أشخاص معنيين (لقد أمرنا بـ) أو أمر شريف أولمشدر (وقد صدر أمرنا الشريف بأن) وفي السنوات الأخيرة لسلاطين

---

(1) Lütfi, osmanlı devlet tarihı مرجع سابق *.s.186.*

(*2*) البينجه *Pençe* ، هي علامة ترسم في ذيل الأوامر تشبه الكف. إسماعيل حقى، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 310.

(3) ismail hakkı, tuğra ve pençeler مرجع سابق *s.119.*

القرن الثامن عشر اعتمد مصطلح فرمان (صادر) اولمشـــدر أي وقـــد صـــدرت أوامرنا بأن :

لقد استخدم في الفرمانات ضمير المتكلم كإشارة واضـــحة إلـــى الســـلطان نفسه، أما مستلم الرسالة حتى ولو كان ذا منصب عالٍ فيشار إليه بضمير المفـــرد المتكلم (سن) *sen* (أي أنت)[1].

د – البيورلدي:

الأمر (بيورلدي) وهو يصدره ما دون السلطان سواء الصـــدر الأعظـــم أو أمير الأمراء، أو شيخ الإسلام، وهو من حيث الفاعلية كالفرمان من حيث الالتزام وليس من حيث المكانة، وقد اعتاد موظفو الدولة ولاســـيما ولاتهـــا علـــى تلقـــي البيورلدي، أما من حيث التاريخ المعتمد في المراسلات العثمانية، فإنه يذكر تاريخ تحرير المرسوم الصادر في آخر الرقعة، وهذا إذا كان صـــادراً عـــن الســـلطان وتعتمد عبارة (كتب في أو حرر في أو تحريراً في أواسط شهر كـــذا ولا يـــذكر المرسوم السلطاني اليوم الذي حررت فيه الرسالة، فالشهر يقسم إلى ثلاثة أقســـام من (1–10) أوائل ومن (11–20) أواسط، ومن (21–30) أواخر[2].

ومن المراسلات التي اعتمدت في الدولة العثمانية هي :

1 – التوقيع، وتصدر باسم السلطان، ولها عدة مصطلحات، توقيع همايون أو توقيع رفيع أو توقيع عالي الشأن، وأحياناً تستخدم كلمة بالمعنى نفســـه وهـــي نيشان.

2 – الفرمان السلطاني *yarlığ*، أو الأمر الملكـــي، وبمـــا أن الســـلاطين اعتمدوا مصطلح سلطان، لذلك يأتي معناها الفرمان السلطان، وهي تكـــرار لمـــا سبق من فرمان أو حكم والفرق هو أن السلطان وقعّه، والكلمة مفعولـــة الأصـــل، وقد اعتمدت من الايلخانيين وآق قوينولو (الغنمه البيضاء)، ونـــادراً مـــا اعتمـــده المماليك[3].

---

(1) ismail hakkı, tuğra ve pençeler مرجع سابق *s.34.*

(*2*) فيريدون بك، مصدر سابق، ج1، ص 411.

(3) ismail Hakkı, osmanlı devlet, saray Teşkilatı, مرجع سابق *s.17-18.*

3 – النيشان *Nişan*، وقد ورد بمصطلحات عدة مثل نيشان رفيع عالي الشأن، نيشان همايون، وهو بالأصل يعني فرمان أو حكم أو طغراء، غير أن السلاطين الأوائل وقعوا مراسلاتهم تحت مسمى نيشان رفيع عالي الشأن.

4 – البرات *Berat*، وهي إذن سلطاني، يمنح للتوظيف أو للسماح بعمل ما مثل أن يكون ناظراً للوقف أو مدرساً، هذا الفرمان الذي يمنحه السلطان أو تلك الكتابة تسمى برات *Berat*، واختصاراً هي رضاء السلطان بالموافقة.

ومن الإجراءات التي اتخذت في الدولة العثمانية، وتم تنفيذها بدقة متناهية هي الألقاب، لأن العرش العثماني اعتمد ألقاباً بعضها اختارها السلطان نفسه، والبعض الآخر فرضتها الظروف عليه.

هـ – الألقاب *Lakaplar* :

كثيراً ما يعمد السلطان الحاكم إلى ذكر ألقابه ونعوته ولاسيما في مراسلاته مع حكام وملوك الدول والحكومات الأخرى، وقد كانت ألقاب السلطان كثيرة ومتنوعة، استمدها من ثقافات وحضارات ثلاث لغات: التركية (السلجوقية) والفارسية والعربية، وقد أورد فريدون بك في مؤلفه ستة عشر لقباً مختلفاً نذكر منها :

- جالس سرير السلطنة الأعلى، لابس لباس العدل والتقوى، حارس ثغور الإسلام، فارس هيجاء الانتقام، الأول هو السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم، مفتاح أبواب البر على الخلايق، مقبض أصناف الخير في المغارب والمشارق، وأعز أنصاره عملاً وقولاً، أكمل الخواقين علماً وفضلاً، خداوند خورشيد طلعت، ملك مكنت زمين بسطت، حافظ البلاد، ناصر العباد، مغيث الدنيا والدين، معز الإسلام والمسلمين، شنهشاه أعظم، باديشاه معظم، جهانكير آصف نظير الخلايق أجمعين، حجة الله على العالمين[1].

(*1*) فريدون بك، مصدر سابق، ص 2–4.

1 – التوجبه *Tavich*، وهي ألقاب الشخص المرسل إليه، وهناك تعبيرات مختلفة لكل منصب، من أبرزها:

آ – المراسلات الخارجية :

1 – ألقاب شاه العجم أو بلاد فارس وهي كثيرة جداً من أبرزها: حارس ممالك فارس، ود ووفقا رأيت إفراز خطه، إقبال دولت افرز حيطة إجلال.

2 – ملوك وأباطرة أوروبا: افتخار الأمراء العظام العيسوية، مختار الكبراء الفخام في الملة المسيحية، مصلح جماهير الطائفة النصرانية، صاحب أذيال الحشمة والوقار.

3 – حكام مماليك مصر، أدام الله تعالى علو جناب السلطان عالي الشأن، ظاهر الخطر في الملة اولوب، ناصر عباد الله، معين أولياء الله، مذل أعداء الله، معلي قواعد الموسم والحرمين.

ب – المراسلات الداخلية لأصحاب الوظائف الإدارية:

1 – ألقاب الصدر الأعظم: دستور أكرم، مشير أفخم، نظام العالم، مدير أمور الجمهور بالفكر الثاقب، متمم مهام الأنام بالرأي الصائب، ممهد بنيان الدولة والإقبال، مشيد أركان السعادة والإجلال، افتخار الأعالي والأعاظم، باشا دامت معاليه[1].

2 – ألقاب وزراء متعاقدون: افتخار الأعالي والأعظام، مستجمع جميع المعالي والمكارم، ذوو الدولة الراسخة والعزة الشامخة.

3 – ألقاب بكلربكي *Beylerbey* (أمير الأمراء أو ميرميران) أمير الأمراء الكرام، كبير الكبراء العظام، ذو القدر والاحترام، صاحب العز والاحتشام.

(*1*) تمت ترجمة هذه الألقاب من كتاب فريدون بك، منشآت السلاطين بإشراف الأستاذ المشرف (الباحثة).

4 – ألقاب أمراء العشائر والقبائل: افتخار العشائر القبائل، مختار الأماجد والأماثل، مير عشيرة اولان فلان زيد مجده[1].

5 – ألقاب سنجق بك: (الأمراء) قدوة الأمراء الكرام، عمدة الكبراء الفخام، ذو القدر والاحترام المختص بمزيد عناية الملك العلام.

6 – ألقاب كتّاب وجاويش مفترقة ديوان همايون (الديوان الهمايوني) قدوة أرباب التحرير والقلم وعمدة أصحاب التقرير والرقم وكاتب فلان.

7 – قبطان درايا (قائد الأسطول): قدوة الرؤساء والمعتمدين خاصة قبودانلر فلان، زيد قدره[2].

8 – بايات تونس: قدوة الأماجد والأعيان تونس داييسي، زيد مجد افتخار الغزاة المجاهدين، مختار الكلمات والمرابطين تونس داييسي أي (خالِ).

9 – أمراء بغدان والأفلاق: قدوة الملة المسيحية، عمدة كبراء الطائفة المسيحية، مخالصت نيشان، مصادقت عنوان بغدان وأفلاق زيد فضلهم[3].

10 – شرفاء مكة المكرمة: جناب إمارة مآب، سادت انتساب، دولت اكتساب، قطب دائرة الأفلاق الحسينية، واسطة عقد العصابة الهاشمية، سلالة السلسلة المحمدية، فرع الشجرة الزكية، شرف الأسلاف والأخلاف، زبدة آل بني عبد مناف ذو النسب الطاهر، الحسب والنسب ومختار أحفاد البتول ... الخ.

11 – ألقاب شيخ زاده (أولاد السلاطين) منها، خلف الأماجد والأكارم، جامع المحاور والمكارم، ذو القدر الأتم، والفخر الأقسم .. دام علوه.

12 – ألقاب السلطانات: سيدة المخدرات، صاحبة الخيرات والحسنات، ذات العلى والسعادات، عايشة الزمن، خديجة الدوران، المختصة بمزيد عناية المستعان فلانه، سلطانه دامت عفتها وزادت عصمتها[4].

---

(1) فريدون بك، منشأة السلاطين، مصدر سابق، ج 1، ص 9.

(2) المصدر السابق نفسه، ج1، ص 10.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 13.

(4) فيريدون بك، منشآت السلاطين، مصدر سابق، ج1، ص 7–8.

2– ألقاب المناصب العلمية والدينية :

1 – نقيب الأشراف: نقابت پناه نجابت، قدوة الأشراف والسادات منبع السيادة والسعادات ، شرف الدنيا والعقبى ، مفخر آل طه ويس.

2 – ألقاب شيخ الإسلام: أعلم العلماء العظام، أفضل الفضلاء الفخام، كاشف أسرار التنزيل، مطلع مطالع الأنوار، منور مصابيح الأحاديث النبوية، مشرف مشارق الأنوار المصطفوية، سياق غايات الفضائل والمعارف..الخ[1].

3 – ألقاب قاضي عسكر: أعلم العلماء المتبحرين، أفضل الفضلاء المتورعين، ينبوع الفضل واليقين، كشاف المشكلات الدينية، حلال المشكلات اليقينية، مصباح رموز الحقائق، مفتاح كنوز الدقايق.

4 – ألقاب القضاة: أقضى قضاة المسلمين، أولى ولاة الموحدين، معدن الفضل واليقين، حجج الحق على الخلق أجمعين، وارث علم الأنبياء المرسلين...

5 – ألقاب السادة: قدوة السادات العظام، عمدة الأنقياء الفخام، افتخار آل طه ويس، سلالة سيد المرسلين ... الخ.

6 – ألقاب الأئمة والخطباء: قدوة البلغاء الكرام، أسوة الفصحاء الفخام، حافظ كلام الله الملك العلام، المختص بمزيد عناية الملك الصمد ... الخ[2].

لقد أولى السلاطين أهمية كبيرة للألقاب، وعوقب الكتّاب عقوبات صارمة إذا أخلوا بلقب أي شخصية، وقد أشار قانون نامه (محمد الفاتح وسليمان القانوني) على مخاطبتها بما يلزم، لأن الألقاب قد توضح مرتبة المخاطب دون ذكرها في الخطاب.

في بادي الأمر كان يذكر عقب اللقب المنصب والوظيفة، ثم اسم الشخص صاحب المنصب، وفي النصف الثاني للقرن السادس عشر، اكتفى الكتّاب بالألقاب والاسم، لأن لكل رتبة ألقابها الخاصة بها[3].

---

(1) *Ismail Hakkı, saray Teşkilatı* مرجع سابق (في صفحات متعددة) *s.312.*

(2) فيريدون بك، المصدر السابق، ج1، ص 10–12.

(3) *Gokbilgin, osmanilı, paleo grafya, Ankara, 1950,s 59-67.*

4 – ديوان السراي الهمايوني *Humayun saray divanı* :

يُعد الديوان الهمايوني أعظم وأرقى مؤسسة حكومية في الدولة العثمانية، ووظيفته مناقشة شؤون الدولة السياسية والإدارية والشرعية والمالية، فضلاً عن ذلك فإن الديوان الهمايوني من أعظم الأجهزة الإدارية المركزية التي حققت نجاحات باهرة في مختلف المجالات ويتبع إليه الأقلام والإدارات بشكل مباشر أو غير مباشر.

يعود تشكيل الديوان الهمايوني إلى الغازي أورخان وقد تطور بشكل أكثر فاعلية في عهد السلطان محمد الفاتح.

عمل في الديوان الهمايوني أكثر من ثلاثين موظفاً، وبدأ يتضاعف عددهم سنة بعد سنة ولاسيما في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فترة ضعف الدولة العثمانية وترهلها، ليصل إلى أكثر من مائة موظف، وإذا كان السلاطين الأوائل قد وجهوا أمرهم إلى الديوان بضرورة الاجتماع يومياً بسبب المشكلات التي كانت تواجهها الدولة آنذاك، فإن سلاطين القرنين السابع عشر والثامن عشر حددوا اجتماعاته مرة في الأسبوع، وقد تزامن إهمال الديوان مع إهمال السلاطين لمهامهم.

لقد جسد الديوان البيروقراطية في الدولة العثمانية، وتحول من قمة المسؤولية التي كانت مناطة به إلى مؤسسة خدمية بامتياز، كما ارتبطت مكانة الديوان بقوة السلطان الحاكم، لأن تردد السلطان إلى غرفة العرض لسماع شكاوى الناس أمر مهم جداً في حياة الديوان، كما حدد قانون نامه عدد الأعضاء وطريقة دخولهم وجلوسهم داخل الديوان، وقد شهد الديوان ازدهاراً كبيراً في عهد بايزيد الثاني، لأنه كان يحضر إلى الديوان لسماع شكاوى الناس، كذلك فقد حدد عدد أعضاء الديوان بثلاثة وزراء، وكان قاضي العسكر والدفتردار يتشاركان في حضور جلسات اجتماعه[1].

(*1*) أرشيف رئاسة الوزراء ، مجموعة الديوان الهمايوني ، ص 86.

نص قانون نامه على ضرورة حضور السلطان اجتماع الديوان لإنصـــاف المظلومين ومحاسبة المسيئين من رجال الدولة، كما كلف الديوان بمهمة الرقابـــة على أحكام القضاء وكأنه آنذاك محكمة نقض[1].

لقد نظم قانون نامه تشكيل الديوان وكيفية دخولهم وتناولهم الطعام ومثولهم لدى السلطان، كما حدد عدد الموظفين المساعدين وخاصة المكلفين بأمور الكتابـــة والتحرير.

تطور الديوان بالنسبة لسلاطين القرن السادس عشر والسابع عشر بزيـــادة عدد الوزراء، وإشراك قاضي العسكر (قاضي الروميللي وقاضي الأناضول) غير أن هذه الزيادة التي فرضت على الديوان، أسهمت إلى حد كبير في ترهله وحولته إلى مؤسسة بيروقراطية كسولة[2].

حدّد قانون نامه اجتماعات الديوان عقب صلاة الصبح من كل يـــوم عـــدا يومي الخميس والجمعة حيث يؤدي الوزراء صلاة الصبح في جامع آيا صـــوفيا، وعقبها يفتح باب همايون بأمر من آغا الباب، وحالما يدخل الوزراء يجتمعون في مبنى يسمى القبة انتظاراً لقدوم الصدر الأعظم الذي حل محل السلطان بعد ســـنة 1535م، بعدما خُول قيادة الجيش وحمل الختم الهمايوني[3].

يتدارس أعضاء الديوان بمختلف القضايا والمشكلات التي تواجه الدولـــة، كما يتدارسون وضع الولايات كون الديوان الهمايوني يمتلك أعلى صلاحيات فـــي الدولة، إضافة إلى أنه يعدّ الجهاز الحيوي الأكثر نشاطاً فيها، وإذا كـــان ضـــعف السلاطين قد حدَّ من اجتماعاته اليومية، فهو يجتمع لدى حدوث أي حدث مهـــم أو لقدوم سفير دولة أوروبية أو عزل سلطان أو وفاته[4].

---

(1) Ferid küsük ahmer, divanı hümgyun - teşkilatı, Istanbul, 1986.s 170-176.

(3) Halil inalcık, ibn Hacer'de osmanlılara dair haberler, Istanbul, 1948, s 192.

(4) Halaç oğlu, osmanLı devlet teşkiLatı, Ankara,1976, s 21-23.

يناقش الديوان الهمايوني في اجتماعاته المسائل الخارجية، ويدرس التقارير المقدمة من الولايات، ولاسيما تقارير الولايات الحدودية، وكانت ولايات شمال أفريقيا، تحظى بالقسم الأكبر من جلسات الديوان لكثرة مشكلاتها الداخلية والخارجية، وقيام بحارتها بضرب السفن التي ترتبط مع الدولة العثمانية بعلاقات واتفاقيات، عندها يضطر الديوان لمخاطبة ولاة تلك المناطق، علماً بأنهم كانوا يتجاهلون توجيهات الديوان وحتى الفرمانات السلطانية.

أ – أيام انعقاد الديوان :

ذكر سابقاً أهمية الديوان الهمايوني التي بدأت تتضاءل وتفقد قراراته وتوصياته الأهمية، لأن الباب العالي أو ما يسمى باب الباشا غدا صاحب الكلمة الأولى في الدولة، لكن على الرغم من فقدانه الأهمية، ظل قائماً وبشكل رمزي، إلا أنه شارك في إصدار التقويمات السنوية (السالنامات) بشكل فعال[1].

لم يتمكن الديوان الهمايوني من المحافظة على نظامه الذي أقره له قانون نامه من حيث الاجتماع يومياً بعد صلاة الصبح، لأن مكانته وقراراته كانت وقفاً على قوة السلطان الحاكم ومدى قدرته على ضبط شؤون الدولة[2].

صحيح أن السلطان محمد الفاتح 1451–1481م أقر ترأس الصدرالأعظم لجلسات الديوان، لكن بحضوره وتخفيه خلف ستارة لمتابعة جلساته وكيفية إدارته للدولة، ولكن في مرحلة الضعف والترهل بين القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، أفسدت كل الأنظمة السابقة فعلياً، لكن نظرياً ظل الديوان يجتمع في الأسبوع مرة واحدة لتدارس قضايا جانبية، ففي القرن السابع عشر كان الديوان يجتمع أربعة أيام في الأسبوع[3]، وحدوث أيام العرض على السلطان، قد حددت يومين في الأسبوع (الأحد والثلاثاء)، على الرغم من ذلك فإن سلاطين القرن

---

(1) ismail hakkı, ilmIya teşkilatı, Ankara,1958, s 189.

(2) Kanun name, 1461,s 44.

(3) ismail hakkı, ilmIya teşkilatı, المرجع السابق *,s 192.*

السابع عشر حددوا اجتماعاتهم في الديوان الهمايوني، مرتين في الأسبوع، ويوم واحد للعرض على السلطان[1].

تولى الصدور العظام مسألة إدارة الديوان الهمايوني خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ثم تضاءلت أهمية الديوان الهمايوني، واقتصرت اجتماعاته الشكلية على بعض المراسيم مثل مراسم توزيع العلوفات (الرواتب) على جنود الإنكشارية، لدرجة أنه عُرف فيما بعد بديوان العلوفات واستقبال سفراء الدول الأجنبية، وقد حاول بعض سلاطين القرن الثامن عشر إحياء الديوان لكنهم عجزوا، لأن مقدرات الأمور كلها غدت بيد الصدور العظام، الذين عُرف مقرهم بالباب العالي[2].

ب – مكان انعقاد الديوان:

تفاوتت الدراسات حول مكان انعقاده، وغالباً كان الديوان الهمايوني يجتمع في سراي بورصه أو أدرنه بالقرب من قصر السلطان والبعض يذكر أنه يجتمع في ديوان خانه هذا قبل فتح القسطنطينية، لكن بعد فتح القسطنطينية كان يجتمع في غرفة مجاورة للغرفة الكبيرة في السراي، وكانت تسمى (قبة التي) أي تحت القبة، وبالرجوع إلى المكان ثبت أنه بجوار بيوك أوضه (الغرفة الكبيرة).

ج – أعضاء الديوان :

تفاوت أعضاء الديوان من 3–12 عضواً معظمهم من وزراء القبة، وقد حمّلهم السلاطين مسؤولية ضبط شؤون الدولة كونهم يمثلون السلطة العليا في المسؤولية مع السلطان بصورة جماعية عندما تعرض تلك المسألة على الديوان، ويضطر السلطان إذا أصر أعضاء الديوان على حلها ويجب الاستجابة لرأيهم[3].

---

(1) سمي الديوان بالديوان الهمايوني لأن السلطان كان يشرف بنفسه على جلساته. للمزيد، إسماعيل حقي ، علمية تشكيلاتي (مرجع غير مترجم) ص 205.

(2) الفرق ما بين باب همايون وباب عالي ، باب همايون قصر السلطان، وباب عالي مقر الصدر الأعظم، للمزيد : *Raşlbey-osmanlı tarıhı , Istanbul.* هـ*1298,s139.*

(3) إسماعيل حقي، علمية تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 251.

ويذكر المؤرخ قفلجملي أن لأعضاء الديوان حق العرض على السلطان، لكن الشخص الذي يعدّ عقل السلطان (آغا الباب والسلحدار) بإمكانهما حسم الأمر مع السلطان أكثر من الديوان، ومن أبرز أعضاء الديون عدا عن الوزراء هم خمسة :

1-قضاة العسكر، قاضي الأناضول وقاضي الروميللي.

2-قاضي دار السلطنة.

3-من يحمل رتبة وزير وبيلربي من النشانجية.

4-العاملون كدفتردار إذا كانوا برتبة نيشانجي.

5-النشانجيون المكلفون بحماية السلطان ورعايته[1].

إن أبرز الأعمال التي ينجزها الديوان الهمايوني تتركز في أمور ثلاثة:

1) المطالعة: تتجلى المطالعة بإبداء رأي كل من الوزير وقاضي عسكر والدفتردار، حول القضايا الاقتصادية من قبل الدفتردار وبعد طرحهم لآرائهم تغدو الجلسة جاهزة لمناقشة تلك الأمور الحساسة.

2) يعطي الأمر بالحقوق أو الامتيازات البراءة أو الوظيفة أو السلطة.

3) يصدر الفرمان المتضمن الأوامر والنواهي[2].

إن الجلوس في الصدر في الديوان الهمايوني هو من حق الوزراء وقضاة العسكر والنيشانجي، لأنهم أصحاب السلطة الرئيسة في الدولة، وقد أجاز قانون نامه السماح لبيك البكوات (المعزول) والبيك أو الوالي المعزول أيضاً بالجلوس في الديوان كمستمعين، وهنا يسأل حكمت قفلجملي مَنْ من أفراد الشعب يستطيع الاقتراب من الديوان الهمايوني لعرض ظلامته، بعدما أصبح عدد حجاب الديوان الهمايوني 2344 شخصاً[3].

ما رمى إليه حكمت قفلجملي أن زيادة عدد الخصيان من سود وبيض حالت دون إيصال المظالم إلى الديوان، وبالتالي أصبح الديوان فارغاً من مهامه.

---

(1) حكمت قفلجملي ، التاريخ العثماني، مرجع سابق، ص 129-130.

(2) المرجع نفسه، ص 255.

(3) قفلجملي، مرجع سابق، 256.

د – أقلام الديوان *divan kalemleri* :

قامت الدولة العثمانية منذ المراحل الأولى لتأسيسها على إعداد ما يلزم لبلورة دولتهم الناشئة بشكل علمي دقيق، فلجأت إلى ما يسمى بالدفتر خانه *defterhane* وعهدت إلى النيشانجي إدارة تلك المؤسسة القائمة على أصول إمساك الدفاتر وتسجيل الأراضي والعقارات، لأنها دائمة التوسع، وعندما دخلت الوطن العربي سنة 1516م، عهدت إلى مؤسسة الدفترخانه تسجيل التيمار *Timar* ومعاملات الأوقاف *vakiflar* بغية حفظها في مؤسسته[1]، وقد كلف النيشانجي بتوثيق دفاتره من خلال توقيع الصدر الأعظم عليه لدى افتتاحه وفي أثناء إغلاقه، ومن ثم يعرض هذا الدفتر إلى الديوان الهمايوني، ويحفظ الدفتر في الديوان للرجوع إليه عند اللزوم ولمنع التلاعب به من قبل الموظفين التابعين للنيشانجي، ونظراً لأهمية مؤسسة الدفترخانة[2]، فقد أقر القانون إنشاء مؤسسة تدوينية سموها أقلام الديوان الهمايوني التي تضم:

1 – رئيس الكتاب *Reis-ül-kütap* :

يحتل رئيس الكتاب المرتبة الخامسة بعد أركان الدولة الأربع الوزراء، قضاة العسكر(الأناضول والروميللي)، الدفتردار والنيشانجي، وقد عهد إلى الباش كاتب مسؤولية الإشراف على أقلام الديوان الهمايوني من حيث المعاملات والإجراءات الجارية فيه، وقد بدأ نفوذه يزداد منذ القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر لدرجة أنه لقب بوزير الخارجية نظراً للأهمية الكبرى التي يتولاها، فقد كان ذاكرة الديوان وتاريخ ماضي الدولة، ولهذا كان أعضاء الديوان بحاجة ماسة إليه في كثير من الأمور التي تواجه الدولة بغتة[3].

---

(1) يحتوي أرشيف رئاسة الوزراء على مئات الآلاف من الدفاتر التي تتبع الدفترخانه ويترأسها الباش كاتب، آتيلا شاتين، دليل أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول، 1979، ص1–35.

(2) عبد الرحمن باشا، قانون نامه، استانبول، 1953، ص 14.

(3) zeki pakalın, (مصدر سابق) و خاصة *C.2.s 757.*

يُعد رئيس الكتاب الشخص الأول في الدولة الذي يمتلك أسرارها، وخاصة ما يتعلق بالمراسلات الخارجية، لأنه هو من يستعلم المراسلات وهو المسؤول عند كشف ما فيها، وقد تطلب الأمر من رئيس الكتاب تعلم اللغات الأخرى مثل العربية والفرنسية والإنكليزية إضافة إلى لغة الدولة، وقد تم انتقاء رئيس الكتاب بموجب امتحان أمام أعضاء الديوان للتأكد من أهليته وقدرته على فهم الوارد وتهيئة الصادر بالسرعة الممكنة ويتبع إليه عدة موظفين[1]:

أ- تدوين قلمي، وهو المسؤول عن حفظ الأوراق الخاصة بالفرمانات كما عليه متابعة تدوينها.

ب- رؤوس قلم باشي، وهو الشخص الذي يعهد لمن تتوفر فيه صفات حسن الخط وإتقان اللغة وإجادة الكتابة بها.

ج- قلم التحويل، ومهمته إحالة الرد إلى المختص بلغة الرسالة وكتابة الرد المطلوب.

د- قلم الآمدى، وهو المختص بالتدوين الأخير بناء على التوجيهات المعطاة له، ويحذر عليه الخطأ مهما كان تافهاً.

وبقراءة مهمة الباش كاتب يمكن فهم الأسرار التي يحتفظ بها، وأصول الرد على المراسلات الخارجية، لأن الخطأ في هذه الحالة يعدّ جرماً لا يغتفر، وقد قطعت رؤوس رؤساء الكتاب لخطأ غير مقصود، لأن أخطاءهم حمّلت الدولة مسؤوليات كبرى، ولهذا تساوى رئيس الكتاب بوزير الخارجية.

ارتبط رئيس الكتّاب بالنيشانجي أحد أركان الديوان الهمايوني، وعندما خضع الديوان إلى الصدر الأعظم اتبع رئيس الكتاب باب الأصغر أي قصر الصدر الأعظم[2]، وفي هذه الحالة فإن رئيس الكتاب أصبح في المرتبة الأولى والنيشانجي في المرتبة الثانية، لأنه يتبع السلطان والسلطان لا حول له ولا قوة حيال نفوذ الصدر الأعظم.

---

(1) Midhat sert oğlu, (مرجع سابق), *s 206.*

(2) zeki pakalın, diyemleri (مصدر سابق) *c.1,s 192.*

إن إلحاق رئيس الكتاب بباب الأصغر، أصبح الوسيط الفعلي ما بين الصدر الأعظم وسفراء الدول الأجنبية الذين أصبحوا يترددون إلى الصدر الأعظم لأتفه الأسباب، لأن الصدر الأعظم فتح مكتبه للسفراء الأجانب باستمرار.

هـ – رئيس كيسه داري، ومهمته حفظ الأوراق بعد تصنيفها ووضعها في حافظات مدوّن عليها محتويات كل منها[1]، وقد أمتلك خزانة ضخمة من الأوراق.

2 – الأقلام الأساسية ***esasi kademleri*** **:**

تشكل الأقلام الأساسية بإطارها العام مؤسسة كتابات الفرمانات والتحذيرات والتنبيهات إلى المؤسسات الإدارية التابعة للدولة العثمانية بما فيها ولاياتها وألويتها، ولهذا فإن مجموعة من الموظفين يرتبطون بهذه المؤسسة القلمية التي تضبط الشؤون التحريرية في الدولة فيها، وهم:

أ – قلم البلكجي ***beglikçi kalemi***، ويعد من أول وأهم أقلام الديوان الهمايوني، ومهمته الاحتفاظ بأوراق الديوان الهمايوني وتحويلها إلى المختصين للاطلاع عليها والرد، وعرض ما فيها على الديوان لإتخاذ القرار اللازم بهذا الشأن، كما عليه إعداد نصوص المعاهدات والفرمانات أو الرسائل الهمايونية الواجب الرد عليها أو إرسالها إلى من يجب الرد عليه، يساعده بلكجي كيسه داري، المسؤول عن كتابة الأوراق ومتابعة المعاملات والإجراءات والإشراف على الكتبة الآخرين للتأكد من كتابتهم لما هو مطلوب[2].

ب – قلم التحويل، وتسميه بعض المصادر، قلم الكيسه أو النيشان ومهمته توجيه براءات تعيين القضاة وبراءات الوزراء والبكلربكية وأمراء السناجق، وتجديد مدونات سجلات الزعامت والتيمارات[3].

---

(1) أوغلو، مرجع سابق، ج1، ص 197.

(2) محمد بشيرلي، البلكجي، مهامه ودوره، أنقره، 1973، ص 97–98.

(3) أوزون تشارشلي، علمية تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 257.

ج – قلم الرؤوس، مهمته تسجيل المعاملات كافة من بـــراءات وفرمانـــات تعيين موظفي الأوقاف والمكلفين بالخدمات الدينية، ولا تعد البراءة سارية المفعول ما لم تكن مسجلة أصولاً في قلم الرؤوس[1].

لقد أسندت هذه المهمة إلى قلم الرؤوس لأن قلم الديوان مشغول بالمعاملات فضلاً عن الكم الهائل الذي يعمل به لإنجاز مهام الدولة وولاياتها، ولهذا كلف قلـــم الرؤوس بالاهتمام بأمور ثلاثة :

- الأول: شؤون شيخ الإسلام وقاضي استانبول وقضـــاة الـــبلاد الـــثلاث (اسكودار، أيوب، غلطه).
- الثاني: شؤون العاملين في مؤسســـة دار الأوقـــاف التابعـــة لآغـــادار السعادة.
- الثالث: شؤون العاملين في القلاع.

أما الأوقاف التابعة للصدر الأعظم فإدارتها مستقلة عن قلم الـــرؤوس، لأن واردات هذه الأوقاف تقدم للجيش في أثناء الحرب، ولهذا سميت برؤوس الجـــيش أي (اورديى رؤوسلري)، في حين تقسم رؤوس الركاب الهمايوني (ركاب همايون رؤوسلري) إلى قسمين :

1–رؤوس الروزنامجه الصغيرة (كوجوك روزنامجه رؤوسلري).

2–رؤوس قلم المشادة (پياده قلمي رؤوسلري) [2].

د – قلم الآمدي، وهو القلم الرابع التابع للأقلام الأساسية، تشكل هذا القلـــم في القرن الثامن عشر، وتنحصر مهمته في تقديم الملخصات والتقارير التي يعدّها أو يكتبها الصدر الأعظم للسلطان، كما يقدم للســـلطان ملخصـــاً مقتضـــباً عـــن المراسلات الواردة والصادرة من الدول الأجنبية، وعليه الاحتفاظ بصورة عنهـــا، كذلك فهو يقوم بتبييض مدونات رئيس الكتاب التي ترسل إلى الصـــدر الأعظـــم وعندما انتقلت الإدارة إلى الباب العالي أصبح قلم الآمدي هو صلة الوصل الرئيسة ما بين الصدر الأعظم والسلطان، ومع العقد الأخير مـــن القـــرن التاســـع عشـــر

---

(1) اتيلا تشاتين، دليل أرشيف رئاسة الوزراء، مرجع غير مترجم، ص 35 وما بعد.

(2) Halil inalcık, reis ülküttab, Ankara, 1978,s 67.

أصبحت مهمة قلم الآمدي حل الشيفرة الواردة من الدول الأجنبية أو الواردة من ممثلي الدولة العلية وتقديمها إلى الصدر الأعظم وملخص عنها للسلطان والرد عليها بحسب التوجيهات المعطاة له.

3 – الأقلام التابعة *Tabıa kademler* :

أ – قلم التشريفات السلطانية (البروتوكول)، وهو الدائرة الرئيسة في إقامة مراسم التشريفات السلطانية، ويعد السلطان سليمان القانوني أول من أعدها بشكل رسمي وفعال، نظراً لكثرة ضيوفه من الدول الأجنبية، وقد أعدت هذه المؤسسة خصيصاً لهذا الغرض تحاشياً من وقوع أخطاء في أثناء المراسم والاحتفالات مما قد يقلل من قيمة الدولة وهيبتها، وقد اشتهرت الدولة العثمانية بإقامة المراسم والاحتفالات بشكل مدهش.

كذلك فإن قلم التشريفات مسؤول عن إعداد المراسم اللازمة واللائقة بجلوس السلطان على العرش، والاحتفال لدى تمنطق السلطان بالسيف ومناسبات عيد الميلاد ووفاة الأمراء والأميرات أو الأعراس والختان، يساعد رئيس قلم التشريفات كوادر معدة بشكل جيد، إضافة إلى عدد من التلاميذ الذين يدربون على مهام التشريفات[1].

ب – قلم تسجيل الوقائع (وقعه نويسكْ)* ويضم هذا القلم النخبة الفكرية والأدبية لتسجيل أحداث السراي وأعمال السلطنة ورجالاتها بأسلوب أدبي ممتع مفعم بالحيوية والنشاط، لكنه لا يخلو من الإطراء المبالغ، وقد تم اختيار صفوة المعلمين وممن يجيدون قرض الشعر والإبداع في الإنشاء والبلاغة لتدوين ما يدور في السراي الهمايوني بشكل أدبي، وبتعبير آخر يمكن القول كتاب السلاطين والسراي الهمايوني[2]، ويعد السلطان سليمان القانوني أول من اهتم بكتابة الشهنامه ونظراً للتراث الأدبي الذي أنتجه هؤلاء الكتاب والأدباء، فقد طوره خلفاؤه وبرعوا في اختيار الأدباء وكتّاب الشعر والبلاغة، وقد برز عشرات

---

(1) أوغلو، مرجع سابق، ج1 ، ص 200–202.

(*) وقائع نويس تعني تسجيل الوقائع.

(2) إسماعيل حقي، علمية تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 410. (نويسك تلفظ نويسن).

الكتاب مثل سيد لقمان (ت. 1010 هـ) وملهمي إبراهيم (ت.1010 هـ) وجودت باشا ولطفي باشا وعبد الرحمن شرف[1]، وقد ظلت كتابات هؤلاء الأدباء على شكل مسودات احتفظت بها مكتبات السليمانية ونورعثمانية ومكتبة بايزيد، وبعضهم جاء من أرشيف رئاسة الوزراء، غير أن إصدار جريدة الوقائع كجريدة رسمية للدولة خلال القرن التاسع عشر عدّ أول ضربة قاسية يواجهها كتاب الشهنامه، لأنها اهتمت بإصدار التعيينات والتوجيهات الصادرة عن الديوان الهمايوني والباب العالي[2].

ج – قلم الترجمة : يُعد قلم الترجمة أو وظيفة الترجمة من أكثر وظائف الديوان الهمايوني حساسية لاطلاع موظفيها على أسرار الدولة الخارجية وسقطاتها، فالمترجمون يطلعون على دقائق المباحثات التي تجري مع الدولة الأجنبية وعلى الصفقات السياسية التي يقوم بها مسؤول الدولة سراً أو علانية، كذلك فمن مهامهم كتابات الردود المناسبة، وقد تسلل الأوروبيون إلى هذه المؤسسة وأفسدوا الصالح فيها دون علم أو دراية من السلطان، وقد بلغ عدد موظفي الترجمة ما يزيد عن 200 موظف يتقنون مختلف اللغات قراءة وكتابة، وقد اعتمدت الدولة خلال المراحل الأولى على الغرباء منهم غير الأتراك، وظل هؤلاء يتحكمون بأسرارها حتى أوائل القرن التاسع عشر حيث بدأ السلاطين يرسلون وفوداً إلى أوروبة لتعلم اللغات وإتقانها، لأن الدولة لمست تواطؤ بعض المترجمين في قضية استقلال اليونان أوائل القرن التاسع عشر[3].

4 – مجالس الشورى *Şura meclisler* :

لقد اقتدت الدولة العثمانية بالتراث الإسلامي من حيث الشورى، وقد سعت الدولة العثمانية للأخذ بمبدأ الشورى في مختلف مؤسساتها ما عدا مؤسسة العرش العثماني، لأنه تقليد موروث عن السلاجقة، وأقره المؤسس عثمان غازي ، لهذا لم

---

(1) bekir kütük oğlu, vakayınüvis, Istanbul, 1979,s 271.

(2) bekir kütük oğlu, vakayınüvis,(مرجع سابق)*.s 275.*

(3) cengiz orhan, tercüman, Istanbul, 1945, s 22.

يطبق العثمانيون مبدأ الشورى فيما يتعلق بولاية العرش، وقد تجلت الشورى لدى العثمانيين بمراجعة العلماء واستشارتهم، وقد أقاموا مجلس شورى يعتمد على أسس معينة في أنظمتهم الإدارية[1]، لكن الديوان الهمايوني في كثير من الأمور غلّب مصلحة الدولة على الأخذ بالشورى، لأن هناك مسائل مهمة لا يمكن عرضها على مجلس الشورى، علماً بأن (شورت مجلسلري) أدى خدمات جيدة في انتقاء الموظفين الجيدين، وأسهم في اختيار الولاة الصالحين، وقد أكثرت (شورت مجلسلري) في عقد اجتماعات كثيرة لدراسة الخط الهمايوني وإبداء رأيها بما يؤخذ، وغالباً فإن السلطان الحاكم كان يأخذ برأيها لأنها مؤسسة أكثر صفاء من غيرها من المؤسسات الإدارية الأخرى[2].

لقد تمت معظم اجتماعات (شورت مجلسلري) في مقر شيخ الإسلام، علماً بأن معظم المصادر العثمانية تؤكد أن شيخ الإسلام لم يكن له مقراً خاصاً به[3].

5 – الهيئة العلمية في الدولة العثمانية :

إن القراءة الأولى لنشأة الدولة العثمانية لا تلحظ أثراً لما يسمى طبقة العلماء أو الهيئة العلمية، لأن الدولة العثمانية قلدت الدولة البيزنطية التي كان حرسها الإمبراطوري يضم أربعة ألوية ، وقد خطا العثمانيون على خطاهم فشكلوا حرسهم الهمايوني من أربعة وحدات مركزية هي الغرباء والسلاحدار والسباهية والمرتزقة، وأطلق عليها جيش الباي تخت، واقتدوا أيضاً بالبيزنطيين في تقسيمهم الإداري واعتمدوا أربع نظم إدارية هي الولاية والسنجق والقضاء والناحية، وفي مجال العلم والثقافة اقتدوا أيضاً بالبيزنطيين، فأوجدوا علم الفقه وديوان الأدبيات، لكنهما يدوران في إطار البلاط[4].

---

(1) أحمد راجي أفندي، مؤسسة شيخ الإسلام، استانبول،1977، ص 37.

(2) نجاة كوينتج، دور شورت مجلسلري، استانبول، 1982، ص 17.

(3) أفادت المصادر العثمانية أن شيخ الإسلام كان يتخذ منزله مقراً لعمله، ولم يخصص له دائرة خاصة حتى أوائل القرن التاسع عشر (الباحثة).

(4) Ismail hakkı, ilmiye teşkilatı, (مرجع سابق) *,s 182.*

بالطبع ليس تقليد بيزنطة فضيلة أو قبولها نقصية، بل كانت ضرورة حتمية وبحسب رؤية الكتّاب العثمانيين ما أن يخرج الإسلام من صحراء الجزيرة العربية حتى يتوافق مع أسلوب التنظيم البيزنطي، فعمر الخطاب رضي الله عنه أقام الدواوين بعد سنة 643 هـ جرياً على الطريقة البيزنطية، ولهذا بقيت السجلات الرسمية بين أيدي كتبة روم وباللغة البيزنطية، وما بنو عثمان إلا آخر المسلمين[1].

إذا كان العثمانيون بعدما دخلوا القسطنطينية تداركوا تجاهلهم لطبقات المجتمع فقد قسموه إلى أربع طبقات، وما يهم البحث الطبقة العلمية التي ضمت رجالات الدين (الشريعة والفقه) والحقوق.

ففي بادئ الأمر، كان العثمانيون لدى دخولهم الأناضول يخضعون لنظام ينسجم مع تقسيم العمل في الوظائف المبدئية الدينية من جهة والنضالية الدنيوية من جهة أخرى، وبفضل هذين المبدئين تمكنوا من تحويل الأناضول والروميللي إلى ديار إسلامية وقسموا الأرض بحسب الوجهة الإسلامية، وطبقوا الشريعة الإسلامية، واتبع سلوك مؤسسة الصلاة والصوم لدى المسلمين، وأنزلوا السراي الهمايوني على ظهور الخيل، وشجعوا الطرق الصوفية وأفسحوا المجال لطائفة الدراويش، واتبعوا جهاداً ونضالاً دينياً، بورك فيه منذ (غزوة بدر)، والتزموا بالفتوى والقضاء لأنهما من مبادئ الشريعة الإسلامية.

هذه الخطوات الدينية التي التزم بها العثمانيون أثناء نضالهم الجهادي بدءاً من منطقة سكودا الواقعة في الشمال الغربي للأناضول وحتى استقرارهم في القسطنطينية سنة 1453م كونت لديهم معرفة بالدين وبأصول الشرع، ولهذا أقاموا الهيئة العلمية في دولتهم معتمدين على الأسس التالية :

أ – قضاة العسكر *Kadı askerlik* :

لقد ضمت أجهزة الدولة ومؤسساتها الدينية عدداً كبيراً من العلماء ذوي الصلاحيات المهمة في مجال العلم، وبما أن الدولة اعتمدت بالدرجة الأولى على

---

(1) قفلجملي، التاريخ العثماني، مرجع سابق، ص 62، 66، 67.

القضاء لإدارة المناطق المفتوحة، ولهذا فقد حظي قضاة العسكر بمكانة مرموقة في الدولة، ويُعد قاضي بورصه أول مسؤول من بين العلماء في الدولة إبان تأسيسها.

لقد مثل قاضي بورصه الشرع الإسلامي، وعُهد إليه ترأس الهيئة العلمية والمدرسين، وعّد المرجع الأول والرئيس لحل الخلافات الدينية والشرعية[1].

لقد وزعت الدولة على الهيئة العلمية مهمتين :

الأولى: الإدارة القضائية والثانية الإدارة التعليمية، وكلفت قاضي العسكر البت في الشؤون العسكرية والحربية، وكان يرافق السلطان في الحروب التي خاضها كافة، ونتيجة لرؤية السلطان بأن قاضي العسكر لن يتمكن من مواجهة المسائل كافة نظراً لاتساع الأراضي المفتوحة، فاستحدث منصب قاضي عسكر جديد وللتمييز بينهما سمت قاضي عسكر الروميللي وقاضي عسكر الأناضول، وقد أغدقت الدولة عليهما رواتب عالية جداً إذ تجاوز راتب كل منهما ما يزيد عن خمسمائة أقجة، علاوة عن المراتب من فئة العسكريين ورسوم التعيينات وما يحصلا عليه من الهدايا والهبات[2].

يساعد قاضي العسكر في كل من الأناضول والروميللي كادر من الموظفين المختصين بالشؤون الدينية، وقد تضاءل نفوذ قضاة العسكر حيال نفوذ شيخ الإسلام التي كانت مهمته تعيين قضاة العسكر[3].

ب – شيخ الإسلام ***Şeyh ül-islăme*** **:**

يُعد منصب شيخ الإسلام ثاني منصب في الدولة العثمانية بعد منصب الصدارة العظمى وأيضاً ما عدا منتسبِ السلالة العثمانية، وهو رئيس الهيئة العلمية، وقد ازدادت مكانته بعد فتح البلاد العربية، وحظي باهتمام ورعاية السلاطين أكثر من قضاة العسكر، وقد أولى السلطان مراد الثاني 1421–1451م

---

(1) محمد بشيرلي، قاضي العسكر، استانبول، 1982، ص 56.

(2) أوغلو، مرجع سابق، ج1، ص 302.

(3) بشيرلي، مرجع سابق، ص 72.

أهمية خاصة لشيخ الإسلام ، حيث تولى هذا المنصب 122 شيخاً منهم من تولاها لأكثر مرة[1].

بلغت مشيخة الإسلام ذروتها في القرن السادس عشر ويعد محمد أبو السعود أفندي من أبرز شيوخ القرن السادس عشر، ومما منح شيوخ الإسلام مكانة بارزة، الإفتاء حيث أجازوا للسلاطين الكثير من الأعمال المخالفة للشرع، كما أفتوا بجواز منح المسيحيين امتيازات، وهذا ما شجع السلطان سليمان القانوني على منحها للأوروبيين.

تولى شيخ الإسلام إدارة جهاز الإفتاء وإدارة شؤون المدرسين والقضاة المعروفين باسم (الموالي) إضافة إلى رئاسة هيئة العلماء، وقد أطلق على مشيخة الإسلام (باب مشيخات)، وكان المنصب وقفاً على إرادة السلطان، وغالباً كان الاختيار يتم ما بين قاضي الأناضول وقاضي الروميللي أو من الذين زالوا من الخدمة أو المتقاعدين.

1 – مراسم تعيين شيخ الإسلام:

يدعى المرشح لهذا المنصب إلى السراي الهمايوني، ومن الباب العالي يقوم الصدر الأعظم بمرافقته إلى السراي الهمايوني، وحالما يدخل السراي يظهر السلطان ويخطو ثلاث خطوات باتجاه ضيوفه، فيقبل المرشح لتقبيل يد السلطان، ثم يركع أمامه على البساط، وبعدها يخلع السلطان عليه فروة بيضاء كما يمنح السلطان الصدر الأعظم معطف فروٍ، وبعدها يتوجه شيخ الإسلام برفقة الصدر الأعظم إلى الباب العالي بموكب مهيب، وبعدها يتقبل المرشح التهاني من موظفي الباب العالي، وبعدها يهدي الصدر الأعظم شيخ الإسلام جواداً فيمتطيه عائداً إلى منزله[2].

---

(1) أوغلو، المرجع السابق،ج1، ص 302.

(2) أوغلو، مرجع سابق،ج1، ص 302–303.

تضم مشيخة الإسلام عدداً كبيراً من الموظفين العلميين الذين يشتغلون بالأمور الإدارية في المشيخة، إضافة إلى علماء مختصين بالشؤون الدينية، ويترأس هؤلاء الموظفين أمين الفتوى (فتوى أميني) أما دور الإفتاء في الولايات فتتبع شيخ الإسلام في استانبول وتتلقى منه التعليمات اللازمة[1].

ج – نقيب الأشراف *Nakıp Ül-eşraf* :

وهي شخصية تعود بنسبها إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بصلة الدم، ومن يحمل هذا النسب يطلق عليه شريفاً أو سيداً، وبالأصل هم يعودون إلى الحسين بن علي عليه السلام، وهؤلاء يسمون «أهل البيت»، أما آل البيت فهم من أولاد علي من نساء غير فاطمة عليها السلام، ولكن هؤلاء الأشراف يشك بنسبهم، لأن البعض منهم من السلالة العباسية ويدعي أنه شريف، فضلاً عن ذلك فقد أسهم بعض العلماء في بيع هذا النسب وشرائه مدعومين من السلطة القائمة، ونقيب الأشراف في الدولة العثمانية من الرجال الكبار الذي يقوم بمبايعة السلطان أولاً ثم يقوم بنفسه أو برفقة شيخ الإسلام لتقليد السلطان سيف السلطة، يساعد نقيب الأشراف في الولايات وكيل يعرف قائمقام نقيب الأشراف، وقد اقتصرت أعماله بالدرجة الأولى على التأكد من هوية الأشخاص الذين يدعون السيادة أو الشرف، ومن ثم يتم التأكد من نسبه ويسجل اسمه في دفتر السيادة[2].

وهكذا وبقراءة سريعة لبنية الدولة العثمانية التي بنيت على عجل، يرى القارئ لها أنها جمعت المجد من أطرافه، أفتت في الحروب وأفتت في السلم، ووضعت تاريخاً من غبار الماضي وقامت بتحنيطه في المتاحف الخاصة بها، فرآه القراء، وأيقنوا أن هذه الدولة خرجت فعلاً من رحم القبيلة، وتمكنت أن تنزل تراثها عن ظهر الخيول لتضعها في مدينة القسطنطينية، ولتحولها خلال فترة لا تتعدى العقدين إلى مدينة يتوافد إليها ملوك أوروبا طالبين تقبيل عتبات السلاطين حتى في فترات الضعف والترهل، ولم تكتفِ بذلك، بل نقلت إليها الخلافة

---

(1) إسماعيل حقي، علمية تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 172.

(2) أوغلو، المرجع السابق،ج1، ص 304.

الإسلامية والتراث الإسلامي والإفتاء والشرف، وبعد هذا كله أصـــبحت عاصـــمة مدنية تستقبل العلماء وترحب بهم[1].

(1) *inLacIk* (مرجع سابق) .*s.311 (2)*

استنتاج الفصل الثالث:

تجاهل للغير وضرب وحرب إبادة وسيطرة ونفوذ وقصور فخمة وغلمان وخصيان وجواري جميلة، ومراسيم وفرمانات وأحكام وأوامر وأختام كونتها الدولة العثمانية التي خرجت من رحم القبيلة خلال عقود، واستمرت في كل بند وناحية لاتكل ولا تمل، ورعايا يدفعون الضرائب بكافة أشكالها وأنواعها، وعساكر تتنقل من مدينة استانبول إلى طرابلس الغرب سيطرة ونفوذاً، أليست هي الدولة العثمانية التي لم تعبأ بالغير؟ ولم تتذر لا عدو ولا صديق عن شنها الحملات والغارات؟ لقد أدخلت الرعب في قلوب كل جيرانها، وأربكت من حولها، وفجأة تدعو الجميع لحضور مراسم الاحتفال بجلوس السلطان، وكيف تقلده السيف، ولم تكتفِ بذلك بل حددت له طربوشاً خاصاً وألبسة لائقة تميزه عن غيره من سلاطين العالم، ثم تخصص له أختاماً من زمرد وما سيمنحه لغيره من ذهب.

لقد امتلك السلطان العثماني مميزات ما حلم بها سلطان، فحاشيته تُعد بالآلاف، وخادمات كذلك ونساؤه شرعاً أربع، ولكنه قد يتجاوزون المئات، ولديه ديوان جمع العلم وجمع الحكمة ولا مجال للخطأ، فكل موظف مستقل بذاته لا علاقة له بغيره.

لقد قسمت المهام في الدولة، وتركت السلطان إذا شاء يسرح ويمرح لا هم له ولا غم، الصدر الأعظم مسؤول عن الإدارة، وقاضي العسكر مسؤول عن الإخلال في أوقات الحرب وبعدها، وشيخ إسلام مسؤول عن فتاوى بالجملة، ونقيب أشراف يقلب البطاقات الشخصية ليتقدم إلى السلطان بالأنساب والألقاب.

لقد مرت قرون وهيبة الدولة ثابتة وقوية، وإن اهتزت قليلاً، ولكن الخصم يخاف استفاقتها المرعبة، فحاول عدم الاقتراب إلى قوانينها وأنظمتها، لكنه بدأ يأكلها من أطرافها إلى أن طلبت منه العون، فقدم لها كفنها، ورغم ذلك حاولت الانتفاض من جديد ، لكن عمل المؤسسات لم يعد صالحاً ولا يتناسب وإدارتها، وإن عجلة الزمان لا تدور إلى الوراء، ولكن هذا لا يعني أن عروشها وما احتوت من أوابد وآثار وكتب ومخطوطات لا تزال تنبض بالحياة، وتذكّر أن الدولة العثمانية امتلكت مقومات إدارية وتنظيمية سبقت عصرها بمراحل ومراحل.

وهكذا نرى أن الدولة العثمانية دولة مؤسسة آنذاك رغم البيروقراطية التي تتحكم بإداراتها، لكن هذه البيروقراطية لم تنعكس سلباً على النظام الـــذي أقرتـــه القوانين العثمانية بدءاً من محمد الفاتح وانتهاءً بالسلطان عبد الحميد الثاني الـــذي جسّد الدكتاتورية الفردية في شخصه بعدما كانت روح ديمقراطية الإدارة وقوننـــة الدولة مقبولة لدى الجميع، وقد دفعت الدولة العثمانية في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر كثير من أملاكها هرباً من الإنكشارية وتطلعها إلى اللحـــاق بالركب الحضاري بحسب رؤية مؤيدي الغرب في هيكلية الدولة العثمانيـــة، وقـــد توصل الغرب إلى تحقيق أهدافه في تمزيق الدولة العثمانية حيث أفرغها من قوات تدافع عنها وجرّدها من أنظمتها وقوانينها، ثم بدأ يأكلها من أطرافها إلى أن تمكـــن من القضاء عليها.

الفصل الثاني : السراي الهمايوني أقسامه ونظامه

أولاً – أقسام السراي الهمايوني *Saray hümayun Kesim Leri*

1 – باب همايون *Bab-hümayun*

2 – باب السعادة *Bab-üs-saadet*

3 – باب المابين *Bab-uı-mabeyn*

ثانياً– نظام السراي الهمايوني *Saray hümayun nizami*

1– السراي العامرة *Amire saray*

2– سراي الطوب قابي *Topkapı saray*

الحاشية السلطانية:*Sultan HeşiyesI*

أ– دائرة الحرملك *Haremlik dairesi*

1 – دائرة السلطانة الوالدة *Valide sultane dairesi*

2– زوجات السلاطين *Sultanlar hanımı*

3– بنات السلاطين *Sultanlar kızı*

ب – مهام الأندرون.

ج– مهام البيرون.

د– حاشية السلطان:

1– الحاشية الداخلية *Dahiliye haşiyesi*

2– الحاشية الخارجية *Harıczıye haşi yesi*

3– الحاشية الوسطى *Orta haşiyesi*

–استنتاج الفصل الثاني.

أولاً – أقسام السراي الهمايوني:

لم يكن العثمانيون أول من بنى السراي (القصور) بل قلدوا من سبقهم من الأمم (خلافات إسلامية أموية – عباسية – سلطنة مملوكية) أو أوروبية (فرنسية إنكليزية– نمساوية– ألمانية – روسية)، وتميزت قصور بني عثمان عن القصور الأوروبية بما يسمى بقسم الحرملك، وهذا النظام هو تراث إسلامي (أي الفصل بين الذكور والإناث).

لقد شاع صيت السلاطين العثمانيين وصيت قصورهم، غير أن تقسيم القصر (السراي)، عرفه العثمانيون بالخريطة السياسية للباديشاهية (الباي تخت) وألقابها أي العاصمة، علماً بأن جهاز الدولة العثمانية أقيم على أساس بسيط، تكاليفه قليلة، وأن الجهاز الإداري العامل في السراي الهمايوني كان وفق مبدأ الديموقراطية المركزية، كما نص القانون الذي نظم السراي الهمايوني خلال المراحل الأولى لنشأة الدولة التي يترأسها الباديشاه (السلطان)، أن العاصمة تضم الباي تخت والبلاط[1].

أما السراي (القصر) يرأسه آغا السراي *saray ağası* والملقب بآغا الباب *Kapı agası*، أما الغرفة الخاصة *Hasoda* ومهمتها القيام بالخدمات الشخصية للسلطان الحاكم، كما تشمل *Hasoda* السلاحدار *Sılahdar*، أما الركاب دار *Rikabdar* ومهمته تسلية السلطان وإدخال السرور إلى قلبه.

وهناك مهام أخرى منها المكلف بالإشراف على خزينة السلطان ولباسه ورئيس المطبخ، أما الخدمات العليا فهي خاصة بالوزراء ومراسيم الآغوات وغيرها من الخدمات التي تؤمن سلامة القصر وتهيئته بصورة تامة ودقيقة، ما يمكن قوله إن سراي طوب قابي *Topkapı saray* يمثل سرالإمبراطورية العثمانية والبعض سماه السراي الجديد وفيه عدد كافٍ من الكتّاب، وبناء على ذلك فقد قسم سراي الطوب قابي[2] إلى عدة أقسام :

---

(1) هكذا تصور الأوائل من السلاطين، ولولا حدوث معركة أنقرة سنة 1402م لصدقوا في تصورهم، أحمد رفيق، عثمانلي بيوك تاريخي، مصدر سابق، ج3، ص438

(2) للمزيد انظر ملحق رقم 2 في قسم الملاحق. (أليست الصور وثائق)؟

1 – باب همايون *Bab-hümayun* :

يُعَّد باب همايون القسم الرئيس في سراي الطوب قابي، وهو باب السلطنة، ويقع أمام السور السلطاني الذي يفصل ما بين السراي والمدينة، وهو يقابل كنيسة آيا صوفيا *Aya-Sofya* ، وفي الوقت نفسه فهو آخر أقسام السراي من حيث البناء الذي تم سنة 882هـ/1478م.

ويوجد في داخل الباب الهمايوني بابان بينهما حراس *Kapı CıIar* والغرف الخاصة *Mahsus odalar*[1]، وفوق الباب الرئيس بني *Koşk* (فيلا)، وعلى الجهة اليمنى للمدخل ساحة دائرة الدفترداري (الدفترسابقاً)، أما على الجهة اليسرى يقع باب يسمى باب الأحذية *Çizme kapı* ومنه تمتد ساحة تأخذ إلى الباب الوسط *Orta kapı*، وبجانبه خصصت غرفة للمتحف العسكري بالقرب من دار الضربخانه، وأما دارالضربخانه فتقع من جهة جامع بايزيد وقد أقيمت في القرن السابع عشر الميلادي[2].

أما سور باب همايون، فيبدأ من جهة الغرب حيث يواجه كنيسة آيا صوفيا والسور يقسم إلى ستة أقسام، بدءاً من باب السبيل البارد *Soğuk çeşme kapı* حيث يُرى بقربه كشك الفوج *ALay köşk*، وباب السبيل البارد أصبح الآن يسمى باب الحديقة، والداخل من هذا الباب يجد أمامه طريقين أحدهما على اليمين حيث يوصل إلى باب الضربخانه ومنه يمكن الخروج خارج السراي[3]، علماً بأن الضربخانه تقع على يسار القادم من باب الحديقة حيث يقع متحف الآثار العتيقة.

---

(1) Mehmet zeki pakalın, deyimLerive TerimLeri, sözLüğü. IstanbuL, 1964 C.I ,S 142.

(2) الغرفة الخاصة، وهي المكتب الأول من مكاتب الأندرون، أنشأها السلطان محمد الثاني (الفاتح) ويعمل فيها اثنين وثلاثين شخصاً، أما لفظة خاص فتطلق على الواردات التي تزيد عن 100 ألف أقجه وخاص أوضه فهي خاصة بالسلطان الحاكم، للمزيد، المصدر السابق، ج1، ص 750.

(3) D'ohsson, yukarIda geçitiği üzere Deavi kasrIna eski divan solance diyor, مصدرسابق *,S 119.*

وقد أنشئ هذا المتحف في ربيع الأول سنة 877هـ/1472م، ولدى الخروج من باب السبيل البارد (باب الحديقة) في طرفه طريق يوصل إلى باب الحديد[1].

إن إنشاء فيلا الفوج من قبل السلطان مراد الرابع 1623-1640م، حُوّل فيما بعد إلى مقر لعناصر القابي قول (عبيد الباب)، ويقف أمام فيلا الفوج مكان لإعدام الرجال الذين يرتكبون خطيئة، ويمكن للسلطان أن يراها من غرفة جلوسه[2].

لقد أقيم على سور السراي نقاط مراقبة يمكن لبرج مراقبة باب همايون رؤية فيلا الفوج وباب الحديد، وما بين باب الحديد وفيلا الفوج يقع الباب الصغير، ومنه يمكنه الوصول إلى باب دائرة التلغراف، علماً بأن فيلا طوب قابي تعرضت إلى حريق سنة 1862هـ، لأنها مكسية بالأخشاب حيث يمر من خلفه سكة حديد، وبالقرب منه يوجد مكان استغله السلطان سليم الثالث سنة 1789-1807م فأمر بإنشاء جناح خاص بوالدته، وأقام له سرداب من داخل القصر حيث يوصل إلى دائرة الاصطبل الخاصة[3].

ما يمكن قوله إن البناء السياسي في سراي الطوب قابي تمحور حول الباب الهمايوني، لأن هذا القسم أو الباب يمثل ببنائه وسوره مقر ومركز السلطان الحاكم، ولهذا يصعب التعرض إلى تفاصيله الدقيقة له[4].

2 – باب السعادة: *Bab-üs-saăde*

يُعد باب السعادة باب الوسط في سراي الطوب قابي، أو المقر الثاني *İkinci yer* أو *Orta kapı*، وهو يحتوي على برجين تحتهما بوابين (نوبتجلر)

---

(1) إسماعيل حقي أوزون، تشارشلي، سراي دوري، أنقره 1960م، ص 87.

(2) إسماعيل حقي أوزون، تشارشلي، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 24.

(3) أوزون تشارشلي، سراي دوره، المرجع نفسه، ص 223.

(4) Başvekalet arşivi veskikalarInda cevdet tasInifi. No. 2184.

لحراسة الأوضة الخاصة*Has oda* ([1])، وهنا يجتمع رجال الدولة من الـوزراء البكوات وأمناء دوائر السراي في صالون خاص بهم يسـمى باب المابين *Kapı arası*، وباب السعادة أو باب الوسط كباب همايون له أبواب داخلية وخارجيـة، إضافة إلى ذلك ففيه سبيل خاص به[2].

اعتاد السلاطين العثمانيون لدى خروجهم للصيد الإنطلاق من هذا البـاب، ولهذا أعطى لقب الديوان القديم باسم ديوان الصيد[3].

لقد أضفى بحر مرمره وزرقة مياهه على باب الوسط سعادة قـل مثيلهـا، ولهذا سمي باب السعادة، وخاصة أن ساحته كانت كبيرة طولها 160م وعرضـها 130م، فشكلت بذلك ساحة مستطيلة ومربعة بحسب رؤيـة النـاظر إلـى ميـاه مرمره[4]، وفي هذا الميدان أو الساحة يجتمع موظفو السراي لأخذ رواتبهم، ومن هنا أطلق على جزء من ساحته ميدان الفوج *Alay meydanı*، وفي أطراف هـذا الميدان يقع الديوان الهمايوني الخارجي وفوق هذا أقيم فيه عامود من المرمر تيمناً ببحر مرمره الذي منحه جمالية خلابة، أدهشت زواره وبخاصـة سـفراء الـدول الأوروبية الذين يستغلون موافقة السلطان على مقابلتهم للتمتـع بتلـك اللحظـات الجميلة[5].

---

(1) الغرفة الخاصة، وهي المكتب الأول من مكاتب أندرون، وقد تم توضحيها، علماً بأنها من أهم غرف السراي، لأنها صاحبة قرار.

(2) لقد قسمت القصورالأخرى تقسيمات قصر (سراي الطوب قابي) للمزيد تشارشلي، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 24 وما بعد.

(3) لقد اهتم خلفاء السلطان سليمان بالصيد كثيراً، وديوان الصيد كلف بإعداد كل لوازم الصيد من الخيول والرجال والمرافقين وتحديد منطقة الصيد، وإذا كان السلطان مراد الرابع قد امتلك أثناء رحلته إلى الصيد 358 حصاناً ومعالفها من الفضة الخالصة، وكذلك السلاسل والأرسان ، للمزيد، آصاف ، مصدر سابق، ص 85.

(4) selaniki tarhi, 6 cüze, Istanbul ,1323,c I,s 165.

(5) بالرجوع إلى مذكرات بعض سفراء دول الأوروبية، نجد أوصافاً كثيرة، دونوّها في مذكراتهم الشخصية، وقد ذكر عارف بك أوغلو أجزاء من تلك المذكرات، بعضها احتفظ بها في مكتبة السليمانية (دور سراي الطوب قابي). (قسم المنكرات الشخصية).

شغل باب السعادة في سراي طوب قابي مكانة مهمة حيث ارتبطت به أبواب السراي كافة، والخارج من باب السعادة يجد على يمينه أشجاراً باسقة وبها سبيل ماء دائم الجريان، وتحاذيه المطبعة العامرة، على الرغم من أنها أغلقت إلا أن الناظر إليها يجد ثلاثة أبواب، ومن هذه الأبواب يمكن الدخول اثنان اثنان حيث يوجد نفق طوله عشرون متراً بحيث يمكن الوصول إلى مطابخ السراي، وفي هذه المطابخ المسماة المطبخ العامرة يقيمون عماله وموظفوه، وفي نهايته مسجد السراي[1].

دأب موظفو السراي من ذكور وإناث منذ القديم على طبخ الطعام وإعداده في المطبخ العامرة *Matbah amire*، ويقدر عدد العاملين في السراي أربعة آلاف أو خمسة وربما يزيد عددهم عن ذلك[2]، وعادة يقوم ديوان أوجاق القابي قول بتوزيع الشوربة والأرز والزرد[3]، وهذا الطعام يقدم لعمال السراي في مساء الخامس عشر من رمضان من كل سنة.

لدى العودة من صالون الباب الأوسط، يُرى في الطريق باب الميت، وقد سمى بهذا الاسم، لأن الموتى (موتى السراي) يوضعون فيه استعداداً لدفنهم في المقابر المخصصة لهم[4].

شكل ميدان الفوج في باب السعادة (باب الوسط سابقاً) أهمية كبرى نظراً لوجود القباب الستة فيه، وهناك أيضاً أنشئ الديوان الهمايوني، وآنذاك كان المحل محدوداً جداً، لأن الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر وخاصة في ربعه الأول كانت منشغلة بفرض هيمنتها على من حولها من فرس، ومماليك وعرب، وبعدما دانت لها تلك المناطق واتسعت دولتهم حيث بلغت 16983,000كم2، بدأ

---

(1) Selaniki tarihi, مصدر سابق *C.1.s. 231.*

(2) İsmail hakki uzun ÇarşLı, saray teşkilatı, مرجع سابق *s 25. (sene 1765)*

(3) الزرد، طعام حلو يطبخ بالزعفران، وهو بالأصل اقتبسه الأتراك من الفرس، قانون الصفصافي، القاهرة، 1979م، ص 616.

(4) لم تفدنا المصادر العثمانية بأكثر من ذلك عن الموتى الذين يعملون في السرايا، أمثال جودت باشا وغيره من المؤلفين.

السلطان سليمان بالإنزواء في قصر الطوب قابي بعدما عهد إلى الصدرالأعظم إدارة شؤون الدولة وسلمه الخاتم للتوقيع والبيرق (العلم) لقيادة الجيوش بدلاً منه[1].

لقد تحول موقع القباب في باب السعادة مركزاً لاجتماع وزراء الدولة التي أمر السلطان سليمان القانوني بزيادة عددهم، ولهذا سمي هذا المكان، قبب الوزراء أو نيشان القبب[2].

ويحتوي باب السعادة على باب الأغوات البيض الذين يعملون في المحافظة عليه، كما أن عمال السراي والمحافظين من الآغوات البيض والخدم البيض وبعض الآغوات الآخرين يتسامرون في هذا الباب، لأن رواقه يطل على بحر مرمره[3].

لقد أولى السلاطين العثمانيون اهتماماً خاصاً بباب السعادة، فضلاً عن موقعه المتميز الذي يطل على القرن الذهبي، كذلك فقد أقاموا فيه إيوانات وممرات وشقق وغرف ومباني لخدمهم من البيض الذين كلفوا بإدارة معظم شؤون القصر، أما الآغوات السود فقد اقتصرت مهامهم على حراسة الأبواب، وتنفيذ العقوبات من جلد وقطع للرأس لمن تصدر بحقهم عقوبات[4].

لقد أقام السلطان سليمان القانوني بعدما سلم شؤون الدولة للصدرالأعظم عاموداً من الرخام[5] ودوّن عليه (من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم) وحينما تولى محمود الثاني أمر بنقش توقيعه على هذا العمود[1].

---

(1) كانت القباب تدل بصورة رسمية إلى عدد الوزراء، ثم زيد عدد القباب حيث أصبحت تسع قباب بتسع وزراء، وقد أصبحت القباب مركزاً لاجتماع الوزراء والتداول بشؤون الدولة، للمزيد، طرخان يازجي، مهام باب السعادة ودوره في إدارة شؤون الدولة، استانبول، 1897م، ص 45.

(2) Ahmed racI yazan, kubbe vezirler devri, Ankara, 1939 ,c.I,S 217.

(3) Feridun akozan, top kapı saray, Istanbul, 1945, s 98. المرجع نفسه ص150

(5) لقد أقام السلاطين العثمانيون داخل باب السعادة لوحة رخامية، دوّن عليها أسماؤهم، ودوّن تحت كل سلطان اسمه مع نجمة، وانتهت اللوحة الأولى باسم السلطان مراد =

يُعد باب السعادة ثاني أبواب السراي الهمايوني، فعلى جهة اليمنى بنيت أربع أو خمس غرف وسميت باب آغوات السعادة *Bab-us-sădeağası* وعلى القسم الآخر من تلك الغرف أطلق اسم (باب الآغوات *Kapı agası*)، أما من جهة اليسار، فقد أقيم قاووش للآغوات البيض، كما أنشئ داخل قاووش الآغوات البيض سبيل يسمى سبيل الصيد، وإلى جانبه وجد أوجاق المستخدمين حيث خصص لاستراحتهم، والتنفس (أي حرية الحركة) [2].

يبدأ قسم أندرون*Enderun* [3] في باب السعادة حيث يعّد القسم الثالث من هذا الباب ويقع مباشرة بعد الدخول من الباب المقابل لغرفة العرض *Avz odası* وفي هذه الغرفة يتم تعيين الصدورالعظام والوزراء، أو رغبة السلطان في قبول أي منهم للمثول أمامه، كما يتم فيها قبول شيخ الإسلام وقاضي العسكر، والدفتردار ورجال الدولة والأمراء وقادة أوجاقات الإنكشارية[4]، وقد أنشئت غرفة العرض من قبل السلطان محمد الفاتح، وحينما تولى السلطان أحمد الثالث عرش السلطنة سنة 1703–1730م حوّلها إلى مكتبة[5]، أما الهدايا التي تقدم إلى السلطان الحاكم، فكان مقدموها يدخلون من باب القبول*PIşkeş kapı*، أما حجرة التبريك للسلطان الجديد فيتم في القسم الثالث أي *Enderun*، وتبلغ مساحته أربعة آلاف متر مربع، أحد أضلاع هذا المربع الذي يمتد من باب السعادة إلى عنبر

الرابع، واللوحة الثانية تنتهي باسم السلطان عبد الحميد الثاني، أما اللوحة الثالثة فتنتهي باسم السلطان محمد رشاد ومحمد وحيد الدين، فيردون، مرجع سابق، ص 120.

(1) Fdridun Akozan, Topapı saray, Istanbul, 1945,s 98.

(2) لا تزال اللوحة الرخامية حتى تاريخه، وقد اهتم بها حكام تركيا الجدد، وحافظوا عليها، لأنها قطعة فنية، المرجع السابق، ص235.

(3) الأندرون *Enderun* وهو القسم الثالث من أبواب القصر أي باب السعادة، ويشمل على غرفة العرض وغرفة التبريك وغيرها، للمزيد .*Pakalın,c.s533*

(4) تاريخ السلانيكي، ج4، ص 335 (أوجاق تعني موقد وقد أطلقت على الإنكشارية).

(5) السلانيكي، مصدر سابق، ج4، ص 440.

الآغوات البيض وباب دائرة الآغوات، ودائرة الآغوات هذه عبارة عن غرفة صغيرة، يتم فيها توزيع المناوبة على أبواب القصر (السراي) [1].

3 – باب المابين *Bab-u-mabeyn* :

لقد اعتمد مصطلح مابين بشكل رسمي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني بدلاً من مصطلح قسم الحرملك، غير أن قسم الحرملك في قصر الطوب قابي *Topkapı saray* أدى دوراً بارزاً في حياة السلاطين من جهة والحياة السياسية للدولة من جهة أخرى، وخاصة بعد أن أوجد منصب آغا البنات *Kızlar agası* [2]، وقد ترأس هذا القسم الآغوات البيض بدلاً من الآغوات السود، ويقع باب المابين في باب السعادة، ولهذا عُدّ قسم الحرملك قسماً تابعاً لباب السعادة حيث كان السلطان الحاكم يقضي بعض أوقات يومه فيه، إذا لم يخرج للصيد أو لقضاء أيام في قصر بورصه أو غيرها، وفي أثناء تواجد السلطان كان رئيس غرفة العرض يعرض على السلطان البريد الوارد من الصدرالأعظم ويعطي ملاحظاته[3]، أما قسم الحرملك فيطلق عليه *Harem hümayun*[4].

يحتل قسم الحرملك الهمايوني الجزء الخلفي من الديوان الهمايوني ويقع على يسارالباحة الثانية في سراي الطوب قابي، فضلاً عن ذلك، فقد خصص موقع قسم الحرملك في الجهة التي تطل على القرن الذهبي، حيث اعتنى السلاطين في هذا القسم بشكل كبير، وقد تبارى هؤلاء السلاطين في إدخال التحسينات الجمالية عليه، وهو قسم مخصص لسكن حرم السلطان الحاكم، وبناء على ذلك فقد أكثر أسلافه من ممراته ودهاليزه، وقد أطلق عليه الحرم الهمايوني، لأن السلطان الحاكم كان يقيم فيه، وتعد زوج السلطان سليمان القانوني روكسلانه اليهودية هي أول زوجة سلطان حاكم تسكن مع السلطان في قصره[5].

---

(1) عبد الرحمن شرف، باب السعادة وأهميته، استانبول، 1944م، ص 23.

(2) شرف، المرجع السابق نفسه، ص 175.

(3) Pakalın ، مصدر سابق, *c 2 , S* 375 .

(4) ismaiL HakkI, Saray teşkilaıtı.s 34.

(5) محمود عامر، الماسونية ويهود الدونمه، دمشق 2007م، ص 103.

أسرف السلاطين من الأسلاف ومن تلاهم من الأحفاد في تزيين قسم الحرملك، فقد تمت تغطيته بقبب وعقود لؤلؤية، كما غطت جدرانه بأفضل أنواع القماش القاشاني والرخام، ورسم على جدرانه الداخلية مناظر وصورخلابة، لدرجة لم تكن أعين ساكينيه من الحريم تمل النظر إليها[1].

لقد أسهم سراي الطوب قابي وخاصة قسم الحرملك في تبديل أخلاق آل عثمان حيث ابتعدوا عن فطرتهم البدوية، وهذا ما أسهم في تسارع الترهل الذي عصف بقوة في دولتهم، ويرد محمد جميل بيهم سبب تزايد الترهل وتخلى سلاطين آل عثمان عن فطرتهم إلى تعلقهم بالزواج من الأجنبيات، وسعى هؤلاء النسوة إلى التحايل على السلطان الحاكم لمجالستهن ليل نهار، ولاسيما أن زوجاتهم كلهن من الجواري والسراري[2].

لقد وجد لقسم الحرملك أبواب عدة من أهمها :

أ – باب العربات *Araba kapısı*، وهذا الباب مخصص لركوب الحريم بالعربات أثناء الخروج والعودة، وله مدخل يُرى الداخل والخارج إليه ومنه.

ب – باب الدولاب *Dolap kapı*، وهو مخصص لقدوم العربات المخصصة لنقل الحريم ويليه مباشرة باب البرج *Kule kapısı*، وما بينهما دائرة آغوات دار السعادة *Dăr-üs-saade agası* ودائرة رئيس كتاب الغلمان، وقد خصص منابون لحراسة باب الحرم *Harem kapısı*، أما الأبواب الأخرى فقد كلفت غلمان بحراستها، وهناك أوضه خاصة بهم تنظم ذلك وتضبطه بشكل لا مجال فيه للخطأ، فضلاً عن ذلك فقد وجد ما بين باب الغلمان الرئيس ودائرة آغوات السعادة مسافة، تفرق بينهما ساحة[3].

---

(1) أوغلو، مرجع سابق، ج1 ص 154.

(2) بيهم، مرجع سابق، ص 12.

(3) دارالسعادة، اسم من أسماء استانبول، لأن السلطان يقيم بها، وقد خصص لحراستها آغوات علماً بأن مصطلح آغا *ağa* فارسية الأصل وتعني السيد، والآغوات مسؤولون عن تدريب وتنظيم الشباب المسيحي (ايج اوغلان) للمزيد *Zeki, pakalın, c. 2 ,s 9.*

ما يمكن قوله إن مصطلح الحرم السلطاني اعتُمد لأن السلطان الحاكم يقيم في سراي الطوب قابي، ولتميزها عن غيرها من الأقسام التي يحتويها سراي الطوب قابي، وأطلق على مكان إقامة السلطان السراي الهمايوني وعلى مكان إقامة زوجة السلطان الحاكم الحرم الهمايوني، وبذلك أضيفت القدسية الدينية والزمنية على هذين المكانين[1].

ثانياً – نظام السراي الهمايوني :

لم يتصور السلاطين الأوائل أن خلفاءهم سيقيمون قصوراً تخضع لنظام صارم أكثر من نظام الدولة العام، ولم يدر في خلدهم أن نظام الدولة سينهار بسرعة بعكس ما تصوروه من انهيار سراي الرفاهية والدلال، فالقبيلة العثمانية التي التزمت بما يسمى بديمقراطية مشاركة القبيلة، تحولت إلى ارستقراطية اعتمدت التباهي فيما يتعلق بشخصية السلطان الحاكم الذي سمي فيما بعد (تابو) أي ممنوع اللمس[2].

لقد تمحورت الدولة العثمانية بكل مؤسستها المدنية والعسكرية بشخصية ساكن السراي الهمايوني، مع العلم بأن مكونات السراي البشرية كانت خليطاً بشرياً غير متجانس، فقد ضمت قوميات وشعوباً عدة مظلتها الرئيسة الإسلام، لأن السلطان هو الممثل الرئيس للدين الإسلامي والحامي له.

لا شك أن السراي الهمايوني على الرغم من عدم تجانس قواه البشرية، لكن النظام الصارم المطبق على موظفيه وعماله من خدم وحشم (ذكور وإناث) أسهم في تقديم خدمات سياسية واقتصادية واجتماعية للدولة التي تحولت فيما بعد إلى إمبراطورية.

إذا كانت الدولة العثمانية عبر مراحل تكوينها وتوسعها تعرضت إلى تبديل الجلد سياسياً واجتماعياً، فمن الناحية السياسية غدت تفاوض الطرف الأوروبي

---

(1) Feridun akozan, Topkapı saray, s 167 .

(2) حكمت قفلجملي، التاريخ العثماني، رؤية مادية، 1995م، ص76.

وتتعامل معه، علماً بأن المصطلحات العدائية المعتمدة لدى الدولة العثمانية لم تتبدل، وقد تجاهل الأوروبي بعقلانية تلك المصطلحات، أما على الصعيد الإجتماعي فقد اضطر العثماني الذي كان يحمل مدنيته على ظهره للتعامل مع القوى البيزنطية التي اعتنقت الإسلام التي تنكرت لقوميتها السابقة، هذه التبدلات ساعدت في تقوية السراي وتعزيز مكانته من خلال الوفود الأوروبية التي توافدت إلى العتبة الهمايونية، سواء لتقديم الطاعة والولاء أو للحصول على امتيازات.

يصعب القول إن السراي الهمايوني وإن تعددت أقسامه وتنوعت مهام عامليه وخدمه وحشمه، قد تجزأ القرار فيه، لكن عدم وحدانية القرار لا تعني البتة أن الأمر السلطاني نفذ، غير أن زيادة الترهل نقل القرار من السلطان الحاكم المتحجب في خدور جواريه إلى السلطانة الوالدة أو الزوجة الهانم.

لقد أفادت الدراسات أن السراي الهمايوني ضم مؤسسات عدة، رغم الأعداد البشرية التي تواجدت فيه، لكن السراي بهيكلته الرئيسة وإن تعددت أبوابه ودوائره، لكنها بمجملها انضوت تحت ما يسمى السلاملك الخاص بالسلطان وإداريه والحرملك الخاص بزوج السلطان الحاكم وجواريها وخصيانها من سود وبيض ..

صحيح أن هناك سلاملك وحرملك، لكن السلطان لم يكن يتدخل بشؤون الحرملك، لأن والدته أو زوجه تديره بحسب النظام المتبع ممن سبقوهما، لكن زيادة الترهل قلب الأدوار، فالزوجة مع الصدرالأعظم بدأت تدير شؤون الدولة، وتركا السلطان الحاكم يغرق في مستنقع لهو نساء السراي ومجونه.

يرد بعض المؤرخين المدافعين عن السراي الهمايوني وحاكمه، أن السلطان لم يعهد للصدرالأعظم إدارة شؤون دولته نيابة عنه إلا بعدما أطمأن على قوة دولته، وعندما أيقن أنها تقاد بشعرة منه، غير أن هؤلاء المدافعين تناسوا أن السلطان الحاكم ترك مناطق إسلامية عدة تعاني ظلم امتيازات منحت للأجانب، وسلط جنده من الإنكشارية عليها، وأرغمها على تقديم حاجيات قصره من مؤن لإطعام القوى البشرية التي تعمل في السراي التي تزيد أعدادها عن خمسة آلاف وربما تزيد، ونورد ما ذكره الرحالة الفرنسي ليمهو تروي الذي زار السراي

الهمايوني سنة 1650م،(أي في عهد السلطان محمد الرابع الملقب بالصياد)، عن احتياجات السراي الهمايوني من اللحوم وذلك بما لا يقل عن :

60000	رأس من الغنم	أي 500 رأس في الشهر قرابة 166 رأس في اليوم
20000	رأس من العجول	أي 1616 في الشهر، قرابة 51 عجلاً في اليوم
20000	دجاجة	أي 1616 دجاجة شهرياً قرابة 51 دجاجة يومياً
1000	طيور و 3000 ديك رومي، عدا عن الغزلان والطيور البرية الأخرى[1].	

أما رواتب الذين يعملون بأجر زادت سنوياً عن 2,536,065 أقجه، ويوماً بعد يوم بدأت تزداد مصاريف السراي، بسبب سلاطين القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، حيث تنافس الخلف عن السلف بزيادة الطباخين، وتفيد المصادر العثمانية أن مصاريف مطبخ السراي الهمايوني أصبحت شهرياً تزيد عن 50 ألف أقجه ذهبية[2].

ففي عهد السلطان بايزيد الثاني بلغ عدد الطباخين عن 230 طباخاً، وفي عهد ابنه سليم أصبح 287 طباخاً، وفي عهد سليمان أصبح 300 طباخاً، علماً بأن فترة سليم الأول لم تزد عن ثمان سنوات، وكانت بمجملها حروب واقتتال ما بين الصفويين والمماليك وبينه[3].

ليس الهدف من ذكر ما سبق تعداداً أو عرض مساوئ السراي، بل الهدف هو إيضاح أهميته كمؤسسة سياسية، وتطلع العالم الأوروبي آنذاك لعقد هدنة معه، فالفرمانات التي كانت تصدرعنه كانت شبه مقدسة لا يجرؤ تابع ولا معادٍ على مخالفتها، وفوق هذا فهي ظاهرة اجتماعية، لأنه حافظ على العرق العثماني من خلال الأنساب وليس من خلال الدم، فالسلاطين العثمانيون تزوجوا بمجملهم من النساء الأوروبيات (مسيحيات – يهوديات) وأفشلوا المقولة القائلة (كادت المرأة أن تلد أخاها).

---

(1) محمود عامر، الماسونية ويهود الدونمه، مرجع سابق، ص 107.

(2) فيردون، مرجع سابق، ص257. (ترجم لي الأستاذ المشرف بعض النقاط منه).

(3) المحامي، مرجع سابق، ص 188.

1 – نظام السراي العامرة *Amire saray nizamı* :

يظل مصطلح السراي العامرة تعبيراً خالٍ من محتواه ومضمونه بدون الباديشاه(السلطان)، وفي الوقت نفسه لا معنى للباديشاه أو بالأحرى لا سلطة للباديشاه بدون سراي، وكلاهما يرتبطان ارتباطاً مباشراً بالديوان الهمايوني، وهذا يعني أن بنية الدولة ترتبط بالباديشاه من مختلف الجوانب السياسية والإجتماعية والإدارية، علماً بأن العثمانيين سبقوا الملك الفرنسي لويس الرابع عشرعندما قال (الدولة إنما تعني بالذات أنا) لكن العثمانيين وإن لم يجاهروا بها، كما فعل الملك الفرنسي، لكنهم ألزموا رعاياهم على تأكيدها والعمل بموجبها والالتزام بحرفيتها، ولم يكتفوا بذلك، بل زادوا عليها عندما قال يلدرم بايزيدالأول 1389هـ/1402م، إن أمير المؤمنين الذي هو ظل الله في أرضه يجب أن يكون واحداً في الأرض[1].

أليست الدولة تعني الباديشاه، لكن الباديشاه وإن حصل على هذه القدسية والمكانة دينياً وسياسياً، كان فعلياً يتمتع بها يوم كان يقود الجيوش ويوم كانت الإنكشارية في الحروب تدافع عنه، فخيمته في الخط الأول من المعركة، لكن بعد أن عُهد إلى الصدرالأعظم إدارة الدولة وقيادة الجيش وحملَّه الخاتم، لم يبقَ للسلطان أكثر من رمزية، حافظ من حوله عليه لا حباً به، وإنما لديمومة تسلطهم على الدولة ومقدراتها، فالإنكشارية ترى السلطان أنه أب ووطن وقومية، ولهذا استماتوا في الدفاع عن خيمته، ومنعوا أعداءه من الاقتراب منها، ويخطيء من يتصور أن الإنكشارية ذات البنية والأصول المسيحية كانت تدافع عن الإسلام أو الدولة العثمانية الإسلامية[2].

كان مراد الأول على دراية بخلفية نظام الدفشرمه[3]، وإذا هزموا أمام تيمورلينك سنة 1402م لا لضعف في المقاتلين، بل لأن يلدرم بايزيد ضرب

---

(1) شرف، مرجع سابق، ص18.

(2) حقي، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 180. (إنها تدافع عن وجودها).

(3) الدفشرمه *devşirme*، مصطلح أطلق على أولاد المسيحيين ممن تراوحت أعمارهم من 8-18 سنة مع توافر اللياقة البدنية، استحدث في عهد السلطان مراد الأول حيث نفذت

المنظمات الدينية التي شاركت في نشأة وتوسع الدولة، وضرب الأكراد لإبعادهم كشركاء في تأسيس الدولة، وضرب التركمان في إماراتهم، وفوق هذا كله انصرف إلى اللهو والمجون، وبدأ بالغرق في مستنقع الغواني حتى غاصت أقدامه، فحاول النهوض لكن نهوضه جاء متأخراً، فوقع في الأسر وتمزقت دولته من بعده[1].

في واقع الأمر عُرف السراي العامرة بمكانته وصلابة قراره، وقد ظل هذا ملازماً له حتى في مرحلة الضعف والترهل، لأن حاشية السلطان رغبت أن تظل هيبة السلطان قوية، لأن هذا قوة لهم وليس ضعفاً كما يتصور بعض قراء تاريخ الدولة العثمانية، لأن السلاطين في القرنين السابع عشر والثامن عشر اندفعوا بنهم شديد إلى ممارسة حقوقهم الحيوانية[2].

ويضيف حكمت قفلجملي في وصفه للباديشاه والسراي بالقول، إن السراي في القرون الأولى كان مؤسسة إدارية وتشريعية وتنفيذية ويخشاها الجميع، أما في القرنين السابع عشر والثامن عشر فهو صرح للإنقسام الطبقي ومقبرة هذه الدنيا[3] في الوقت نفسه عُدّ السلطان القابع في السراي العامرة، أنه فزاعة للعاملين في السراي وحتى للأقوياء، لأنهم كانوا يخشون فجأة من استفاقته مثلما حصل مع السلطان مراد الرابع 1623–1640م، عندما ضرب الإنكشارية وكل من حوله حتى المفتون لم ينجوا من غضبه، فأعدم مفتي بورصه وإذنيق ودبر دس السم لمفتي استانبول فلقب بالسلطان الأسود[4].

علق مصطفى أفندي زاده على مصطلح السراي العامرة بالقول، إن السراي التي بناها السلطان محمد الفاتح وأفرغ الخزينة لإتمام بنائه، تحول إلى

سنة 1362م كبديل عن القوات العسكرية الأولى من اليايا *yaya* المشاة والمسلم وغيرها، للمزيد : *zeki pakalın, Osmanlı tarihi deymlerim,c.i.s 445.*

(1) المحامي، مرجع سابق، ص 146.

(2) قفلجملي، مرجع سابق، ص 229.

(3) يقصد المؤرخ بأنه مقبرة هذه الدنيا بالنسبة للضعاف من السلاطين قفلجملي. مرجع سابق ص230.

(4) Mehmet aslan, sultan dordüncü murat, Ankara, 1974.s 269.

مقبرة لأبنائه وأحفاده الذين تنوعت أصول أمهاتهم قومياً ولغوياً، ولهذا لم تبقَ مرحلة إنسانية ألا أخذت حقها ومستحقها بدءاً من الرجولة وانتهاء بالرذيلة، غير أن العدالة لا مكان لها في قصور (سراي) الملوك والسلاطين عظاماً كانوا أم ضعافاً[1].

وأضاف صحيح أن ملوك أوروبا وأمراءها تهافتوا لطلب ود السلطان الحاكم بدءاً من السلطان سليمان القانوني الذي منحهم امتيازات حتى عهد السلطان محمود الثاني، ولو أن الأمر أسند إلى مفكريهم السياسيين والإقتصاديين، لما توصلوا لمنح امتيازات لصالحهم أكثر مما تكرم به السلطان سليمان، وهنا تكمن ردة الفعل الأوروبي التي بدأ تعاملها مع زوجات السلاطين الذين يعدن بأصولهن إلى إحدى الدول الأوروبية.

أما من حيث تردد السفراء والقناصل الأوروبيين لم يكن لطلب ود السلطان الحاكم بقدر ما هو تحريض السلطان الحاكم ضد الخلاص من ولاته[2].

أما رضا نور، فعدّ مؤسسة السراي الهمايوني دفع الدولة إلى الانهيار المخزي الذي بلغته بعبث سلاطينها، وليس ولاياتها التي قدمت لهذا السراي من المساعدات الغذائية ما يكفي ولاية ويسد حاجاتها من نقص المواد الغذائية[3]. لقد تساءل المؤرخ حكمت قفلجملي بعدما أصبح السراي العامرة صرحاً يجسد الإنقسام الطبقي وأنه مقبرة الدنيا، أين هو الحاكم[4]؟

بحسب قوله إن بناة الحضارات الأوائل اهتموا بزخرفة القبور وتجاهلوا زخرفة السرايات (القصور)، لا حباً بالفقير الذي لم يحسب له حساب وليس له أي دور، وإنما كانت الزخرفة وسيلة وغاية للحكام والرؤساء المؤلهين ومحرمي اللمس (تابو) سيدفنون فيها اعتقاداً منهم أن زخرفة السراي ليست بالقضية التي تؤخذ بالحسبان، فالقبور مأوى أبدي (إن لم نقل مسكن أبدي) [5].

---

(1) لطفي باشا، التنظيمات الخيرية، استانبول، 1316هـ، ص 114.

(2) لطفي، مصدرسابق، ص 111.

(3) رضا نور، مأساة السراي العامرة، استانبول، 1927م، ص 71.

(4) قفلجملي، مرجع سابق، ص 231.

(5) أفندي زاده، السراي الهمايوني، استانبول 1298م، ص385.

لقد دأب العثمانيون على زخرفة السراي، لأنه كان أشبه بمحطة المحـــارب حتى فتح القسطنطينية سنة 1453م، ولم يتنعم السلطان آنذاك بأي إنجاز حضاري (سراي الطوب قابي)، وحسب ما ذكره مصطفى أفندي زاده أن الفاتح ندم علـــى إصداره فتوى تبيح للحاكم قتل جميع أخوته، وساورته شكوك، بأن هـــذا الســـراي سيقتل روح الرجولة بأبنائه وأحفاده[1].

أما قفلجملي فيذكر أن العثماني الأول لم يبالِ بادئ الأمر بالسراي، وحالما تم فتح أدرنه بدأ السلاطين يتطلعون إلى الحرص على بناء السراي، ولأن ســـكن سراي بورصه استغرق قرابة خمسين سنة من /1365 حتى 1417م/، فهذا يعني أنهم حاربوا وبعدها حُق لهم التنعم، ويعلق جودت على ما ورد أن الســـلاطين وإن عدّوها بادئ الأمر محطة لاستراحة المحارب، أو مؤسسة لإدارة شؤون الدولة لم يدر في خلدهم مصطلح إطلاق السراي العامرة على سراياهم، وأن من اختار هذا المصطلح مكرمة خاتون زوجة الفاتح[2]، وطلبـــت مـــن ابنهـــا بايزيـــد الثـــاني 1481هـــ/1512م اعتماد مصطلح السراي العامرة، لأن هؤلاء السلاطين الـــذين سبقوا الفاتح، لم يكن لديهم مقرات تؤهلهم لاعتماد هكـــذا مصـــطلح، بـــل كـــانوا موزعين ما بين أدرنه وما بين بورصه، لكنهم أطلقوا مصطلح باي تخـــت علـــى المدينة التي سكنوها، لإعلام الداخل والخارج أن لهم عاصمة خاصة بهم ولتمييزها عن عواصم جيرانهم سموها باي تخت[3]، وجـــدير بالـــذكر أن قصـــر بورصـــه *Bursa saray* قد تعرض للحريق سنة 1457م، ولكن لم يبدِ الفاتح اهتمامه لهـــذا الأمر، إلا أن سلاطين القرنين السابع عشر والثامن عشر، أعادوا تجديده وقســـموه إلى أندرون وبيرون وخرقة السعادة (الخزينة العامرة) والغرفة الخاصة التي تهتم بحياة السلطان الحاكم، وما يمكن قوله: إن ما جُدد من القصور القديمة أدخلت عليه تقسيمات سراي الطوب قابي، لكنهم لم يطلقوا مصطلح السراي العامره إلا علـــى

---

(1) قفلجملي، مرجع سابق، ص 234.

(2) أحمد نيازي، خاطرات نيازي، استانبول، 1320هـ، ص 217.

(3) Peçeve, tarihi, Istanbul ,1308.s.159.

سراي الطوب قابي، والبعض يعلل بأن هذا السراي هو مركز الخلافة وحامي المسلمين[1].

2 – نظام سراي الطوب قابي *Topkapı saray nızamı* :

تطرق البحث سابقاً إلى السراي العامرة (البلاط العثماني) وأن المقصود من إعتماد هذا المصطلح العظمة التي تضفى على السلطان حاكم هذا السراي الذي يتميز عمن سبقه من سرايات (قصور) الإمبراطوريات الأخرى[2].

أما مصطلح سراي الطوب قابي هو السراي المحاط بسور متين عليه أبراج حراسة ويتألف من ثلاثة أقسام، ولكل قسم أبواب محددة المهام، يعمل به موظفون متعددو المهام، بمجملهم تحت إمرة السلطان، ومكلفين بخدمته، اعتاد المؤرخون على أن عمال هذا السراي وموظفيه وطواشيه من سود وبيض يطلق عليهم **الحاشية السلطانية** ويمكن تقسيم مهامهم في ثلاثة دوائر أبرزها [3] :

1– نظام دائرة الحرملك *HaremLik dairesi nızamı* :

أجمع المؤرخون على أن دائرة الحرملك هي أكثر دوائر سراي الطوب قابي إسهاماً في تدهور الدولة العثمانية وتقويض دعائمها، يقول خليل غانم نقلاً عن بيهم (ليس بين العوامل جميعها التي أفضت إلى تدهور السلطنة، عامل يضاهي تأثير الحرم مباشرة وتأثير السراي السلطانية في تقرير هذا المصير)، أما جودت فيضيف أن العثمانيين لم يتعلموا عبرة وحكمة من هزيمتهم أمام تيمورلنك أبشع من إقلاعهم عن الزواج بالحرائر، هذا الزواج غيرالمنظم وخاصة من النساء

---

(1) نيازي، مصدر سابق ، ص217.

(2) هامر، التاريخ العثماني، 6 أجزاء، (د.ت)، ج1، ص 135، (عالجناه من حيث نظامها وليس مهامها).

(3) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، مرجع سابق ص 53، أما خليل غانم فهو مؤرخ عربي عمل في دار الإفتاء في استانبول، ودون كتاباً بعنوان (السلطانة العثمانية) لا يزال مخطوطاً في مكتبة السليمانية حتى تاريخه، رقم 3257.

المستوردات، أسهم في إفساد الدم العثماني النقي، كما أسفر عن إنجـــاب أبنـــاء لا يحملون من العثمانية إلا الاسم[1].

لقد تناسى السلاطين العثمانيون أن الباديشاه تعني فعلياً الدولـــة[2]، وأنهـــم بزواجهم القائم على الغريزة ولدّ مع مرورالأيام وجـــود ســـلاطين (باديشـــاهيات) مساكين حُرموا من جميع حقوقهم الإنسانية (بعدما انغمسوا كلياً فيما يسمى الحقوق الحيوانية) [3].

ويضيف قفلجملي أن هؤلاء السلاطين ألقي بهم بين أشداق عجلة التـــاريخ بلحمه وعظمه. وأنهم حوصروا بديوان دأب على تحمـــيلهم جميـــع المســـؤوليات وسائرالجرائم، ولم يكتفِ بما حمُلوا من أوزار، بل بالغوا في ألوهيـــة الباديشـــاه، وأطلقوا عليه التابو (ممنوع اللمس)، وأسهموا فـــي انحـــراف مهمـــة الأنـــدرون *Enderun* من مؤسسة بلاطية أو باديشاهية شخصية لدرجة أنه تمكن مع مـــرور الزمن من لوي رقاب السلاطين (الباديشات) بعدما حـــولّهم إلـــى دُمـــى بأيـــدي الجميلات من نساء الحرملك وخاصة خلال القرنين السابع عشر والثـــامن عشـــر الميلاديين وهنّ كل سراي الطوب قابي، وما تبقى عبارة عن خدم مهمتهم تجميـــل السلطان وإعطائه المقويات الحيوانية[4].

أجمعت المصادر العثمانية ومراجعها على أن قسم الحرملك يعنـــي فعليـــاً (الحرم السلطاني) ويتضمن :

---

(1) امتنع خلفاء السلطان بايزيد بعد هزيمة أنقره عن الزواج بالحرائر، وبدؤوا الزواج بنساء صغيرات من جنسيات وقوميات متعددة أمتلئ السراي بهن، وسيوضح زواج السلطان من خلال دائرة الحرملك. (وقد أشار البحث سابقاً إلى ذلك، ذكرى وليس تكراراً).

(2) الباديشاه *Padışah* مصطلح فارسي تعني سلطان، ملك، ذكي بقالين، مصدر سابق، ج1، ص178.

(3) قفلجملي، مرجع سابق، ص 229 وما بعد.

(4) Halil ganem, Al seltane üLosmaniye, Istanbul, 1943.c.2.s 130.

1 – الحاشية السلطانية التي تتألف من دوائر عدة أبرزها:

أ– دائرة السلطانة الوالدة *Velide sultane dairesi* [1]:

لقد دأب خلفاء محمد الفاتح وخاصة بعد افتتاح قصر الطوب قابي سنة 1478م، على تخصيص غرفة خاصة بوالدة السلطان الحاكم، فيها الخدم والحشم والوصيفات وأعداد من الطواشيه (الخصيان) من سود وبيض، كذلك فقد خصصوا لها ميزانية خاصة بها تقتطع من الخزينة السلطانية، وإذا توفيت والدة السلطان الحاكم، فإن مربية السلطان تقوم مقامها، وقد اعتاد السلطان الحاكم على قضاء اليوم الثالث من كل عيد إلى جانب والدته يتقبل خلالها التهاني من موظفي قصر والدته، وبعدها يقوم السلطان بتقديم الهدايا إلى موظفي القصر (السراي) إكراماً لوالدته[2].

لقد عهد السلطان الحاكم إلى والدته الإشراف على المحظيات المستوردات من دول أوروبية، وانتقاء أفضلهن لمرحلة الإقبال ثم قادين أولى (المرأة الأولى) ويعد السلطان مراد الثالث 1574–1595م أول من أطلق على والدته المهدية العليا *Mehdi ulua*، وهو تعبير استخدمه ملوك وسلاطين بعض الدول الشرقية[3].

ويذكر عامر في مؤلفه أن السلطان مراد الثالث أطلق على والدته نور بانو اليهودية هذا اللقب تعويضاً لأهانتها من قبل زوجته الإيطالية صافية، ولأن عمال السراي كانوا غير مرتاحين إليها، لأن صافية زوجة مراد حضتّهم على كراهيتها.

أفادت المصادر العثمانية أن مصطلح المهدية العليا اقتبسه السلطان مراد من القبائل الأغوزية، ولكنه لا يطلق على زوجة قائد القبيلة إذا كانت من خارج قبيلته.

---

(1) İsmail Hakki, saray Teşkilatı , مرجع سابق .*s.147.*

(2) محمود عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، مرجع سابق، ص 78.

(3) عامر، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، مرجع سابق، ص 78.

ظلت والدة السلطان تحظى بمكانة مرموقة في السراي، لكن انصياع بعض السلاطين العثمانيين إلى إرادة نسائهم (ومـــاأكثرهم) قلـــل مـــن مكانـــة الوالـــدة السلطانة[1].

ب – دائرة خزنه دار أوسطه *Hazındar usta* :

تعرف هذه الدائرة بدائرة هنكار قلفه سي *Hunkar kalfe* وهـــي دائـــرة خاصة بالسلطان الحاكم لا يدخلها إلا النساء، وخدمهم من الخصيان (الطواشـــيه) سود وبيض، ومهمة هذه الدائرة الإهتمام بزوجات السلطان الأربع، حيث يخصص لكل زوجة من زوجاته الأربع دائرة خاصة بها.

ج – الدائرة الأولى لزوجته التي أنجبت له غلاماً ذكراً، وغالباً مـــا يكـــون وليـــاً للعهد، إذا نجا من التآمر من زوجات والده اللواتي أنجبن ذكوراً.

د – دوائر باش قادن *Baş kadın* وهي جزء من الدائرة الأولى، لكنها مخصصة لمحظيات السلطان الحاكم.

هـــ – دوائر باش إقبال *Baş ikbaı dairesi* ، ويخصص لكـــل محظيـــة مـــن محظيات السلطان الثلاث دائرة خاصة بها، ويحق لها الاحتفاظ بدائرتها إذا هجرها السلطان وتلقب *haseki* (خصكي) أي خاص قديم، في حين يطلق علـــى أمهـــات البنات *Haseki kadın*، ويحق للسلطان أن يدفع من سراريه من يشاء إلى مرتب القادينات *KandınLar*.

و – دوائر قيزيده[2]، وهي دوائر مخصصـــة للفتيـــات اللـــواتي يـــنلن إعجـــاب السلطان[3].

---

(1) عامر، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، مرجع سابق،ص79 . ويذكر أن والدته نوربانو يهودية اختلفت مع زوجة مراد الثالث صافية خلافاً أودى بوالدة مراد الثالث إلى طردها من السراي.

(2) Arcemet turan, saraylarda kızlar, Istanbul, 1945, S.397.

(3) İsmail Hakki, مرجع سابق *s. 149.*

ز – دوائر (قادين أفندي) *Efendi kadın*، تخصص هذه الدوائر إلى أمهات بعض أبناء السلطان الحاكم وبناته.

ح – دوائر (السلطانات) *Sultaneler*، وهذه خاصة بالأميرات اللواتي لم يتزوجن، أو العوانس من الأسرة الحاكمة، وحينما تولى السلطان سليمان القانوني العرش، عمد الصدرالأعظم رستم باشا إلى طردهن من دوائرهن وذلك بتوجيه من زوجته مهرماه ابنة السلطان سليمان، ولم تذكر لنا المصادر، ماذا حل بالعوانس من السلالة العثمانية، ويذكر ارجمند تطوران أن هؤلاء الفتيات أرسلّن إلى قصور المدن الأخرى[1].

لقد شكل قسم الحرملك أكثر من ثلث القصر، إن لم يكن النصف من حيث البذخ، وفي الوقت نفسه أسهم في إفساد إدارة الدولة، ويتحمل السلطان سليمان القانوني مسؤولية ذلك، لأن زوجته روكسلانه ارتكبت أعمالاً سيئة، وهي التي شجعت السلطان سليمان ومن بعده ابنها وولي العهد سليم الثاني 1566–1574م على الإنغماس في مستنقع اللهو والمجون، لدرجة أنه توفي أثر جريه خلف جارية في حمام افتتحه سنة 1574م[2].

2 – زوجات السلاطين *Harım suLtanlar* :

لقد دأب السلاطين العثمانيون على تزويج أبنائهم ذكوراً أو إناث من ولاية الروميللي، وكان يطلق على الأبناء (بي *Bey*)، أما الزوجات فقط طرأت على النهج العثماني في الزواج متغيرات جديدة، ففي بادئ الأمر كان زواج قائم على المصالح وخاصة خلال المراحل الأولى، وبعد معركة أوصو (قره صو) التي قتل فيها مراد الأول سنة 1389م[3]، أقلع العثمانيون عن زواج المصالح، لأنهم تحسسوا القوة بأنفسهم.

---

(1) Ercement Turan, S.178

(2) لزيادة الإطلاع على أعمال روكسلانه، يمكن الرجوع إلى عامر، الماسونية ويهود الدونمه، وحسين مؤنس، الجارية روكسلانه، وسليمان المدني، تركيا اليهودية، وفيرون، عشق السلاطين.

(3) Izzet efFendi, tarih izzet, Istanbul, 1305, s 220.

وقد لجأ يلدرم بايزيد الأول 1389هـ/1402م إلى الزواج ممن يريد بالقوة، وبعد موته قهراً إثر وضعه في القفص ورؤية زوجته، لجأ العثمانيون إلى الزواج من الجاريات المستوردات خشية مواجهة مصير السلطان يلدرم بايزيد[1].

يذكر عامر في مؤلفه أن العثمانيين بعدما أقلعوا عن الزواج بالحرائر، لجؤوا إلى البحث عن المواصفات الجسدية كالطول والقصر والقد الممشوق، وتدخلت الدول الأوروبية سراً، حيث أفسحت المجال للجميلات من بناتها بالتظاهر أنهن اختطفن، وفي الوقت نفسه تجاهل السلاطين العثمانيون الأصالة في الحسب والنسب[2]، وغدا العرش العثماني ساحة صراع وتنافس بين زوجات السلطان لإيصال أولادهن إلى سدة العرش، كما فعلت روكسلانه زوج السلطان سليمان القانوني حيث حرضته على قتل ابنه البكر مصطفى من زوجته كلبهار[3].

لم يكتفِ السلاطين العثمانيون بالزواج من الجاريات المستوردات (مسيحيات ويهوديات) بل منحوهم عدة ألقاب إسلامية، علماً بأن معظمهم لم يعتنق الإسلام، مثل إقبال وخصكي وقادين أفندي[4].

لقد أفاضت المصادر والمراجع في وصف أعراس بنات السلاطين والأبهة التي كانت بنت السلطان تتفرد بها، فزواج مهرماه (خاتمة الشهر) من الكرواتي رستم باشا، كاد أن يفلس الخزينة، وقد أمر السلطان سليمان بزيادة الضرائب وعرض الغرامات متجاهلاً أن دولته في حالة حرب مع جيرانها[5].

من الصعوبة بشيء الحديث عن تأثير نساء السلاطين على أزواجهن، ويكفي ما فعلته روكسلانه بسليمان القانوني ونور بانو بسليم الثاني وصافيه البندقية بمراد الثالث، ولجوء معظم هؤلاء النسوة إلى دفع السلطان الحاكم للغرق بالسراري الفاتنات، فجهلّته عن أعمالها، وقد أسفر عن تسلط زوجات السلاطين

---

(1) Mehmet Çelebi, merat-üt-tevarih 1188 muharrem vakuat arasinda, s 170.

(2) عامر، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، مرجع سابق، ص 98.

(3) عامر، الماسونية ويهود الدونمه، مرجع سابق، ص 65 وما بعد.

(4) أوغلو، مرجع سابق، ج1، ص 156.

(5) لم تعرف تركيا العثمانية أو الحديثة علاقات حسنة مع جيرانها خلال تاريخها، وقد شبهها بعض الكتاب بالفتاة الجميلة التي تتحرش بالآخرين، اوليا جلبي، رحلا ت الأعيان، استانبول 1318م، ص285.

تسلط الأجانب على مقدرات الدولة من خلال الإمتيازات، وما حققه العثمانيون من انتصارات في قارات ثلاث، قزمته نساؤهم في سراياهم[1].

3 – الأميرات بنات السلاطين *Sultan kızları* :

أدت الأميرة التركية سواء أكانت بنت قائد القبيلة أو من أفرادها دوراً مهماً وبارزاً في حماس شبان القبيلة لمقارعة أعدائهم إضافة إلى دورها الخدمي، وظلت تؤدي الدور نفسه حتى سنة 1389م أي زمن ولاية يلدرم بايزيد للعرش[2]، ومن ثم اختفت من على الساحة القتالية أو غيرها، وبرز دورابنة السلطان الحاكم منذ عهد محمد الفاتح 1451–1481م، حيث أقر قانونه ضرورة إضفاء ألقاب أبرزها لقب السلطانه، ويأتي هذا اللقب بعد اسمها، ثم تبدل مصطلح السلطانه إلى لقب خاتون اقتداء بالسلاجقة .

وقد اعتاد السلاطين على تسمية بناتهم أسماء إسلامية مثل فاطمة، خديجة، رقية، أم كلثوم[3]، ولكن قسماً منهم سمى بناته بأسماء ما بين إسلامية وفارسية، وكان السلطان الحاكم يحتفل بميلاد ابنته تحت مسمى بشيك الآي(موكب المهد)، كما بالغ بعض السلاطين في الاحتفال بأعراسهن وتجهيزهن، وكان السلاطين العثمانيون يرفضون زواج بناتهم بغيرالأمراء، أو أبناء الوزراء، فعلى سبيل المثال لا الحصر، السلطان مراد الثالث 1574–1595م زوج ابنته عائشة وفاطمة إلى أبناء أميرين من أمراء سلطنته، أما بناته الباقيات فلم يزوجهن، وبلغ عددهن (26) بنتاً، ومنذ ذلك التاريخ، أقام السلطان أجنحة للعوانس من بناتهن في قصورهن، وفيما بعد اضطر السلطان إلى تزويج بناته بعساكر من السباهية برتبة جاويش[4].

يُعد آغا السعادة في السراي الهمايوني المسؤول الأول عن زواج ابنة السلطان الحاكم، فهو الذي يعد عقد الزواج ويهيأ للإحتفال بالعرس وتجهيز منزلها الزوجي خارج القصر (السراي)، وحسب قوة السلطان ومكانته، فإن الصدر

---

(1) جودت، تاريخ جودت، ص70–71، وبيهم، مرجع سابق، ص68–69.

(2) كوران، مرجع سابق، ص 350.

(3) أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، ج1، ص203.

(4) İsmail Hakki, saray Teşkilatı.s 159.

الأعظم هو الذي يرافق ابنة السلطان إلى منزلها الجديد[1]، أما سلاطين القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، فقد بطلت هذه العادة لدرجة أن بعض بناتهم كان يتزوجن بدون احتفال يذكر[2]، وكان احتفال بنات سلاطين القرن السادس عشر يقام في السراي أو في مكان مخصص يسمى باب الباشا[3].

وقد نص قانون نامة على تكليف شيخ الإسلام بعقد القِرَان، المهر المعجل والمؤجل غالباً ما يحدد بمبلغ (100 ألف ذهبية)، أما السلطان مراد الثالث فقد حدد مهر ابنته عائشة بمبلغ (300 ألف ذهبية)، والسلطان محمد الرابع حدد مهر ابنته بمبلغ (600 ألف قرش) [4].

لقد تراوحت حفلة الزفاف من سلطان إلى آخر، فالسلطان محمد الرابع (الصياد) أقام عرساً لابنته خديجة استمر عشرين يوماً ليل نهار.

بالغت المصادر العثمانية كثيراً بوصف أعراس بنات السلاطين، غير أن أعداداً كثيرة من بنات السلاطين بقين عوانس (لأسباب أهمها تعدد زوجات السلاطين اللواتي أنجبن بنات، عدم السماح لهن بالزواج من العامة، فضلاً عن ذلك، الإقامة الجبرية التي فُرضت عليهن في السراي، والمراقبة الشديدة لهن في حال خروجهن إذا تمكنّ من ذلك.

ما يمكن قوله إن العثمانيين الأوائل حافظوا على أخواتهم وبناتهم بشكل قانوني، وظل خلفاء الغازي عثمان يعملون بموجب عادة ورثوها من تراثهم، وحينما فتحوا استانبول واتخذوها باي تخت (عاصمة) عمد السلطان محمد الفاتح

---

(1) عبد الرحمن باشا، وقائع نامه، استانبول، 1297هـ، ص490.

(2) علي نعمة، قانون نامه، قسم التشريفات، استانبول 1297هـ، ص 118.

(3) باب الباشا، جزء من السراي الهمايوني، وأمامه فسحة كبيرة وصالة واسعة لاستقبال الضيوف من السفراء والقناصل الأوروبيين، للمزيد علي نعمة، قسم التشريفات، ص200.

(4) لقد تراوحت مهور بنات السلاطين بين 50 ألف إلى 600 ألف ذهبية، غير أن السلاطين القرن الثامن عشر، حددوا مهور بناتهم بأقل من 20 ألف ذهبية، للمزيد، تشارشلي سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 161.

إلى وضع قانون ينظم دولته ويمنح ابنه السلطان وأخته مميزات ثابتة، وقد أضاف السلطان سليمان القانوني بعض الحقوق التي تكفل حق البنت أو الأخت، وألزم السلطان الحاكم من ورثته حتمية الالتزام بها، وإن تفاوت تطبيق تلك الوصايا أو تلكأ السلطان الحاكم في تنفيذها، فإن سمعته تتعرض للأخذ والرد، فضلاً عن العيب الذي يلحق به.

لا شك أن حقوق الأخت والبنت تفاوتت بين سلطان وآخر، لكن المصادر العثمانية لم تفدنا بمعلومات عن تلكؤ أو تكاسل سلطان في منح تلك الحقوق للبنت أو الأخت.

أما بشأن الزوجة، فقد ابتدعت اجتهادات أضاعت الكثير من المعلومات التي توضح دور الزوجة، وكل المصادر أجمعت على أنها جارية، والجارية في القانون العثماني لا حقوق لها، وما تناله أو تحققه يعود لدهائها وحنكتها، وإرغام السلطان على تنفيذ رغباتها عن طريق الإغراء والألاعيب النسائية، وخاصة أن العثمانيين أحبوا التعامل مع النساء البيض، ولهذا كان للنساء الأوروبيات دور في مسألة الإغراء[1].

3 – مهام الأندرون[2]:

لقد بَنى العثمانيون سراياهم بشكل منظم ودقيق، ووضعوا لها أسساً وقواعد تنظيمية، ويعمل بها كادر كبير من الموظفين والعاملين والخدم والحشم، وضبطت مؤسسات دولتهم وإدارتها من خلال مؤسسة السراي الهمايوني الذي رُعي في بنائه تحديد كل قسم من أقسامه بصورة متكاملة، ويُعد قسم الأندرون *Enderun* وقسم البيرون *Birun*، وقسم الحرملك *Heremlik* هم السراي الهمايوني، وإذا كان الأندرون هو مكان إقامة السلطان الحاكم، فلا شك أن قسم الحرم الهمايوني يتبع الأندرون، وغالباً ما أطلق المؤرخون على الحرملك مصطلح أندرون ويبدأ

---

(1) Ali zade, künhülahbar, Istanbul, Tarihsiz, s 197.

(2) IsmaiL HakkI, saray TeşkiLatI, (مرجع سابق)*s.408.*

قسم الأندرون من الباب الثالث من أبواب السراي والمسمى باب السعادة وهو مخصص للخدمات الداخلية ويشتمل على :

1 – **غرفة العرض** *Arz odası*، وهي الغرفة التي يستقبل فيها السلطان الصدرالأعظم وأركان دولته وسميت بغرفة العرض، لأن كل المعروضات الضرورية والملحة تقدم للسلطان فيتبادل مع أركان الديوان الهمايوني ما يتعلق بشؤون الدولة، وتصدر بعدها الفرمانات السلطانية الموجبة[1].

2 – الغرفة الكبيرة والصغيرة *Bügük ve küçük 0dalar* [*] :

بما أن الأندرون عدّ مؤسسة تعليم وتربية للغلمان *Oğlanlar*، فقد احتوى على غرف ومهاجع أبرزها الغرفة الكبيرة والصغيرة، إضافة إلى مهاجع أخرى متعددة المهام، وتقع الغرفة الكبيرة والصغيرة في القسم الثالث من السراي والمسمى باب السعادة، فالغرفة الكبيرة تقع على يمين الداخل، وعلى يساره تقع الغرفة الخاصة *Hasodası* وإلى جانبها غرفة الطيور *Kuş odası* وما بينهما تقع الغرفة الصغيرة، ونظراً للدور التعليمي والتربوي الذي تؤديانه، فهما يعدان المرحلتين الأوليتين في الأندرون، لأنهما يستقبلان الفتيان الذين تخرجوا من مدارس *Ăcemî oğlanları* (أعجمي أوغلانلر) أي مكتب أغرار عناصر الدفشرمه، حيث يدربون على أيدي معلمين علوم في الدين الأخلاق والثقافة الإسلامية واللغات العربية والفارسية والتركية، والدارسون في هاتين الغرفتين، يرتدون نوعاً مميزاً من اللباس جبة وفوقها طولامه (أي عمامة محدبة الرأس).

كانت السراي الأخرى مثل سراي إبراهيم باشا وسراي غلطه وسراي أدرنه، قد أقيمت فيهم غرف لتنشئة الإنكشارية، وبعد فتح استانبول، اقتضى الأمر من الفتيان الذين تخرجوا من تلك السراي، إلحاقهم في الغرفة الكبيرة أو الصغيرة،

---

(1) Midhet sert oğlu, (مرجع سابق) *.s.20.*

[*] الغرفة الصغيرة والكبيرة: تعادل منهما ما يسمى بالغرفة التجارية أو الصناعية، للمزيد، بقالين مصدر سابق، ج2، ص 685.

أما العناصر التي فشلت في التعليم والتدريب ترسل للإلتحاق بالقطعات العسكرية، وقد كان عدد العناصر في كل غرفة من 30–40 فرداً، وبعد تخرجهم ينتقلون إلى مهجع الصقور للتدرب والتعليم[1]، وقد ألغي هذا المهجع في فترة السلطان محمد الرابع (الصياد)، ولم تفدنا المصادرعن سبب إلغائه، علماً بأن السلطان محمد الرابع 1648–1687م، قضى معظم سلطنته في الصيد، وقد تولى عرش السلطنة وهو في السابعة من عمره، وذلك بفضل جدته كوسم التي تولت تدبير شؤون الدولة[2].

3 – الخزينة الهمايونية *Hümaun hazine*:

وهي مخصصة لحفظ المجوهرات والأموال، سواء أكانت تابعة للدولة أو الأشخاص، غير أن المصادر لم تفدنا بأن أموالاً خاصة وضعت فيها، لأنها ستكون عرضة للمصادرة بسبب واقع العرش وتبدل السلاطين، وقد وجُد في الدولة العثمانية خزينتان إضافة إلى خزينة الحرم الهمايوني *Harem hazine*.

4 – الخزينة المالية *Malıye hazinesi*:

وهي الخزينة العامة للدولة مهمتها المحافظة على الأموال التي تجبى من الضرائب والغرامات والرسوم، وكانت الأموال بادئ الأمر تجبى بالكيسه *Kise* وكانت الكيسه الواحدة تساوي 500 أقجه[3]، وذلك كأن يفرض على ولاية ما ضريبة مقدارها (سكز كيسه) أي ثمانية أكياس أي 2000 أقجه، وفيما بعد استبدلت لفظة كيسه بلفظة يوك أي حمل *yuk* وكل حمل يساوي ألف قرش،

---

(1) إسماعيل حقي (تشارتشلي)، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 3.9.

(2) آصاف، مصدر سابق، ص 89.

(3) *Akçe* وتعني الضاربة إلى البياض سكت سنة 1327م من قبل أورخان، وكان وزنها خمسة قراريط وثلاث حبات أي ربع مثقال، ألغيت في عهد السلطان مراد الرابع سنة 1628 للمزيد، مدحت سرت أوغلو، مرجع سابق، ص10.

وكانت الأموال ترسل من الولايات باسم الخزينة العامرة *Hazine amire*، بعدها أُلغي مصطلح الخزينة المالية[1].

5 – الخزينة السلطانية *Hazine hümayun*، وهذه الخزينة الخاصة بالسلطان الحاكم، وكانت تتألف من ثلاث غرف مليئة بالأموال والمجوهرات وللسلطان حق التصرف بها كيفما شاء، وفي بعض الأحيان كان السلطان يسمح بقرض الدولة مبالغ مالية في حالة العجز شريطة إعادتها عند تحسن أحوال الدولة الاقتصادية[2].

أما خزنية الحرم الهمايوني *Harem hazine*، فهي الخزينة الشخصية للسلطان، أقرها له قانون نامه، وهي عبارة عن أموال ومجوهرات أو هدايا مالية تقتطع من ضرائب الدولة باسم الخزينة السلطانية، ويشرف عليها أمين سر السلطان مع مراقبة شخصية من قبل السلطان.

وفي عهد الإصلاحات سميت الخزينة الخاصة بالسلطان بالخزينة الداخلية، وقد ازدادت مواردها المالية في عهد السلطان عبد الحميد سنة 1876–1909م بسبب تسجيل الأراضي الكثيرة والمزارع والمراعي والإمتيازات من المعادن، وبعد الانقلاب سنة 1908م، أعيدت الأراضي إلى وزارة المالية، كما كلف بها شخص موثوق لدفع مصروفات القصر وأجور العاملين فيه[3].

6 – غرفة الأمانات المقدسة (خرقة السعادة *Saadet Hırkası*)، وهي الغرفة الخاصة بما قدمه شريف مكة يحيى بن بركات للسلطان سليم الأول من الآثار النبوية، وهي في جناح السلطان المسمى أندرون[4].

ومن الغرف التابعة لقسم الأندرون المطبخ السلطاني والمستودعات ومن هذا القسم يدخل السلطان إلى الحرم السلطاني، وقد أشار المؤرخون إلى قسم الأندورن كأنه أشبه بأكاديمية علمية وإدارية، لأن أفراد الدفشرمه وخيارهم عقلاً

---

(1) إسماعيل حقي (تشارشلي)، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص290.

(2) مدحت سرت أوغلو، مرجع سابق، ص35 .*Midhat sert oğlu*

(3) M-Zeki pakalın, مرجع سابق *.C.1 ,s 787.*

(4) Midhat sert oğlu, Resimli مرجع سابق *s 150.*

وجسداً يدربون في غرف الأندرون، وحينما فسد نظام الدفشرمه، منع الأفراد من الزواج ما داموا يعملون في السراي الهمايوني، ولا يسمح لهم المبيت خارج السراي تحت أي ظرف كان[1].

4 – مهام البيرون *Biyrun* :

هو تعبير إداري يعتمد في السراي الهمايوني، وهومكلف بالمهام الخارجية، وهو يقع بين باب همايون وباب السعادة، ويشمل الموقع الأول والثاني من سراي الطوب قابي، ويقسم العاملون فيه إلى عدة أقسام :

أ. **طبقة العلماء،** وتضم رجال الدين (الشريعة والفقه) والحقوق.

ب.**طبقة الأمراء** وفي مقدمتهم أمراء الأناضول والروميللي، وأمراء آخرون.

ج. **آغوات الركاب الهمايوني،** مهمتهم الإشراف على بعض أقسام السراي ويقسمون إلى :

آغوات العرض *Arz ağalar*، ويطلق هذا التعبير على المنسوبين للسراي وممن يمتلك المقدرة على مفاتحة السلطان في موضوع معين أو تقديم معروض له، ولا يمتلك الجرأة على مثل ذلك إلا ممن يعمل في الغرفة الخاصة *Has oda* مثل حامل السلاح *Silahdar* وحامل اللباس *Elbisedar* وآغا الركاب *Rikab ağası*، وآغا الباب *Kapı ağası*، وآغا السراي *saray ağası*، وبحسب قانون السلطان محمد الفاتح (قانون نامه)، فإن آغا الباب *Kapı ağası* هو المخول بالتحدث إلى السلطان نيابة عن الآخرين[2].

---

(1) إسماعيل حقي (تشارشلي)، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 300.

(2) اعتمد مصطلح آغا كثيراً في مختلف أنظمة الدولة العثمانية وإداراتها، كذلك فإن مصطلح آغوات *Ağavat* يطلق على المشرفين على قسم الحرملك، للمزيد، حقي ج1، ص 90.

5- **الخدمات المتفرقة** *Müteferrika*، وهم يقومون بمختلف الخدمات التي يكلفون بها، وهم:

أ- متفرقة السلطان *Hünkar muiteferrikası*[1]، وهم مكلفون في الخدمات المنتظمة والشريفة في السراي الهمايوني، وقد وجدت عناصر المتفرقة منذ عهد يلدرم بايزيد 1389-1402م، وهم على الغالب أربعون شخصاً، ويشكلون بأمر السلطان شخصياً، وقسم منهم قد يعمل في الغرفة الخاصة إذا نال ثقة السلطان ورضاه.

ب- متفرقة الإنكشارية *yeniçeri MüTeFerrika*، هؤلاء يشكلون أوجاق الصولاقية وأوجاق القناصة[2]، ويشترط أن يكونوا منضبطين أخلاقياً، وصادقين وفدائيين، ويوظفون من قبل رئيس ضباط البحرية والصدورالعظام والوزراء والأمراء ومن معهم من الآغوات الكبار[3] التابعين للسراي الهمايوني، وفي بادئ الأمر كانت مهمتهم قطع الأشجار أثناء توجه السلطان للحرب، وبعدما امتنع السلاطين عن المشاركة في الحروب، أصبحت مهمتهم العمل في السراي بما يكلفون به من مهام مثل إطفاء الحرائق داخل القصر وتنظيف غرف العرض[4].

ج-الخدمات المتفرقة الأخرى *MüteFerrika hizmet başka*، وهؤلاء يقومون بخدمات متفرقة داخل السراي مثل الحراسة والمرافعة، وغيرها من المهام الأخرى.

---

(1) كلمة هنكار ولفظها السليم خنكار، وهي فارسية الأصل، تلقب بها سلاطين آل عثمان، للمزيد، قاموس الصفصافي، ص 179.

(2) صولاق، أعسر، يسيراوي، وقنصاه شيكار، مهمة اقتناص ما يكلف به، المرجع السابق، ص 413.

(3) مدحت سرت أغلو، التاريخ العثماني المصور، أنقره 1954م، ص 202.

(4) Pakalın , مصدر سابق *c.1, s 154-156.*

6- حواشي السلطان :

1- **الحاشية الداخلية للسلطان** *Enderun haşiye* :

تنضوي الحاشية الداخلية في قسم الأندرون حيث يقيم السلطان تحت أمـــرة آغا السعادة الذي يترأس الغرفة الخاصة *Has odası* وكل العاملين فيهـــا مكلفون بخدمة السلطان[1].

يندرج عدد كبير من الآغوات *AğaLar* تحت إمرة خاص أوضـــه بـــاش (رئيس الأوضه الخاصة *Has oda başı*) حيث يطلق علـــى موظفيهـــا *Erkan havas incurni* أي ذات الهوى الداخلي، ويعدّ آغواتها مـــن كبـــار الأنـــدرون، وأكثرهم أهمية الغـــلام المكلـــف بالغرفـــة الخاصـــة أو الخانـــة الخاصـــة *Has hanesi*،[2] وهي أشبه بخزينة السلطان السرية التي يبوح فيها لمسؤوليها عن كل ما يخطر بباله أو تتمناه نفسه، ومن أبرز مهام الغرفة الخاصة كـــل مـــا يتعلـــق بالسلطان حياته نومه مأكله ملبسه دخوله وخروجه، عشقه وغرامه وما شـــابهها، توزع هذه المهام على عدد من الآغوات، يعمل تحت إمرة كل مـــنهم عـــدد مـــن الخصيان أو العبيد البيض[3]، ومن أهمهم :

أ – السلحدار آغا (آغا السلحدار *SiLahdar ağası*) :

يكلف آغا السلحدار بحمل سيف الشهريار المذّهب، ويمشي به على يمـــين السلطان، ومن مهامه تقديم ملخص عن سائر الخدمات في الغرفة الخاصة، ويعـــدّ أستاذ الباديشاه ومستشاره، ويقع على عاتقه انتقاء الرجال الخلص لخدمة السلطان في الغرفة الخاصة، ويحتمل مسؤوليتهم، وفي فتـــرة الضـــعف تحـــول آغـــوات

---

(1) İsmail hakki uzun, osmanlı devlet saray, s 342.

(2) تمحورت خدمات السراي الهمايوني بأيدي شخصين من الآغوات هما: آغا باب السعادة وآغا دار السعادة، آغا باب السعادة من الخصيان البيض وآغا دار السعادة من الخصيان السود وهذا الآغا مهمته الرئيسة العمل داخل الحرم الهمايوني، للمزيد :

Ata Bey, tarih ata, Istanbul ,1293, s 139.

(3) HızIr bey ilgâs, Letaif enderun,S.224.

السلحدار إلى ولاة، علماً بأنهم من الخصيان البيض الذين كانوا يعملون في الغرفة الخاصة.

ب- جوخدار *Guhadar* :

لقد أحدث هذا المنصب زمن محمد الجلبي (محمد الأول 1413-1421م) ويُعدّ من الموظفين المهمين في السراي الهمايوني، ويندرج تحت إمرة آغا دار السعادة في خاص أوضه*Has odası* من الأندرون، وكانت مهمته السير خلف السلطان حينما يمتطي فرسه، ويحمل معطف السلطان في أيام الشتاء وفي المناسبات الرسمية، ويلازمه (الكوركجي) حامل الفروة وبخاصة في المناسبات التي تقام داخل السراي الهمايوني[1].

ج – الركابدار *Rikabdar* :

يُعد الركابدار عماد (أوضه الخاصة) ورابع ضباط السراي، وقد قدمه السلطان محمد الفاتح على جميع آغوات الأوضه الخاصة في الأندرون، ويعد الجوخدار أكثر مكانة من الركابدار، وإذا رفع فإنه يرّقى إلى رتبة الجوخدار[2].

ومن الوظائف المهمة في غرفة أوضه سي :

د – كيلارجي *Kilerci* **أمين مخزن المؤن السلطانية :**

ويتولى الإشراف على المطبخ، ووضع الحلويات، ويعمل تحت إمرته عدد من الضباط والآغوات مثل[3] :

أ – باش يازجي*Baş yazcı*، رئيس الكتّاب ولديه عدة كتّاب يتقنون مختلف اللغات، ومن مساعديه :

ب – الدفتر خانه *Defter hane* ويشرف على ثلاثة أقسام.

---

(1) عامر،الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، مرجع سابق، ص 85.

(2) خضر بك، لطائف الأندرون، مصدر سابق، ص 136.

(3) عطا بك، تاريخ الأندرون، استانبول، 1294هـ، ص 98.

1-قسم إجمال *İcmal kismi*، مهمته الإشراف على الوثائق المتعلقة بحدود الدولة وولاياتها، إضافة إلى حدود القطاعات الأخرى.

2-قسم مفصل *Müfeset kismi*، ومهمته الوثائق المتعلقة بالملكيات الخاصة[1].

3-قسم روزنامجي *Rüznameci*، مهمته مراقبة التعديلات التي تحدث في الدولة سواء على الحدود أو الملكيات الخاصة والحكومية، ويمتلك أحقية الإعلان عن حاجته لعناصر أخرى بهدف تكليفها مراقبة الولايات[2].

هـ – غلام الدلبند *Tulbend ağası* :

ويُعد من كبار الضباط العاملين في السراي الهمايوني، وأكثرهم التصاقاً بالسلطان والصدرالأعظم وآغا الإنكشارية ومفتي الإسلام، ولهذا يحظى باحترام الجميع، ومهمته الرئيسة تنظيف (عمامة السلطان)، إضافة إلى إشرافه على خرقة السعادة (الآثارالنبوية)، ولدى آغا الدلبند ثلاثة آغوات يعملون كمساعدين له، مهمتهم حمل عمامة السلطان وعباءته[3].

وهناك مهام عدة متعلقة بالسلطان شخصياً مثل مسؤول الفاكهة والمُنَجِم ومسؤول الشراب وآغا المفتاح وجوقه دار (حرس السلطان الخصوصي) والقهوجي وآغا الإبريق، وآغا الجزمة هي (حذاء السلطان) وغيرهم.

أما الأمناء العاملون في السراي الهمايوني فهم :

و – شهر أميني ويتبعه :

أ- **المطبخ العامرة** *Matbah amire* :

يطبخ في كل يوم مئات الأنواع من الأطباق في المطبخ، وهو كبير جداً، وفيه مئات العاملين المختصين بإعداد الطعام، لأن كل العاملين في سراي الطوب

---

(1) عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، مرجع سابق، ص 87-90.

(2) أحمد التاي، مكتب الأندرون، ومهامه، أنقره، 1957م، ص 135.

(3) تشارشلي ، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 410.

قابي (أندرون وبيرون وديوان همايوني وعناصر القابي قول *Kapı kul*، ورجال الدين، والدعوجية) يأكلون من هذا المطبخ، باختصار يأكل يومياً في السراي الهمايوني قرابة 45,000 شخص، والمطبخ يقع في الوسط ويسمى ميدان الخيل، يديره ويشرف عليه أمين المطبخ *Matbah emini* ويساعده كاخيا *Kahya* ومعاون مدير المطبخ ومدير المصاريف العام (المصاريف الصغيرة المتفرقة) ومسؤول المونة.

وذكر إسماعيل حقي (تشارشلي) في مؤلفه أن 60 طباخاً ومئتي خادم يعملون بصورة مستمرة ودائمة في المطبخ السلطاني، وهؤلاء إضافة إلى السلطان ومعاونيه وقادته ونسائه وجواريه يأكلون ويلبسون من خزينة السراي الهمايوني، واستناداً إلى وثائق أرشيف رئاسة الوزراء، فإن العاملين في المطبخ الهمايوني في العقد الأخير من القرن السادس عشر بلغت أعدادهم فقط من الطباخين والخدم 1370 يتقاضون رواتب سنوية مقدارها 2,536,056 أقجه[1].

في حين بلغت مصاريف السراي في عهد السلطان سليمان القانوني 48 يوك *Yük* وارتفعت في عهد السلطان مراد الثالث إلى ثلاثة أمثال مما كانت في عهد السلطان سليمان وابنه سليم الثاني أي 156 يوك (حمل) وكل يوك 100,000 قرش أوأقجه، وارتفعت في القرن السابع عشر لتصل إلى 205 يوك[2]، وهذه الأموال تدفعها الخزينة العامرة.

وقد أورد محمود عامر في مؤلفه ما تقدمه الولايات من مواد تموينية للمطبخ الهمايوني[3].

ب-الحاشية الخارجية *BÎrun haşyes* :

أما العاملون في خدمة السلطان من قسم البيرون *BÎrun kismi* فيندرجون في ثلاث مجموعات رئيسة هي:

---

(1) تشارشلي ، سراي تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 382.

(2) كوچي بك، مجموعة التشكيلات، مصدر سابق، ص 37. (اليوك حمل ويساوي ألف أقجه).

(3) عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، مرجع سابق، ص 100-101.

مجموعة رجال العلم، ومجموعة الأمناء، ومجموعة أرباب الخدمات الأخرى، ومن أبرز فئة العاملين :

أ- الخوجه *HocaLar* معلم السلطان، والمقصود هنا معلم السلطان قبل أن يصبح سلطاناً، أي عندما كان أميراً، وبعض السلاطين أوصل معلمه إلى مناصب عليا في دولته، وبعضهم عينه مستشاراً خاصاً له، فغدا معلم السلطان يدير الدولة ويوجهها كما يشاء، وفي بعض الأحيان والأصح في معظم الأحيان، كان هذا المعلم يؤتمر بإمرة زوج السلطان، خاصة في القرن السابع عشرة الميلادي.

ب- رئيس الأطباء *Hakım başı*، يساعده كادر من الأطباء والممرضين ممن يسهرون على راحة السلطان ويحافظون على صحته، وإلى جانبه أيضاً طاقم من الجراحيين المتخصصين يعملون تحت إمرة رئيس الجراحين[1].

ج-رئيس الكحالين *Kihel başı*، مهمته تكحيل عيون السلطان بأفضل مواد الكحل بحيث تبدو عيون السلطان جميلة وجذابة[2].

د- رئيس المنجمين *Müncem başı*، لقد أدى المنجمون دوراً بارزاً في حياة الحكام المسلمين وخاصة في العهد العباسي، وكذلك في السراي الهمايوني، لأن السلاطين كانوا يستعينون بالمنجمين لقراءة مستقبلهم، وخاصة عندما يكونون في سن الشباب، ويعدّ السلطان عبدالحميد الثاني من أكثر أمراء بني عثمان تعلقاً بالتنجيم، وقد دأب بالبحث عن المنجمين والعرافين بعدما تنبأت غجرية بأنه سلطان المستقبل[3].

هـ- إمام السلطان *Sultan imamı*، أي الإمام الذي يؤم الصلاة، عندما يذهب السلطان إلى الصلاة، وخاصة يوم الجمعة (هذا إذا صلى) [4].

---

(1) Başvek kalet rşivi, cevedt tasnifir sarry kısmı, 1263,s

(2) رشيد بك، تاريخ رشيد، استانبول، 1311هـ، ج5، ص 263.

(3) عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، مرجع سابق، ص 211.

(4) Başvekalet arşivi, cevdet tasnifi (sarry kısmı), No. 263.

أما مجموعة الأمناء منهم أربعة :

1-شهر أميني *Şehir emini*، مهمته الإشراف على الأبنية الجديدة في العاصمة وإصلاح القديم منها وترميمه، ويتبعه عدد من الموظفين الذين يتجولون في استانبول لمراقبة الأبنية السلطانية الملحقة بالسراي الهمايوني ويرممون ما يرونه عرضة للتلف أو للإنهيار من الأبنية.

2-أمين المطابخ *Matbah emini*، مهمته الإشراف على المطابخ السلطانية وتزويدها باللوازم من أدوات الطبخ وما شابهها، وانتقاء خيرة الطباخين وإحضارهم إلى المطبخ السلطاني، بعدما يتأكد بنفسه من جدارتهم المهنية في الطبخ وإعداده[1].

3-أمين الضربخانه *Darphane emini*، وهو المسؤول الأول والأوحد عن دار سك النقود في العاصمة والولايات الأخرى، والكثير من أمناء الضربخانه قطعت رؤوسهم لأتفه الأسباب من حيث زيادة أو نقصان عيار النقود أو إحداث تغيير بسيط في الشكل أو الإطار[2].

4-أمين الأربه *Avpa emlni*، (أمين الشعير)، ويعدّ من أبرز رجال البيرون، مهمته في السراي تأمين الشعير للإصطبل العامرة لإطعام الخيول السلطانية، كذلك تِأمين الشعير لحيوانات السراي الهمايوني[3].

ويضم البيرون عمالاً وموظفين آخرين *Hizmet Müteferrıkaıar*:

1-أمير العلم *Emir alem*، وهو رئيس فرقة الموسيقا العسكرية، وقد خصص طابور(بلوك *Bölük*) موسيقى (موسيقا) تعزف الموسيقى في الاحتفالات الرسمية ولدى قدوم السلطان أو سفره، وهو يتألف بالغالب من سبعة أعلام وبالعادة تتقدم الفرقة الموسيقية حاملة العلم الأبيض[4].

---

(1) عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق المرجع السابق، ص 94.

(2) تشارشلي، مرجع سابق، ص 335.

(3) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف جودت (القسم السري) دفتري نمره (30) ص 26.

(4) تشارشلي، سراي تشكيلاتي، المرجع السابق، ص 338.

2-وكيل البوابين *Kapı cılar Kethude*، ويعمل تحت إمرته سبعة بلوكات، (طابور) وكان عدد كل طابور 98 نفر، ثم خفض العدد ليصبح كل طابور حراسة (40) نفراً[1]، مهمتهم حراسة قسم الحرملك ودائرة الفتيان والأبواب وهم بالغالب من السود، ويترأسهم شخص يلقب (بابا آغا *Ağa baba*) وهم يتبعون آغا دار السعادة *Dâr-üs-saâde agası*، وتعطى هذه العناصر كل سنة في رمضان إفطار كتكريم، لأنهم يقومون بالحراسة، وفيما بعد خصص لهم عدة غرف (قاووش *Koğuş*) تتسع كل غرفة من 8 إلى 10 حراس[2].

3-رئيس البوابين *Kapıcı başı* مهمته الإشراف مع عناصره على حراسة باب همايون وباب السعادة، وكانت أعداد الحراس في زمن السلطان محمد الفاتح أربعة حراس، ثم أصبح عددهم في القرن السابع عشر 13 حارساً ومن مهام رئيس البوابين استقبال السفراء ومرافقتهم حتى العتبة الهمايونية (مكان جلوس السلطان) حيث يتولى حرس الديوان الهمايوني متابعة المهام، كما يستقبل الوزراء والولاة ويوصلهم إلى المكان المخصص لتواجدهم داخل السراي[3].

من الصعوبة استعراض جميع آغوات سراي الطوب قابي والعاملين به وخصيان الطواشية من سود وبيض، لأن السراي العثماني الرئيس كان أشبه بمجمع بشري من قوى ضمت قوميات ولغات ضمن أسواره، ومنه تصدر المراسيم بكل مفرداتها، حمل بعضها قطع رؤوس من حاول التجاسر على فرمان السلطان، والبعض الآخر حملت صفحاتها ترقية والٍ أو شخص أجاد وأخلص في حب السلطان ولو رياءً وكذباً[4].

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف كامل، وثيقة 7127، ص 126.

(2) نعمة أفندي، قانون نامه ، مصدر سابق، ص 32.

(3) أيوب أفندي، عثمانلي قانون نامه لسنة 1535م، ص 2.

(4) بيهم، مرجع سابق، ص 33.

ما يمكن قوله إن السلطان سليمان القانوني جسّد في سـراياه مـا يسـمى بسياسة تحجب السلاطين الذين تركوا مقدرات دولتهم لمجموعة بشرية عسـكرية في ظاهرها، مفسدة مخلة بالنظام في حركاتها وتصرفاتها، بعـدما تمكنـت مـن استلام مقاليد السلطنة، ففتحت باستلامها الباب للفساد والدخلاء بدلاً من النوافذ .

3 – الحاشية الوسطى *Orta haşiye* :

بما أن مهام الأندرون والبيرون تعددت، فالخدم الذين كلفـوا بالعمـل فـي الأندرون والبيرون، كانوا على اتصال بالحاشية الداخلية أي الحـرم السـلطاني، وبالحاشية الخارجية أي المابين وهم الخصيان (سود وبيض) :

آ – الخصيان السود *Kara tavaşiye* :

أجمعت المصادرعلى أن السراي الهمايوني كان يعتمد اعتماداً كليـاً علـى الشبان الذين يستوردون من أفريقية خصيصاً للخدمة في السراي الهمايوني، وقـد اشترط لقبولهم أن يكونوا أشبه بالعمالقة طولاً وبدناً وقوة، وقد تعهد اليهـود فـي خصيهم في مدينة دمياط المصرية، وبعد التأكد من فقدانهم لرجولتهم[1]، يلحقـون في قسم الآغوات *in aşağı ağa*، وبعدها يسلمون إلى آغـا البنـات *Kızlar ağası* ، فيتعهد بتدريبهم على أصول الخدمة وكيفية مخاطبة سادتهم مـن ذكـور وإناث، وتسجل اسماؤهم في سجل الكشوفات، وبعد إنتهاء فتـرة تـدريبهم التـي تستمر ستة أشهر، ينضوون تحت ما يسمى *kapı ağası* أي (قبو آغاسي) الذي يحدد مكان عملهم في السراي بعد موافقة السلطان، ويحذر مـن خصـي السـود خصياً ناقصاً.

يترأس الخصيان (سود وبيض) آغا دار السعادة[2]، وهو يعـادل منصـب الصدارة العظمى أو الخديوية، وتوجه إليه ألقاب منهـا (دولتـو عنـايتلو أفنـدم حضرتلري) [1].

---

(1) عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، مرجع سابق، ص 83.

(2) بيهم، مرجع سابق، ص 58.

كما يلقب الخصي الأسود خلال مراحله الأولى بـ أعجمي آغا (*Acemi ağa*) ويفرز من الخصيان السود الأكثر منهم ضخامة ومهابة لحراسة أبواب الحريم الأربعة، كما يكلف قسم منهم لحراسة السلطان ومحظياته أثناء خروجهن إلى المدينة، بعد موافقة السلطان أو للتجول بين أروقة جناح الحرملك، ويطلق على رئيسهم (نوبت قلفه سي *Nobat kalfası*)[2].

يعهد مفتاح أبواب الحرم السلطاني إلى حراس الأبواب الأربعة من الخصيان السود، وفي الصباح يعيدون المفاتيح إلى آغا (الكزلار) ويسبق(نوبت قلفه سي) في الرتب ضباط يطلق عليهم أورتانجه *ortancı* أي الوسط ومهمتهم مراقبة من هم أدنى منهم، ويسبقهم أيضاً عشر أو اثنا عشر آخرون يطلق عليهم (*Hasıılı*) أي الخصوصي، وهذه الرتبة لا تمنح للخصيان السود، إلا من يؤدي خدمية جيدة[3].

إذا أبدى المخصي انضباطاً تاماً في عمله وسلوكه يرفع إلى رتبة يايا غلام أي غلام المشاة *yaya gulami*، أي رئيس غلمان المصيف، وبعدها يرفع إلى رئيس غلمان الباب *Başkapı ğulamı*، وفي كل ترفيع ينقل من قصر إلى قصر، وقد أفادت المصادر أن هؤلاء الغلمان السود كانوا يقدمون للسلطان كهدية وأيضاً لنسائه وكبار حاشيته.

أما آغا دار السعادة فقد كان على اتصال مباشرة يومياً بالسلطان يعلمه عن كل ما يدور داخل القصر وخارجه، وكان له غلمان يراقبون السراي وما يجري به ويطلق عليهم *Peyki* وهو أشبه بالمخابرات التي تتبع الفرد وتراقبه.

ب – الخصيان البيض *Ak tavaşiye* :

لقد اعتمد السلطان وحريمه على الخصيان البيض نزولاً عند رغبة زوجته حسب تأثيرها عليه، والخصيان البيض لا يخصون خصياً كاملاً ما عدا الخصي الذي يحمل لقب (خاص أوضه باشي *Hasoda baş*) فإنه يخصى خصياً كاملاً

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص 58.

(2) لفظة قلفه تعني صبي المعلم.

(3) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف ابن الأمين، سجل 1، ص 209.

لأنه الوحيد من بين الخصى البيض الذي يسمح له بالدخول إلى الحرم السلطاني بحكم وظيفته التي هي حراسة السراري[1].

يساعد آغا باب السعادة *Bab-us-saadet ağas* خمسة من الخصيان البيض، علماً بأن الخدمة الرئيسة للسراي الهمايوني تتركز على ثلاثة آغوات هم :

1-خاص أوضه باشي*Hasoda Başı* [2]

2-خزينة دار باشي*HazIndar Başı* [3]

3-كيلارجي باشي أي رئيس المؤنة *Kıerci başı*

ومن العاملين في الحاشية الوسطى المصاحبون أي القلفجية، ومهمتهم تبليغ الإرادات السلطانية إلى آغوات دار السعادة وهناك أيضاً،

- الخزندار *Hazındar*، ومهمته الإشراف على نفقات السراي الهمايوني على دائرة الألبسة للحرم السلطاني.
- البازركان باشي *Pazarkan başı*، الإشراف على البضائع التي تعرض للحريم من قبل الباعة المتجولين، حيث يتولى إدخال البائعين المتجولين إلى قسم الحرملك لتتفرج نساء السلطان ومحظياته على بضاعته ويشترين ما يحلو لهن[4].
- البشكجي باشي، *Elbekci başı*، ومهمته استلام الهدايا التي تقدم إلى جلالة السلطان سواء من رعيته أو من الدول الأجنبية[5].

ما يمكن قوله، إن ما يقدم للسلطان من الأموال النقدية يزد 600,000 ذهبية سنوياً ناهيك عن المجوهرات والأراضي وغيرها من الهدايا الأخرى.

لم يكن سلاطين آل عثمان الوحيدين من الحكام، فقد سبقهم خلفاء بني أمية وبين العباسيين والمماليك، وتلاهم حكام من رؤوساء جمهوريات وممالك وأمراء،

---

(1) Ali osman, kanun name, Istanbul, 1298 ,s 24.

(2) Koç bey, Teşkilat mecmuasI, Istanbul, 1303,c11, s 207.

(3) بيهم، مرجع سابق، ص 58.

(4) بيهم، مرجع سابق، ص 59.

(5) من الصعب جداً تحديد الهدايا التي كانت ترفع للسلطان في أثناء اعتلائه العرش أو بعد ميلاده أو بختان ولي عهده ، للمزيد :

Riza nur, osmanlI tarIhi, Istanbul, 1924 ,s 279.

ويعدَ سلاطين آل عثمان فقراء بحسب القرون المعاصـــرة، فـــبعض وزراء دول امتلك من الشركات ما يشتري عرش بني عثمان. (هذه الملحوظة أضافها الأســـتاذ المشرف).

استنتاج الفصل الثاني:

أيقرأ الواقع الرئيس للدولة العثمانية من خلال السراي الهمـــايوني أقســـامه ونظامه أم أن واقع الدولة يقرأ من خلال فرماناتها التي توضح هويـــة الســـلطان الحاكم وميوله الإصلاحية.

لقد أجمعت المصادر العثمانية على أن السراي الهمايوني عكس لنا واقـــع الدولة وسجلها الصادق، فالعاملون في السراي والحراس والخصيان لـــم يكونـــوا أكثر من أدوات تحركها زوج السلطان أو آغا البنات أو السلحدار، يا لها من إدارة كل من فيها مأمور حتى السلطان نفسه أصبح محاط بمجموعة أوبـــاش، ولطالمـــا الأمر كذلك لمَا حُمِلت أوروبة مسؤولية هدم الدولة.

ما كان يحدث داخل السراي أليس معول يهدم الدولة؟ البعض يقول السراي مؤسسة إنتاجية، لكن هل هناك مؤسسة إنتاجية عدد العاملين فيها يزيـــد عـــن 50 ألف، فهم يتناولون الطعام يومياً ثلاث مرات، إن الرفاهية التي تمتع بها السلاطين لم تتوفر لشخص ما في إمبراطوريات العالم، أيعقل أن يترك سلطان ما بين 120 امرأة حامل، فإذا كان يفعل ووراءه ما يزيد 58 ولاية متعلقة بشخصـــه ومئـــات الآلاف من الإنكشارية تعده أباها ولغتها وقوميتها، ورغم كل هذا فهو غارق فـــي دهاليز النهود، وماذا تفعل الفتاة البندقية التي تركت وطنها وتعلقت بسلطان أحبهـــا يوماً وتركها أيام، لماذا تعدد الأجنحة داخل السراي الهمايوني، وكل جنـــاح عـــدة أقسام، مَنْ يستطيع أن يحدد عدد العاملين في الســـلاملك، وعـــدد العـــاملين فـــي الحرملك، وكم خصي وكم شخص ثقبت أذنه وقطع لسانه، لأن الســـلطان الحـــاكم يريد التحدث مع محظية، ولا يريد أن تسمع مرافقته ما يعدها به في مقبل الأيـــام، مَنْ الذي أفتى بالتعدي على ما خلقه الله؟ أم أن ذلك للحاكم إكرامه مـــن الخـــالق خصها لحكامه في الأرض فقط.

وبمعنى آخر ما قاله السلطان يلدرم بايزيد عندما أعدم أخاه لوشاية، قال الله في السماء وأنا خليفته في الأرض، أم يجوز للسلطان محمود الثاني ابن الفرنســـية قطع أجمل رأس في قصره لأن ابن خالته طلب أن يرى أجمل فتاة، فوعده خيراً، ثم نفذ وعده، وفي أثناء تناول الطعام رفع الغطاء الفضي عن أجمـــل فتـــاة فـــي

السراي، ولماذا هذا الزواج من المسيحيات أو اليهوديات ألم يتوفر في المسلمات التركيات أو الفارسيات أو الصربيات جمال يروي غليل السلاطين؟

أم أن الزواج من المستوردات مفخرة عثمانية ما بعدها مفخرة، أليس كل هذا من محتويات السراي الهمايوني، ولما وجدت الطواشيه فقط لانتزاع رجولتها، أم ليس من حق أي مخلوق التساؤل عما يفعل الحاكم، أليست هذه من أهم مجريات الأحداث للسراي الهمايوني، أم أن لكل سراي أسراره الخاصة به.

إن السراي بكل أقسامه، كانت يد واحدة تديرها، هذا كان خلال المراحل الأولى لنشأة الدولة، ويوم كان السراي مؤسسة عسكرية وإدارية بآن واحد، أما عندما أصبح السلطان يدار بتوجيه زوجه، ويوم كان يقضي نهاره وليله في قسم الحرملك، فإن عماله وخدمه تطاولوا عليه، لأنه كان تافهاً يجري من امرأة إلى أخرى، ويوم كانت الفرنسية تكيل الشتائم عليه بلغتها وهو لا يعلم الفرنسية، فيسارع لإرضائها بتقديم الجواهر والحلي كعربون مودة لجارية جاءت من بلادها قسراً لمهمة سياسية وليس للزواج من سلطان يعاشر غيرها.

هذا هو جوهر السراي بعدما تخلى السلطان سليمان عن قيادة الجيوش لمحاربة أعداء دولته.

الفصل الرابع

النظام الإداري والمالي والضرائبي

1) الجهاز الإداري *idîri cihazi*

أ- جهاز الباب العالي *Bab Alı cihazI*

1-ديوان العصر *Asir divani*

2- ديوان الأربعاء *Erbia divani*

3- ديوان الجمعة *Cuma divani*

ب- موارد الصدر الأعظم *sadr azam mevridi*

ج- موارد الوزير *vâzir mevridi*

2) النظام المالي *Mali NizamI*

أ- مهام النظام المالي *Maham malî nizamI*

ب- الدفتردار *defterdar*

ج- الخزائن المالية *Maliye hazineleri*

3) نظام المالكانه *Malikane nizamı*.

4) النظام الضرائبي *vergiler nizamı* :

1- الضرائب الشرعية *Şeriye vergileri*

أ- ضريبة العشر *öşür vergi*

ب- ضريبة الخراج *Haraç vergi*

ج- الجزية *Çeziye*

د- ضرائب السباهية *Sipahiye vergi* :

1-ضرائب المسلمين *Müsellemler vergi*

2-ضرائب غير المسلمين *Müsellemsız vergi*

3-ضرائب متنوعة *Çeşitli vergiler*

2- ضرائب العوارض *Avariz vergileri*

3- ضرائب الأملاك والأراضي *Toprak vergileri*

4- الضريبة الجماعية *bütün Halk vergileri*

-استنتاج الفصل الرابع.

1 – الجهاز الإداري *idarî cihazi*

بدأت الدولة العثمانية بجهاز إداري بسيط محدود التكاليف وخالياً من العقد الروتينية، وكان جهازها يعمل بديمقراطية مركزية، لا مجال فيه للتهاون أو العبث، لأن الدولة كانت في طور النشأة، وقد مُنح الباديشاه في تلك المرحلة إدارة مطلقة، وأن أجهزة الدولة بكامل فروعها ومؤسساتها تحيط به، وأحياناً ورغم الصلاحية المطلقة التي يتمتع بها الباديشاه، لكن أجهزته الإدارية تعمل بأشكال من اللامركزية والاستقلالية الذاتية لدرجة لا تصدق.

إذا كانت الوحدة والمركزية تتجسدان في الشخص الأوحد المسمى الباديشاه، لكن هذا الباديشاه يبدو لقارئ تلك المرحلة أنه يحكم دولتين لا دولة واحدة هما:

1- دولة المركز (دولة الباي تخت) العاصمة.

2- دولة الريف (المملكة – البلاد).

أما دولة المركز فتوجد فيها دولة مدنية هي (باش كنت) في أعلى القمة استناداً إلى الأعراف والتقاليد المتبقية من بقايا دولة المدينة القديمة، وهي بحد ذاتها أي (باش كنت – العاصمة) عالم قائم في حد ذاته، لها تنظيمها الداخلي ولها قواتها المسلحة، ولها دخل ومعيشة خاصة بها تديرها طبقة راقية من كبار التجار الذين يحسنون التعايش مع السراي وموظفيه ومتطلباتهم، أما دولة الريف، رغم وقوعها تحت نفوذ وسيطرة الباي تخت (العاصمة)، لكنها جملة متكاملة من العوامل الأخرى المترابطة فيما بينها بحلقات تقودها إلى التمتع بحكم ذاتي يكاد يصل لدرجة استقلالية، وهذه هي المملكة.

وهكذا يتضح أن أشخاص الدولة يقيمون في الباي تخت (العاصمة)، أما أشخاص دولة الريف فهم من البكوات والأمراء والقادة، فيستقرون في المملكة لإدارة شؤونها من جهة، ونواب لممثلي السلطان وجهازه من جهة أخرى.

وسط هذا التناقض ما بين دولة (باي تخت) العاصمة، والمملكة، تمكن العثمانيون من إقامة توافق، قل نظيره، ففرمان الباديشاه أو أمره أو حكمه ينفذ في العاصمة وفي أقصى ولاية من المملكة، وربما ينفذ في المملكة بجلالة أكثر، علماً بأن

المراحل الأولى للنظم الإدارية العثمانية كانت بدوية أو مخضرمة كما وصفها الخالدي: ((كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتباً على الأصول والتقاليد الموروثة عن المغول حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها باب عاليها(1)، وأدل واجب على هذه الحكومة إنزال الخان المعظم على الرحب والسعة، وإسكان من معه من الحريم والعائلة والأقارب والحاشية المقام الرفيع، واستكمال أسباب راحتهم وسعادتهم واستحضار النفقات اللازمة لهم ولرؤوساء العرض..الخ)).

بعد قراءة لما قاله الخالدي، أيعقل أن يرى القارئ رعايا خلص كرعايا السلطان العثماني الذي يحكم رعاياه من داخل أسوار السراي.

آ – جهاز الباب العالي *Bab Ali cihazI* :

تعرضت الدولة العثمانية عبر تاريخها إلى تبدلات إدارية فرضها واقع الدولة والتقلبات التي اعترضت مسيرة تكوينها، ففي بادئ الأمر كان سلطانها يجالس أفراد قبيلته ويشاورهم في كثير من الأمور السياسية والإدارية على الرغم من التفويض المطلق الذي مُنح له من عادات القبيلة وتراثها العرفي والأخلاقي، وعندما اتسعت دولته، صعب عليه التشاور مع أفرادها، لأن الظروف لم تسمح له، لأنه كان في حرب دائمة مع جيرانه.

لقد ارتبطت مؤسسات الدولة وأجهزتها بشخصه المجسّد في ديوانه الهمايوني حيث استمر الأمر حتى عهد سليمان القانوني 1520–1566م، ومنذ ذلك التاريخ تبدلت الأمور الإدارية في الدولة العثمانية على النحو التالي:

- المرحلة الأولى 1324–1535م كانت أجهزة الدولة مرتبطة بشخص السلطان من خلال دواوينه ومؤسساته الإدارية الموجودة في السراي الهمايوني (وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الاستيلاء والفتوحات).

(*1*) المقصود هنا باب عالي، هذا المصطلح كان السلطان سليمان يطلقه على وزرائه، قبل وجود ما يسمى باب عالي (مقام الصدر الأعظم).

- المرحلة الثانية 1535–1839م أديرت أجهزة الدولة من قبل الصدور العظام والدوواين المرتبطة بشخصه من خلال الباب العالي (وهي مرحلة الجمود).
- المرحلة الثالثة 1839–1908م، أديرت الدولة من قبل مؤسسات متعددة الاختصاصات وغدا السلطان سلطاناً مقيداً، تحكمه قوانين وأنظمة أقرتها التنظيمات، وصادقت عليها الخطوط الهمايونية، مثل كلخانه خطي 1839م، وشريف همايون خطي سنة 1856م، لتنهي ذلك بمصادقة دستور 1876 القضاء التام عليها[1]، (وهي تعرف بمرحلة الإصلاحات والتنظيمات).

أشار البحث عن المرحلة الأولى عندما كانت أجهزة الدولة مرتبطة بالسراي الهمايوني الذي كان يصدر الفرمانات القاضية بتعيين الولاة والموظفين، وقد أنهى السلطان سليمان القانوني دور السراي الهمايوني وحوله إلى مؤسسة استقبال ولهو ومجون، معتمداً في تصرفه إلى الصدر الأعظم الذي تولى قيادة الجيوش إلى الحرب، ومهمة التوقيع عنه وحرية إدارة البلاد.

لم يكن الصدر الأعظم رستم باشا الذي تولى إدارة الدولة سنة 1535م عابئاً بالسلطان سليمان القانوني ذاته، لأن زوجته روكسلانه كانت قد دبرت الأمر بدهاء وحكمة، وسهلت للسلطان سليمان وخلفائه العيش في خدور النساء، وقد استمر الأمر بمن خلفه على العرش حتى إعلان الإنكشارية أن السلطان الجديد لن يجلس على سدة العرش إلا بعد مروره تحت سيوفها ودفع البخشيش لها، غير أن دفع البخشيش لم يثر حفيظة السلطان، وإنما أثاره إرغامه توقيع معاهدة إذعان لأعدائه، عندها شعر السلاطين بضرورة التخلص من الوضع المتردي لدولتهم، لكن كل من حاول إصلاح شؤون الدولة لم يشعر بحجم المواجهة مع الإنكشارية وحرسها القديم، فدفع رأسه ثمناً لجهله هذا.

(*1*) أوغلي، مرجع سابق، ج1، ص318 وما بعد.

أما مرحلة التنظيمات فقد اتسمت بمحاولات جادة من سلاطين القرن التاسع عشر، حيث تجسدت من خلال خطي كلخانه وشريف همايون، وقد انعكست تلك المرحلة على السراي الهمايوني الذي أصبح خاضعاً لأنظمة وقوانين ناظمة(1).

أما إدارة الدولة في ظل إدارة الصدر الأعظم، فقد هيأ لمؤسسته دواوين متشابهة من حيث المهام، لكن مضمونها مغاير تماماً لما كان الديوان الهمايوني يفعله، فالديوان الهمايوني كان مؤسسة سلطوية بامتياز، لا مجال لأصحاب المعاملات المراجعة قط، وإنما لا يحق لهم السؤال عما جرى لمعاملاتهم، فالديوان الهمايوني أيضاً مؤسسة ممنوعة من اللمس اقتداء بصاحبها السلطان، أما دواوين الباب العالي فيمكن لأصحاب المعاملات السؤال عن معاملاتهم، لقد أُهملت المؤسسة الهمايونية وغدت اجتماعاتها إذا اجتمعت للترحيب بسفير أوروبي جديد أو للاحتفال بختان ابن السلطان الحاكم، أو عند تولي سلطان جديد، فآغا دار السعادة الذي يلي الصدرالأعظم في الأهمية أُهمل وأصبح رجل المناسبات، ورجل المراسيم إذا كان له نفوذاً فبفضل علاقته مع الحريم وخاصة الهانم السلطانة الأولى زوجة السلطان(2).

صحيح أن الهيكلية الإدارية للسراي الهمايوني قد طرأ عليها تبدلات نتيجة نقل مركز الخلافة من سراي الطوب قابي إلى سراي دولمه بغجه في عهد السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز، ثم نقلت إلى سراي يلدز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي زاد نفوذه عندما ضرب بمجلس المبعوثان والدستورعرض الحائط، لكن الصدارة العظمى خرجت عليه خاصة في عهد مدحت باشا، فأطاح به، وبإطاحته بالصدرالأعظم نقل البلاد إلى حالة مواجهة مع القوميين، أما مؤسسة الصدرالأعظم عقب السلطان سليمان القانوني فقد أدت دوراً فعالاً من خلال دواوينها أبرزهم:

1) **ديوان العصر** *Asır divanI*، وهذا الديوان مرتبط ارتباطاً مباشراً بالصدر الأعظم، ومقره الباب العالي، وهو يلي الديوان الهمايوني في

---

(1) kütük oğlu, lütfi paşa.istanbul 1298.S.19.

(2) أوغلو، مرجع سابق، ج1، ص 182.

الأهمية، ويعمل فيه كادر مشابه لكادر الديوان الهمايوني منهم رئيس الكتّاب وكتّاب التذاكر من الدرجة الأولى والثانية، غير أن ديوان العصر هذا يحق لعامة الناس الدخول إليه ومراجعة طلباتهم، وكان الصدر الأعظم يطلع على الطلبات المقدمة، فيحل ما يمكن حله، والطلبات المعقدة كان يصطحبها معه إلى الديوان الهمايوني لعرضها، لكنه كان يقدم ملخصاً عنها للسلطان، وهناك طلبات يؤجلها إلى ديوان الجمعة أو ديوان الأربعاء(1).

2) **ديوان الجمعة** *cume divanı*، وهو ديوان يعقد يوم الجمعة برئاسة الصدرالأعظم بحضور قاضي الروميللي والأناضول، وكانوا يناقشون مجمل القضايا بما فيها القضايا العرفية والقضايا الشرعية، ويعمل إلى جانبهم كتّاب التذاكر (وعسس باشى) ومحضر آغا، وجماعة من أوضه باشي والشاويش باشي، ويتناولون الطعام بعد الإنتهاء من أعمالهم، وفي أحيان كثيرة، يجالس الصدرالأعظم القاضيين (الأناضول والروميللي)، ثم يذهب كل منهما إلى منزله، ما عدا الصدرالأعظم، فيعود لاستكمال إنجاز القضايا الأخرى(2).

3) **ديوان الأربعاء** *Erbia divanı*، وهو الديوان الأخير الذي كان الصدر الأعظم يعقده خلال الأسبوع، وكان يعقد صباح كل أربعاء في قاعة ديوان خانه الخاصة به، ويشترك فيه قضاة استانبول وغلطه واسكودار وأيوب، تحت اسم البلاد الثلاثة أو الخواص الرفيعة، مهمة المجلس النظر في القضايا الشرعية والعرفية المقدمة من أهالي استانبول بوجه خاص، فبعد الإنتهاء من قضايا أهالي استانبول ينظر المجلس في قضايا أخرى، حيث ينظر المجلس في قضايا إزمير وبورصه وأدرنه

---

(1) Lutfi paşa, âsaf numesı, Istanbul, mübahat kütük oğlu, 1991,s 14.

(2) أوغلو، مرجع سابق، ج1، ص 183.

وغيرها من الولايات المركزية الأخرى، وكان الصدر الأعظم يعطي نتائج ديوان الأربعاء بعد يومين أو ثلاثة أيام، لأنه كان يعدها قضايا مركزية وإذا لم يبادر إلى حلها، فإن عواقبها ستكون وخيمة على الدولة، ولهذا كان مجلس الأربعاء يظل منعقداً حتى مناقشة القضايا المقدمة إليه(1).

تتميز الدواوين التابعة للصدر الأعظم بالسرعة في الرد على معاملات الناس سواء من داخل استانبول أم من خارجها، فضلاً عن ذلك فإن الصدرالأعظم منح الولاة حداً لا بأس به من الصلاحيات، وضرب بشدة على الولاة الذين تعاملوا مع رعاياهم بقساوة، علماً بأن مرحلتي القرنين السابع عشر والثامن عشر، كانت الأوضاع الاقتصادية في حالة انهيار تام، وأن الدولة اضطرت إلى خلط العملات (الفضة) بمعادن بخسة، مما زاد في ارتفاع الأسعار، وحدوث ثورات عصيان واحتجاجات ضد الولاة وليس ضد الدولة العثمانية(2).

لم تفدنا المصادر والمراجع بأن ثورة ما طالبت بالانفصال عن الدولة العثمانية، وإذا اضطرت الدولة لضرب الثوار بقسوة، فلأن بعضهم استنجد بروسيا، وهذا ما آثار حفيظة استانبول.

ب – موارد الصدر الأعظم *Sadr azam mevrid* :

إذا كانت المرحلة التي تلت السلطان سليمان القانوني بتولي الصدر الأعظم زمام إدارة الدولة بصورة تامة، وأن السلاطين تحجبوا في قصورهم، وقضوا نهارهم وليلهم مع الخصيان السود والبيض، فإن القانون العثماني حدد موارد الصدر الأعظم وحدد نفقاته، وقد نص قانوننامه على تخصيص أطيان ذات ريع

---

(1) *kütük oğlu, lütfi paşa* مصدر سابق *s.24.*

(2) علي إسبر، الانتفاضات المحلية في مصر وبلاد الشام ضد السيطرة العثمانية للقرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين (رسالة دكتوراه)، 2005، ص 180 وما بعد.

سنوي مرتفع، عرف باسم (خاص *Has*) (1)، ويتم جمع هذا الريع الخاص من أمراء البلغار، كما نص قانوننامه هذا الريع الخاص بالصدر الأعظم، وحسب السجلات المالية فإن ريع الصدر الأعظم قُدر سنة 1567م بمبلغ 1,400,000 أقجه(2)، وأضاف أكمل الدين إحسان أوغلو أن هناك هدايا أخرى تأتيه، عدا عن الهدايا الأخرى التي تأتي مع هدايا السلطان(3).

أما لطفي باشا فيذكر إن موارد الصدر الأعظم تعادل 1/2 دخل الدولة، ناهيك عن بيع بعضهم للمناصب، والرشاوى التي كان يتقاضاها، ولهذا فإن السلطان الحاكم كان إذا غضب من الصدر الأعظم ولم يكن داماداً (أي صهر) يعزله ويصادر أمواله وأملاكه، وقد قدرت ثروة رستم باشا دامادا السلطان سليمان القانوني 1/3 ميزانية الخزينة العامرة، وقد تنعمت زوجته مهرماه بهذه الثروة التي لا تقدر(4).

أجمعت المصادر على أن فترة رستم باشا كانت بداية فساد الدولة، لأن رستم تآمر مع حماته روكسلانه على ضرورة التخلص من مصطفى ابن كلبهار، كما تآمر على قتل بايزيد ابن السلطان سليمان القانوني من زوجته روزالينا، وبذلك أصبح سليم الثاني ابن روكسلانه هو ولي العرش.

ج – موارد الوزير *Vazir mevridi* :

يتم تعيين الوزير بموجب (براء) أو منشور رسمي، وهي تتضمن مهامه وصلاحياته، وكان الوزير المعين يتلقى قدر من الهدايا (بيشكش *Peşkeş*) (5)،

(*1*) محمد الفاتح، قانون نامه لسنة 1461هـ، ص 47–50.

(*2*) أفاد إسماعيل حقي أن ريع الصدرالأعظم يزيد عن 1,400,000 أقجه، أوغلو، مرجع سابق، ج1، ص 182.

(*3*) المرجع السابق نفسه، ج1، ص 182.

(*4*) لطفي باشا، تاريخ لطفي، استانبول، 1305هـ، ج2، ص 420.

(*5*) بيشكش (*Peşkeş*)، كلمة فارسية الأصل ومعناها هدية، وكان السلطان والصدر الأعظم والوزير، كل منهم يتلقى *Peşkeş* خاصة به. ذكي بقالين، ج3، ص457.

ولكن على الوزير إعطاء الحصة الكبرى من هداياه للسلطان، لأنه أختاره وزيراً له، ولهذا فمن حقه الحصول على 2/3 هداياه بحسب القانون وليس عنوة.

نص قانون نامه على أن الوزير يعين لمدة محددة، وإذا تجاوزها يطلق عليه (إبقاء) ويمنح براءة من السلطان اسمها (براءة إبقاء) أو (براءة مقرر)، وفي هذه الحالة عليه أن يقدم هدايا للصدر الأعظم والوزراء الجدد المعنيين، وعمله يقتصر على الديوان الهمايوني ويطلق عليه مع زملائه وزراء دولة، وسابقاً كان يطلق عليه وزملائه وزراء قبة.

نص قانون نامه على أن موارد الوزير تقتصر على تيمار من نوع خاص شريطة أن تتراوح موارده من مليون إلى مليون ومائتي ألف أقجه سنوياً. لكن عليه تجهيز جنود من نوع (جبلو) في أثناء الحرب ضمن جيوش الدولة وبقية التيمارات والزعامات المفروض عليهما تجهيز جنود، وإذا أحيل إلى التقاعد يمنح تيماراً دخله ستة أحمال (*Altıyük*)، غير أن هذا أثقل كاهل الدولة، فمُنح مخصصات نقدية سميت (أربه لقه *Arpalık*)(1).

2 – النظام المالي *Malî nizamı* **:**

أ – مهام النظام المالي :

تنبه العثمانيون منذ اتخاذ بورصه عاصمة لهم على ضرورة تأمين موارد مالية لاستمرار تأمين مقاتلين في صراعهم مع البيزنطيين، فالقوات التي كانت تقاتل إلى جانب أفراد القبيلة من اليايا والمسلم، كانت تُعطى في أثناء الحرب يومياً أقجتين، هذه مبالغ إذا ما جُمعت ضخمة بالنسبة لدولة في طور النشأة، فضلاً فإن حربهم مع البيزنطيين لا نهاية لها، من هذا المنطلق، شكل النظام المالي المعتمد لدى الإدارة العثمانية ثلاثة أرباع إدارتها وأنظمتها، حيث دققوا في أصغر الأمور، ولم يتركوا جانباً من جوانب الدخل إلا وأدرجوه في نظامهم المالي.

(*1*) أربه *Arpa* موازين مستخدمة قديماً، وكان يساوي نصف حبه، ويوازي مليغراماً وقيل 0,095 غرام، أما الأربالق، فهي الأموال التي تدفع لكبار رجالات الدولة لقاء عزلهم من مناصبهم ومعناها الحرفي بدل شعير، للمزيد أوغلو، مرجع سابق، ص 19.

لقد تجلت خبرة العثمانيين في الشؤون المالية درجة لا مجال للإلتباس أو الخلط فيما بين الأجهزة الإدارية كافة، فلقد حددوا منذ المراحل الأولى دخل السراي وموارد السلطان وموارد الصدر الأعظم والوزير، وبقية القادة، وتجنبوا أن تكون الخزينة العامرة هي المصدر الرئيس لمد فروع الدولة ومؤسساتها التي كانت بحاجة إلى المزيد من الأموال، لأنهم لو اعتمدوا ذلك لما تمكن السراي الهمايوني تأمين نفقاته ولكان عبئاً ثقيلاً على الخزينة العامرة(1).

لقد اقتصرت مهام الخزينة العامرة على تأمين مستلزمات الحرب، حتى رواتب الجند والمقاتلين تدفع من الأراضي المفتوحة، فطبقوا نظام الإقطاع العسكري في ولاية ونظام السالیانة (الرواتب) في ولاية أخرى، وألزموا الأرض للسباهي، فأرغموه على تأمين زراعتها من جهة، وتأمين الجنود في أثناء الحرب من جهة أخرى، حتى الصدر الأعظم الذي أدار شؤون الدولة ألزموه بتأمين جنود (جبلو) في أثناء الحرب.

إن قراءة الشؤون المالية في الدولة العثمانية أمـــر مثيـــر للدهشـــة وذلـــك للأسباب التالية :

1- السلطان نفسه يدفع ضريبة الدولة في حالة الحرب.

2- ليس من شاردة أو واردة أو بارقة عين إلا وعليها ضريبة،

لا سلطان على مدير الخزينة العـــامرة، ولا ســـلطة علـــى الـــدفتردار (المدير المالي).

3- يحظر إيراد جزء من الباره أو إخراجها إلا بموجب دفتر مرقم وموقـــع عليه، إما من الصدر الأعظم أو السلطان وأحياناً ينوب عنهم الدفتردار العام.

4- أي والٍ أو صدر أعظم أو وزير يعزل بصورة قسرية، فـــإن أملاكـــه تصادر وتضم إلى الخزينة العامرة.

---

(1) ömer lütfi barkan, osmanLı develtinin malÎ Nizamı, Ankara, 1979,s 196.

5-لا يوجد خلط إداري أو مالي ما بين الخزينة العامرة وخزينة السلطان وخزينة الحرم السلطاني، ولكل منهم سجل وارد وصادر مرقم وموقع ومختوم أصولاً.

لم تتساهل الدولة وإدارتها البتة بحدوث أي خلل ما، فالخطأ المالي الأول لمرتكبه هو الخطأ الأول والأخير، ولهذا فإن أجهزتها المالية عملت بدقة متناهية سواء في أوج قوة الدولة أو في ضعفها وترهلها.

لقد تطور النظام المالي العثماني مع تطور الدولة، وغدا قادراً على ضبط الشؤون المالية للولايات التي تجاوزت مساحتها 19,983,000م^2، واستطاع الإمساك بمختلف القضايا المالية من واردات وصادرات، وضرائب ونفقات، ومما ساعد على نجاحه عدم السماح للسلطة السياسية بالتدخل بشؤونه والهيمنة عليه، كما أرفقوا تلك الخطوات بمراقبة قضائية وأحكامها فورية، ولهذا لم يعد هناك مجال للتلاعب بالقضايا المالية، وقد استطاعت الشؤون المالية تقديم احتياجات الدولة في مختلف الأوقات، حتى بأسوأ الظروف التي تواجه الدولة وخاصة العسكرية منها(1).

ب – الدفتردار *Defterder* :

أفادت المصادر أن نظام (دفترداري ممالك) كان معمولاً به زمن الأليخانيين، وبما أنه أثبت جدارته رغم الاضطرابات والقلاقل التي كانت تنتاب تلك الدولة، لهذا عمد العثمانيون على الأخذ به، وطوروه بشكل يلبي احتياجات دولتهم العسكرية.

لقد عُهد بادئ الأمر إلى دفتردار لإدارة الشؤون المالية لمرحلة السلاطين الأوائل، وحينما كبرت المهام، أوجدوا لولاية الأناضول دفتردار خاص بها(2)، ولولاية الروميللي دفتردار خاص بها، وكلاهما يعملان باستقلالية تامة، ويرتبطان بالصدر الأعظم من الناحية الإدارية، ولتأكيد مراقبة الدفتردار عين السلطان

---

(1) ömer lütfî barkan, مرجع سابق *,s 235.*

(2) إسماعيل حقي، الشؤون المالية للدولة العثمانية، أنقره، 1982، ص 211.

سليمان القانوني شخصية مالية متخصصة سميت باش دفتردار، وذلك في القرن السادس عشر.

إن تعيين باش دفتردار زاد في دقة الشؤون المالية، وهكذا فقد عُين على كل موظف يعمل في الشؤون المالية مراقب آخر عليه، ورغم هذه المراقبة فقد ظل دفتردار استانبول العام يضع توقيعه على ظهر الفرمانات والمراسيم وما شابهها، لأن السلطان سليمان حملّ الدفترادار بتوقيعه على ظهر المراسيم مسؤولية النفقات من الأوراق والأقلام وما شابهها.

كلف الدفتردار العام بمساعدة دفتردار الأناضول ودفتردار الروميللي بوضع ميزانية الدولة قبل انتهاء العام بثلاثة أشهر، مع حساب الضرائب المفروضة على المسلمين والضرائب المفروضة على غير المسلمين، أما شؤون الحرمين الشريفين وإدارة الأوقاف الكبرى، وأمور الحج والحسابات الموجودة في مكة والمدينة، فقد كلف بها قلم محاسبة خاص بتلك الأماكن جميعها، يساعده كادر من المحاسبين يزيد عددهم عن 150 محاسباً.

لقد أقيمت إدارة شؤون المالية على أكتاف محاسبين مختصين أطلق عليهم قلم محاسبة أو قلم مقاطعي، وقسمت المدن والمناطق على أساس الأقلام، ومنح قلم مقاطعات الحرمين استقلالية خاصة به، ومرجعيته الرئيسة دفتردار استانبول العام، أما بقية المقاطعات الأخرى فقد ربطت بدفتردار المنطقة التابع لها.

هناك أقلام عرفت باسم تذاكر الأحكام، مهمة كل منهما إدارة الشؤون المالية للمنطقة التي يقع بها، بعكس الواردات فهي تتبع لموظف يطلق عليه وارادتجي، وهو بدوره يتبع باش دفتردار، ومن الموظفين الذين حملّوا مسؤولية التسجيل قلم المؤرخ (تاريخي قلمي) ومهمته وضع التواريخ على المستندات والأوراق الصادرة عن الشؤون المالية، أما تأريخ الحوالات الفرعية فهي من مهمة (سبب تحريد حكملري)[1].

لم تترك الدولة العثمانية الشؤون المالية بتفرعاتها وأقلامها المالية عرضة للمساءلة والاستجواب، لأن ذلك يعد مفسدة مالية لا يمكن تداركها، ولهذا كلفت

---

(1) sari mehmet paşa, nesayihü-ıvüzera, Ankara, 1969,s 67.

بصورة دائمة محكمة الشؤون المالية (مالية محكمة سي) مهمتها النظر في قضايا الجرائم المالية، ويمثل مقام الإدعاء موظف يطلق عليه (باش باقي قولي) مهمته تعقب الديون والمستحقات المالية، ويساعده عدد كبير من الموظفين، إضافة إلى الكادر السري الذي يراقب حتى باش دفتردار(1).

لقد عنيت الأنظمة العثمانية كثيراً باختيار المسؤولين الماليين، ومنحتهم صلاحيات واسعة بما يتعلق بعملهم، وركزت تلك الأنظمة على صفات الدفتردار من حيث الوقار ودماثة الأخلاق والتأني في العمل، وعدم الرد بعجالة، وأن يكون مقتصداً في تصرفاته، ومدركاً لشؤون الحساب ويجيد القراءة والكتابة بشكل ممتاز، وقد أشار صاري محمد باشا الذي تولى وظيفة الدفتردار إلى ضرورة منحه الصلاحيات الواسعة، وعدم تغييره بكثرة استناداً إلى شائعات تشاع عليه وألا يعزل إلا بعد تصفية حساباته كاملة، لأن قلمه يدفع بالدولة إلى الهاوية.(2)

ج – الخزائن المالية *Maliye hazıneleri* :

أشار البحث في أكثر من موضع أن العثمانيين لم يعتادوا على خلط أوراق إداراتهم، وتجنبوا أيضاً أنصاف الحلول، ولهذا قسموا الخزائن بحسب احتياجات الدولة، لأنهم أدركوا أن صراعهم مع الآخرين لا نهاية له، وأن هذا يقتضي منهم تخصيص خزينة للدولة وخزينة للسلطان الحاكم وخزينة لحرم السلطان، والخزينة تعني المالية التي تعدها الدولة بموجب خطة مدروسة تجمع بموجبها الأموال وتوضع في الخزينة[3]، ويدخل في دائرة هذا التعبير ما فرض أنه دخل الخزينة من المبالغ، وما صُرف أو أنه صرف منها، وذلك قياساً لإجمالي واردات ونفقات الخزانة العامرة، في حساب سنة خلت[4].

---

(1) عمر بارقان، مصدر سابق، (تركي غير مترجم) ص 250.

(2) صاري محمد باشا، مصدر سابق (غير مترجم)، ص 89.

(3) قانون نامه، مصدر سابق، ج1، ص 144.

(4) أرشيف رئاسة الوزراء، مالية دفتري، رقم 2475.

لقد أدرك القائمون على الأمر أن الدولة بدون خزينة ليست بدولة، لأنه وبالمفهوم العام أن التكاليف والضرائب تتوارثها الدول كل منها عما قبلها، ولكن الدولة العثمانية لم تتوارث هذا عن دول، فهي دولة ناشئة، وقد نظمت شؤونها المالية بالقياس ثم تعمقت في السنوات التي تلتها، فأحسنت الإدارة، ونظمتها بموجب قوانين يمكن قراءتها من الدفاتر الخاقانية أي دفاتر الإحصاء أو دفاتر الطابو ومنها دفتر المفصل لكونه يفصل في كل لواء منْ المكلفين بالضرائب، أو ما في أيديهم من أراضٍ عليها خراج أو عشر، وما تنتج كل قرية، وما هو نصيب الدولة من ذلك(1).

لقد واجهت الدولة صعوبات جمة عندما كانت الإدارة المالية تتحكم بها يد واحدة، ولكن بعدما أصبحت الدولة تمتلك ولايتين رئيسيتين شكلا الجذع الرئيس للإمبراطورية العثمانية، أقيمت الميزانية على أساس دفترداريهما، علماً بأنهما كانا يتشاركان في اجتماعات الديوان الهمايوني والدفتردار الذي يمثل وزير المالية فعلاً هو دفتردار الروميللي.

أما الولايات البعيدة فقد أديرت شؤونها المالية، وجمعت ضرائبها لتوضع في الخزينة العامة كجزء رئيس من واردات الخزينة(2).

لقد دأبت الدولة على إجراء بيان الموازنة في الأشهر الأخيرة من السنة لعرض موارد الدخل والنفقات التي تمت في العام السابق، وبتعبير آخر، لقد اعتاد العثمانيون على وضع النفقات في إطار جرى تحديده من قبل، وبناء على ما تقدم يمكن تقديم صورة عن خصائص الخزينة:

1 – إن تنظيم الميزانية جرى سابقاً على أساس مدة السنة الشمسية، وأن يكون البداية هو يوم الفيروز، أما في القرن السابع عشر فاعتمد التقويم الهجري، وفي القرن الثامن عشر اعتمد التقويم المالي(3).

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، دفتر الطابو، رقم 121.

(2) عمر لطفي بارقان، ميزانيات الدولة العثمانية، استانبول، 1987م، ص 350.

(3) لمزيد من الإطلاع عن خزينة السلطان العودة إلى الفصل الأول.

2 – لم تكن ميزانية الدولة تحتوي مفردات دخل للدولة، وهناك أمور مالية لم تدرج في حساب الميزانية، لكن هناك أموالاً كانت تدخل في حساب الميزانية، كما أن خواص السلطان كانت أيضاً تحسب في الميزانية، علماً بأن للسلطان خزينة خاصة به.

لقد عرفت الخزينة لدى العثمانيين أسماء متعددة، الخزانة العامرة، وخزانة الخارج (ديش خزينة)، وخزانة الديوان الهمايوني، وهناك خزينة ثانية أخرى وجد لها عدة أسماء، خزانة الداخل (إيج خزينة) أو خزانة السلطان، وهي بمثابة خزينة احتياطية(1).

أما الخزانة العامرة، فكانت تعرف بخزانة الديوان الهمايوني، يوم كان السلطان يقود الجيوش ويوقّع الفرمانات، أما بعدما كلف الصدرالأعظم بقيادة الجيوش وإدارة الدولة، فقد خصص للسلطان خزانه خاصة به، وذلك في النصف الثاني للقرن السادس عشر(2).

تُسلم الأموال التي توضع في الخزينة إلى موظف خاص من قبل كبير الأمناء ويسمى (وزنه باشى)، ويتم التسليم بحضور أمناء آخرين وكتّاب اليومية أي (روزنامجي) مناظر السركي، وكاتب السركي ومهتران خانه (فرقة الموسيقا)، ومن يريد تسليم أموال أو واردات أو الصادرات، لا بد من الحصول على إذن من الروزنامجي(3)، وعند المساء تجري عملية حسابات الصادرات والواردات من وإلى الخزينة، ويسجل ذلك في دفاتر موقعة وممهورة من قبل أمناء المراقبة يتولون مراجعة الإيصالات الموجودة والمثبتة أرقامها وتاريخ استلامها، ويترك لدى كبير الأمناء أربعة أو خمسة أكياس الباقي منها يوضع في الخزينة(4).

أما خزينة الداخل (ايج خزينة) فقد عرفت هي الأخرى أسماء متعددة تبعاً للتغييرات الإدارية التي يتعرض لها السراي الهمايوني، هي خزينة ودائع السلطان

---

(1) بارقان، المالية العثمانية، مرجع سابق ص 315.

(2) جودت، مرجع سابق، ج 3، ص 270.

(3) بارقان، المرجع السابق، ص 315.

(4) إسماعيل حقي، الخزينة العثمانية واردها وصادرها، أنقره، 1974، ص 135.

من ألبسة ومجوهرات ومعاطف فرو، وهناك خزائن أخرى تعرف باسم (جيب همايون خزينة سي)، وهي مخصصة لحفظ المسكوكات والحلي والمجوهرات، وكانت هذه الخزينة تمد الخزينة العامرة باحتياجاتها المالية بعد الحصول على إذن السلطان شريطة أن يرد ما أخُذ منها فيما بعد(1).

ويذكر إحسان أوغلو في مؤلفه أن الخزينة السلطانية أو ما يعرف بـــ(جيب همايون خزينة) تجمع فيها الموارد الآتية:

1) مبلغ 50,000 أقجه يقدمه الديوان الهمايوني في شهر.
2) الموارد القادمة من الخواص السلطانية والمالكانات.
3) الفائض عن أوقاف الحرمين الشريفين.
4) الحاصلات التي تجمعها طائفة البستانية في استانبول وأدرنه ومن الحدائق الخاصة السلطانية.
5) الفائض عن الضربخانه.
6) الموارد الناتجة عن المخالفات والصادرات.
7) إرسالية مصر (ضرائب مصر السلطانية).
8) الضرائب القادمة من إمارتي الإفلاق والبغدان(2).

لقد أقامت الدولة لهذه الموارد أبواب متعددة لصرفها، منها الأموال المخصصة للصرة التي اعتاد السلاطين العثمانيون على إرسالها سنوياً مع قوافل الحج المتجهة إلى مكة والمدينة، إضافة إلى الهبات والصدقات التي يقدمها السلطان الحاكم في مناسبات متعددة أو لظروف قاهرة تحتم عليه القيام بتقديمها(3).

نصت القوانين على ضرورة إعطاء السلطان إيصالاً بالأموال التي يسحبها من الخزينة، لكنه لا يحاسب عليها لاحقاً، لأن القانون منحه ذلك، وكانت الأموال

---

(1) حقي، مرجع سابق، ص 173.

(2) يذكر عمر لطفي بارقان أن القانون خوّل السلطان أخذ الأموال التي يريدها من الخزينة الداخلية (ايج خزينة) ولا يحق لأحد الأخذ أو الاقتراض من الخزينة العامرة.

(3) جودت، مصدر سابق، ج3، ص 417.

التي يطلبها السلطان تسلم إلى السلحدار ضمن كيس مختوم بالخاتم السلطاني ومسجل عليه محتوياتها من الأموال عددها فضية أم ذهبية مجوهرات ما شابهه(1).

قد تقع الحرب قبل أن تجمع السباهية محاصيل تيماراتهم، فتعمد الدولة إلى قرضهم حاجتهم من الأموال، وبعد انتهاء الحرب، يعاد ما أخذ إلى الخزينة بالتمام والكمال، غير أن هناك أزمات مباشرة تواجه الخزينة العامرة وأيضاً خزينة الداخل، فتضطر الدولة لفرض ضرائب وخلط النقود بمعادن بخسة لسد العجز الحاصل(2).

وهناك خزانة الإيراد الجديد التي أنشأها السلطان سليم الثالث 1789-1807م، مهمتها تأمين احتياجات الدولة في حال الحرب، وهذه الخزانة مسؤولة عن تأمين نفقات الجيش الحديث المسمى النظام الجديد، وقد تقرر إيراد هذه الخزانة من المصادر التالية:

1) أموال الميري التي تخضع للخزانة العامرة، مضافاً إليها واردات مقاطعات الحرمين الشريفين والتيمارات التي تديرها الضربخانه، واردات الالتزام(3).
2) واردات المالكانه التي تتجاوز فوائدها السنوية عشرة أكياس من النقد وتغدو هذه الإيرادات مرتبطة بخزانة الإيراد الجديد.
3) الفوائد الناتجة عن السندات.
4) (ربط تيمارات جنود القمبره جي) الرماة بخزانة الإيراد الجديد.
5) تخول الخزانة هذه جمع الرسوم بكل أنواعها(4).

لقد عدّ الحرس القديم وقادة الجند (الإنكشارية) أن السلطان سليم الثالث خطا بجرأة نحو منح عساكره الجديدة استقلالية خاصة بهم، وهذا يعني أنه سوف يتم

---

(1) إسماعيل حقي، الخزينة العثمانية، مرجع سابق، ص275.

(2) المرجع السابق نفسه، ص 275.

(3) kütük oğlu, ihtısab dÎIresı, istanbul ,1979,s 149.

(4) Racı bey oğlu, osmanı hazınesı, Ankara, 1986,s 12.

الاستغناء عنهم، ولهذا أعلنوا الثورة عليه وتمكنوا من زجه بالغرفة الحديدية، ومن ثم قتله، وأبطلت جميع إصلاحاته بما فيها خزانة الإيراد(1).

لقد استمرت الدولة العثمانية تواجه تخبطات إدارية بشأن تنظيم ماليتها وخزائنها، وكانت خطوة السلطان سليم الثالث هي بداية هذا التخبط، لأنه أراد أن يخصص لقواته الجديدة دخلاً خاصاً بها، لكن الظروف كانت أكبر منه فأطيح به، خلفه على سدة العرش السلطان محمود الثاني 1808–1839م الذي تمكن من التخلص من كابوس الإنكشارية، وأقام بدلاً عنها عساكر سماه العساكر المنصورة المحمدية، وواجه على إثرها نفقات باهظة لتنشئتها بالشكل الذي يؤهلها لأن تصبح جيوشاً حديثة، فاضطر للبحث عن مصادر جديدة للدخل، فلجأ أولاً إلى زيادة ضريبة الجزية بمقدار 30% ممن تديره الضربخانه، وانتزع من الجيب الهمايوني حاصلات الرسوم المعروفة باسم (قبو خراجي وباغجه)، أي خراج الأبواب والحدائق(2)، وأمر في سنة 1827م فصل حسابات خزينة المقاطعات عن الخزينة العامرة، وشكل لها جهازاً خاصاً مستقلاً(3).

يلاحظ أن الخطوات المالية الإصلاحية كانت تتم على حساب الخزينة العامرة التي ظلت ضمن النتائج المتوقعة، فلجأ سلاطين التنظيمات إلى إجراء خطوات تمثلت بدمج الخزينة العامرة مع الضربخانه، ودمج خزانة العساكر المنصورة مع الخزينة العامرة، وبما أن هذه الخطوات زادت من ضياع الواردات، فاضطر السلطان عبد المجيد إلى إلغاء جميع الخزائن السابقة وخصص للدولة خزينة مالية واحدة(4).

بما أن الدولة العثمانية أدركت منذ المراحل الأولى لنشأتها أن مسؤولياتها كبيرة، عليها أن تؤمن المال الكافي لاستمرار قدرتها على مقاومة أعدائها قبل أن تبحث على رفاهية سلطانها وحاشيته، فإن مقومات تأمين المال اللازم يجب أن

---

(1) خليل ساحلي أوغلي، الخزينة العامرة، استانبول 1976، ص 240.

(2) جودت، مصدر سابق، ج4، ص 195.

(3) بارقان، مرجع سابق، ص 400.

(4) جودت، مصدر سابق، ج4، ص 215.

تكون هناك موارد إنتاجية تعطي الدولة وخزينتها دخلاً يوازي إن لم يفوق النفقات، وإذا كانت قد أمنت قسماً من المال لدفع رواتب الجند، فإن الجانب الآخر الذي يكفل تأمين المتطلبات الأخرى يجب الاعتماد فيه على أشخاص مهمتهم الأولى والأساسية جمع المال وإيصاله للدولة.

لا يمكن أن تقوم المؤسسات الرئيسة لدولة ما على الضرائب فقط، لأن هذا الأسلوب يسبب لها المتاعب من جهة، وتفقد الدولة مصداقيتها كدولة من جهة أخرى.

إن القارئ لتاريخ الدولة العثمانية قبل نشأتها يدرك أن الحل الوحيد لهذه الدولة هو الاعتماد على الأرض، هذا جانب والجانب الأخر من يقاتل معها يتخلى عنها إن لم يتم تأمين له ما يمتن هذا الترابط وخاصة قواتها، فلجأت إلى تقديم مكافآت لأولئك الجند.

أولاً – التيمار *Timer* مضمونه الحقيقي تحمل قسم من نفقات الدولة المالية فعهدت إلى فئات عسكرية جباية بعض حاصلات الضرائب باسمها مقابل نسبة يحصل عليها، وكانت فئة السباهية العسكرية هي الفئة القادرة على الارتباط بالأرض والأكثر قدرة على التعامل مع المزارعين، فتتولى السباهية جباية ما يسمى (چفت رسمي *Çift resmı*) أي رسوم المزرعة وتوابعها من رسوم العشر والدخان والطابو ورسوم التيمارالحر (سربت تيمار) (1)، والتيمار الذي يكون دخله 20,000 أقجه يسمى تيماراً وما يزيد يسمى زعامت وما يزيد عن المئة يسمى خاص، وعلى كل منهم المشاركة في الحرب بجنود يحددها قانون كل منهم.

ثانياً : نظام المقاطعة، اختصاراً هو ضمان أو اتفاق على مبلغ معين، وقصد به العثمانيون الوسيلة أو المؤسسة التي تجلب دخلاً نقدياً يُدفع لها سنوياً دون أن تتدخل أو تبذل جهداً مثل المناجم والملاحات وصيد السمك، الضربخانات ومهمتها منح حرية التصرف ومنع التعدي عليها من قبل الآخرين.

---

(1) سربست تيمار *serbest timer*، وهو التيمار التابع للأشخاص ذوات الدخل العالي، وهو أشبه بالامتياز، ولا يجوز الاقتراب إليه ولا مصادرته، للمزيد:

Midhat sert oğlu, osmanlı tarihi مرجع سابق *s.292.*

لإدارة المقاطعة أشكال عدة، تعتمد الدولة الشكل الذي يؤمن لها المال أكثر، وقد تعهدها لموظفين وهذا نادراً ما تم شريطة أن تدفع لهم رواتب ولا علاقة لهم بالدخل، وقد تعهد لأشخاص وهذا ما اعتمدته، لأن الدولة تريد أموالاً، ويتم ذلك بالمزايدة ولمدة ثلاثة سنوات كحد أقصى، ويمكن أن يمدد له عن طريق ما يسمى التحويل، وعلى المقاطعجي أن يدفع أقساطاً وتكون في عيد النيروز من كل سنة أو يدفع سنوياً(1).

3- **نظام المالكانه** *Malikane nizamı* :

وهو بيع مقاطعات لأشخاص مدى الحياة، وتعد الدولة العثمانية من أولى الدول التي لجأت إلى هذا الأسلوب، ولم تلجأ إليه كسياسة بل كانت مرغمة على ذلك، ففي القرن السابع عشر تعرضت لأزمات اقتصادية ولهزائم عسكرية كبيرة وخاصة بعد حصار فيينا الثاني التي انتهت بعقد معاهدة كارلوفچه سنة 1699م، فاضطرت لسد العجز إلى ما يسمى بيع أراضي وممتلكات تابعة لها لأشخاص مقابل حصولها على الأموال(2)، وقد سلكت كل السبل لسد العجز، فخلطت العملة بمعادن بخسه، وإذا تخلى المالك عنه تعاد إلى المزاد ثانية، ويحق لأي إنسان المشاركة بالمزاد حتى ابن المالك القديم.

لقد تسبب نظام المالكانه بحدوث مضاعفات كبيرة على الدولة، لأن كثير من الملاك (المالك للإقطاع) باعه وهو على قيد الحياة، وحينما تولى السلطان سليم الثالث العرش 1789-1807م ألغى نظام الملكانه، وطبق مبدأ الالتزام(3).

إن ما اتخذته الدولة من وسائل لجمع المال تمّ في القرن السابع عشر ما عدا نظام التيمارالذي هدفت الدولة من ورائه ربط جنود السباهية بالأرض والدفاع عنها، فالدولة خلال القرون الأولى لنشأتها لم تكن دولة ديمقراطية بالمعنى الحرفي

---

(1) Halil sehilli oğlu, mukatalar nizamı, Istanbul, 1984, s 139.

(2) Mıdhat sert oğlu, malikane nizamı, مرجع سابق *.s.193.*

(3) Halil sehilli oğlu, mukataalar nizamı, مرجع سابق *,s 152.*

لهذه الكلمة، بل كانت دولة فتوحات وانتصارات، وكانت خزائنها ممتلئة بالذهب والمجوهرات نتيجة الضرائب والغرامات التي فرضتها على الخصم.

لا شك بأن انتصارات كانت كبيرة وكثيرة، وأن قسماً من الضرائب التي فرضت كان لفرض الهيبة للسلطان، وقسماً آخر فرضته القوة والهيمنة ، وما تبقى هكذا ارتأى الشرع والعرف الأخذ به(1).

4 – النظام الضرائبي:

أ– **الضرائب الشرعية:** التزمت الدولة بالشرع الإسلامي بشكل كبير، خاصة فيما يتعلق بالضرائب، وقد هدفت من ذلك إرضاء للمنظمات الآخية التي كانت تقاتل معها، إضافة إلى تبنيها الدين الإسلامي والعمل بما أقره، ولهذا عمدت إلى جباية الضرائب على النحو الآتي:

1 – ضريبة العشر: وهي تعني عشر المحصول المنتج، أي جزء من عشرة أجزاء، وحسب الشرع الإسلامي فإن الأرض التي يسكنها المسلمون، بعد فتحها أو يقبل أهل هذه الأرض التي فتحها المسلمون اعتناق الإسلام، فإن الشرع سماها أرض عشرية وعلى أهلها دفع ما عليهم بحسب الشرع الشريف(2).

أما الأراضي الزراعية فتجبى الضريبة منها خمسة أعشار، إذا كانت مروية، ولكن العثمانيين لم يلتزموا بذلك، لأن واقعهم العسكري لا يسمح بذلك، بل عدوّا الأراضي التي فتحوها ملكاً لهم، والعاملون فيها رعاياهم وهم مستأجرون دائمون لهذه الأراضي، وعلى هؤلاء العاملين أو المزارعين تخصيص مقدار من الإنتاج، سماه العثمانيون (العشر).

من الصعب الحكم على العثمانيين الذين خالفوا الشرع بحسب ما يذكر جودت باشا الذي أكد ضرورة تطبيق العثمانيين لهذا المبدأ، لأن الأراضي التي فتحها العثمانيون كانت وسيلة حقيقية لإثبات وجودهم، وأن تطبيق العشر يجب أن

---

(1) إسماعيل حقي، التاريخ العثماني، مرجع سابق، ص 358.

(2) جودت، تاريخ جودت، مصدر سابق، ج3، ص 540.

يتناسب مع واقع الأرض، وإلا فالعثمانيون لن يتمكنوا من إقامة دولة لو اتبعوا الوسيلة التي اتبعها العرب عندما خرجوا من الجزيرة العربية فاتحين(1).

لقد نص قانوننامه أن الضريبة تطبق على كل سنجق بحسب طبيعة أرضه، وكذلك فإن الضريبة تختلف من محصول إلى محصول حتى ولو كان في منطقة واحدة(2).

إن واقع العثمانيين العسكري يحتم عليهم جمع ضرائب أخرى إلى جانب ضريبة العشر، وهذه الضريبة التي جمعها العثماني لم تقتصر على المسيحي بل شملت المسلم أيضاً، وكان عليها أن تطبق نظام الملكانة نظراً لحاجتها الماسة إلى المال، ويذكر رضا نور أن المسألة التي يواجهها العثماني أكبر من ضريبة العشر وأكبر من تطبيق نظام الملكانه، لأنه وجد ذاته في خطر لو لم يعتمد الوسائل التي تؤمن له المال لاستمرار المسألة الجهادية(3).

ويضيف نور أن العثماني المجاهد كان مجبراً على جمع ضريبة العشر، وضريبة الديوان الهمايوني وحصة للملكانه، وطبقها بشكل فعلي في بعض المناطق حيث كانت تدفع حصة زائدة للديوان بواقع ثلاثة أعشار(4).

ويذكر إحسان أوغلو، إذا جُلبت الضريبة من أماكن بعيدة، فتدفع خمسة أعشار، ثلاثة للملكانه، وحصتان للديوان الهمايوني، وفي منطقة ماردين جمعت أربع حصص للملكانه وحصة للديوان، وقد طبقت الدولة على ماردين ما كان سارياً قبل ذلك، إضافة إلى سوء الأوضاع الاقتصادية قياساً بما حولها من مناطق(5).

لقد أكثر العثمانيون من تسميات ضريبة العشر وذلك بحسب المحصول الذي يجبى، فهناك ضريبة (رسم باغ) أي ضريبة الكروم، وهناك ضريبة (رسم

---

*(1)*جودت، مصدر سابق، ج3، ص 420.

(2) قانون نامه، مصدر سابق، ج1، ص 237.

(3) رضا نور، عثمانلي تاريخي، استانبول، مرجع سابق، ج4 ، ص 257.

(4) نور، المصدر نفسه، ج4، ص 285.

(5) أوغلو، مرجع سابق، ج1، ص 640.

سرًا) أي ضريبة حطب للإيقاد، وهناك ضريبة (رسم بغچه) وهناك ضريبة (رسم فواكه) وهناك ضريبة (رسم حرير) وما شابه ذلك من الضرائب التي تؤمن للسلطان دخلاً مادياً يوازي عملياتهم العسكرية.

يقال إن العثمانيين أجادوا التفنن في فرض الضرائب، فلم يبقَ شيء من منتجات الأرض إلا وجعلوا له ضريبة، وحينما لم يبقَ شخص التفتوا إلى النواحي الأخرى من الحياة.

2 – ضريبة الخراج *Haraç vergi* :

هي ضريبة تؤخذ من جهد العاملين عبيداً كانوا أم أحراراً، أما المفهوم الشرعي لضريبة الخراج، هي أموال تجبى عن الأراضي الخراجية التي فتحها المسلمون ثم تركوها لسكانها الأصليين، وضريبة الخراج هي الجزية التي تجبى من الأشخاص، وقد حدد الشرع أراضي الخراج :

- أرضٍ لا تنتج إلا محصولاً واحداً، لأن الأرض غير خصبة ولا مهيأة لزراعة ثانية.
- أراضٍ لا يؤخذ الخراج على أساس خصوبة الأرض وإنما على أساس المساحة، وسماه العثمانيون خراج موظف، وبحسب ما أفتى به محمد أبو السعود أن العشر يقابل الخراج المقسم، ورسم مزرعة (جفت رسمي) يقابل خراجاً خرج موظف أي دخلاً ثابتاً بحسب رؤية مفتي السلطان سليمان القانوني محمد أبو السعود(1).

3 – الجزية : وهي ضريبة رأس يؤديها المسيحيون، وواقع الأمر، فإن الجزية التي يدفعها المسيحيون هي بدل عسكري، لها شروط لدفعها منها :

– أن يكون الشاب المسيحي قد أصبح مهيأ لخدمة العلم.

---

(1) محمد أبو السعود، كان مفتي الإسلام في عهد السلطان سليمان القانوني أفتى برمي(قتل) مصطفى ابن سليمان بالسهام بحجة أنه يتآمر على والده، وبتشجيع من روكسلانه زوجة السلطان أفتى بذلك، للمزيد :

Ali karem, padışah Analar, Istanbul, 1999,s 198.

- أن يكون سليماً معافى وصالح للخدمة ممن تراوحت أعمارهم بين 14-57 سنة.
- النساء والأطفال المسيحيون معفون من ضريبة الجزية(1).
- لضريبة الجزية المفروضة على المسيحيين شروط يجب توافرها:
  - المستوى الأول: أن تكون حالته المالية جيدة فيدفع الفرد منهم 48 درهماً فضياً.
  - المستوى الثاني 24 درهماً فضياً.
  - المستوى الثالث 12 درهماً فضياً.

وبالعودة إلى السجلات العثمانية، نجد أن الدولة لم تطبق إلا المستوى الثالث بدواعي سوء الحالة المادية لهؤلاء الشبان المسيحيين، وكانت قنصليات أوروبة تتدخل في ذلك وتعلم الدولة عن الحالة المادية للشبان الملزمين بدفع الجزية(2).

د – ضرائب السباهية أو ضرائب المسلمين *sipahılar vergi* :

1 – ضرائب المسلمين *Müsellem* :

من الخطأ بشيء عدّ الرسوم التي تؤخذ من السباهية ضريبة، فالسباهية تدير أرضاً زراعية تشمل 90 قرية للتيمار الواحد، لكن ما يقال ضريبة هي ما يؤخذ عن كل دار أو عائلة تعمل في فلاحة الأرض، ومحمد أبو السعود مفتي الإسلام آنذاك سماها خراج الموظف، ولم توضح لنا المصادر العثمانية، أكثر من أنها محاولة للتوفيق ما بين ما اتخذه العثمانيون من إجراءات الضرائب وبين ما نص الشرع عليه.

---

(1) لقد أقامت أوروبة الدنيا على الدولة العثمانية وعدّ أن ذلك ظلماً يحيق بالمسيحيين وبعد صدور شريف همايون خطي سنة 1856م، جنت أوروبة لأن الدولة فرضت عليهم الخدمة الإلزامية وألزمت أوروبا الدولة العثمانية بالعودة إلى ما كان سابقاً أي تحصيل الجزية ، للمزيد، الملاحق، القانون الأساسي.

(2) قانون نامه الصادر سنة 1461م، ص 175.

أما السلطان محمد الفاتح، فقد أقر في نظامه أن الفلاح مجبر بخدمة السباهي، وما يؤخذ منه سماه القانون (رسم المنجل)، وهناك ضريبة النورج، ولهذا كثرت التأويلات بشأن العاملين بأراضي السباهي، وقد حاول العثمانيون بجهد كبيرعدم تمزيق وحدة الأرض التي سموها تيماراً، ومنعوا تقسيم الأرض أكثر من قسمين، أي أنه يحق لولدي السباهي أن يتقاسم الأرض، وإذا كان له أكثر من ولدين فلا يجوز تقسيمها إلى ثلاثة أقسام(1).

وقد تنوعت ضرائب السباهية منها :

- رسم تعطيل الأرض (المزرعة) وقد خوّل القانون السباهي إلقاء القبض على الفلاح الذي ترك الأرض دون زراعة، وله حق إعادته إلى الأرض وفرض ضريبة عليه يقدرها بمدى ما كانت تنتجه الأرض في فترة تركه لها وتسمى ضريبة (جفت بوزان رسمي).
- رسوم البنات، أي بنت السباهي المتزوجة من ابن الفلاح الذي يعمل في التيمار.
- رسوم الدونم، ويدفعها المزارعون غير المسجلين عل ملاك التيمار.
- رسوم الدخان، وهو رسم من يستدعونه إلى السباهي من الخارج لقضاء فصل الشتاء أو فصل الصيف وعليهم أن يدفعوا 6 أقجات(2).

من الصعوبة بشيء عرض كافة الضرائب التي يجمعها السباهي من العاملين أو من الزائرين إلى منطقته، وقد سلكت الدولة هذا لربط السباهي بالأرض، وإذا كانت هذه الظاهرة تبدو غريبة في الولايات العربية، ففي الحقيقة هي أفضل وسيلة ضمنت الدولة العثمانية ملكية أراضي البيزنطيين بها.

يقول جودت: لو لم تعتمد الدولة العثمانية إلى فرض نظام الإقطاع العسكري من تيمارت وزعامت وملك خاص، لغدت الأراضي التي انتزعها العثمانيون من البيزنطيين ممزقة الأشلاء، قبائل وجماعات تتفرد بمناطق دون

---

(1) لمعرفة الضرائب السباهية، راجع مادة تيمار في قاموس محمد زكي بقالين، ج3، ص315.

(2) بقالين، قاموس الأساليب والمصطلحات، ج3، مصدر سابق، ص 316.

أخرى، وإن نظام التيمار والزعامت وحدّا الأرض العثمانية توحيداً تاماً، أسهم فيما بعد إلى تحويلها إلى إمبراطورية عثمانية تماماً[1].

2 – ضرائب غير المسلمين *Müsellem siz vergi* :

وهي ضريبة الرأس ويؤديها الفلاح غير المسلم، وهي تقابل ضريبة (جفت رسمي)، وتجبى ممن بلغ السن الذي حدده القانون، ولا ينظر في جبايتها إلى مساحة الأرض أو ما يملك هذا الفلاح من حيوانات، وقد بلغ في القرن السادس عشر وبحسب ما أقرته قوانين سليمان القانوني (25) أقجه، وبادئ الأمر طبقت هذه الضريبة على سكان الروميللي التي فتحت في عهد مراد الثاني 1421–1451م، كما طبقت على الأناضول وفي المجر، وفي القرن السادس عشر ارتفعت إلى (35) أقجه في عهد السلطان محمد الثالث 1595–1603م، ومما يفرض على المرأة الأرملة المسيحية ضريبة مقدار (6) أقجات تحت مسمى ضريبة الأرملة(2).

3 – ضرائب متنوعة *Çeşitli vergiler* :

لم يبقَ شيء إلا وفرضت عليه الدولة العثمانية ضريبة، ولهذا من الصعب التعرض إلى مختلف الضرائب التي فرضتها الدولة، وما يعرض هنا من ضرائب على سبيل المثال لا الحصر.

- رسم الطواحين، وهي ضريبة تجبيها الدولة من الطواحين المائية والهوائية ومن معاصر الزيت، وكانت معاصر الزيتون تدفع ضريبة عن ثلاثة أشهر أو ستة أشهر، وذلك تبعاً لقطاف حب الزيتون.

---

(1) جودت، مصدر سابق، ج4، ص 567.

(2) إسماعيل حقي، علمية تشكيلاتي، مرجع سابق، ص 537.

- رسم العروس، وهذه الضريبة تجبيها السباهية إذا كانت العروس تابعة لتيماره، وهي تقدر تبعاً لحالة العروس، إن كانت بكراً أو ثيباً مسلمة أو غير مسلمة وحرة أم جارية.
- رسم الأغنام، تجمع ممن يتملك أغناماً بما فيهم البدو الرحل سواء كانوا مسلمين أم مسحيين، ويدفع عن كل رأس غنم أقجه واحدة.
- رسم الحيوانات الضالة أو الفارة، وفي هذه الحالة إذا قبض على حيوان ضال أو فار يخبر القاضي بذلك، وظل يرعاه حتى يظهر صاحبه، فيؤخذ منه ما دفع على حيوانه من رعاية وإطعام وجبات وشراء وما شابهها.

4- ضرائب العوارض *Avarız vergilare* :

أشار البحث إلى الأساليب التي اعتمدتها الدولة العثمانية لجمع أموال لمواجهة توجهاتها القتالية، فلجأت إلى الشرع الشريف وقلبت صفحاته وأين يمكن الاستفادة منه لتسويغ ضرائبها التي تمدها بقوة الحركة القتالية.

لم يمضِ القرن السادس عشر إلا ووضعت ضرائبها وحددت مقاديرها وأوقات جمعها، وأعدت الكادر اللازم لجمع هذه الأموال وتسليمها إلى الخزينة العامرة، المهيأة باستمرار لتأمين متطلبات القوات التي تحارب الأعداء، وإذا كانت الدولة قد قلبت الشرع ومسحت الأرض وعدّت البشر والحجر، فهناك ناحية مهمة كانت قد أعدت لها حساباً وهي العوارض والنوازل التي تواجهها وتواجه رعاياها في مختلف ولاياتهم، وقد أقر الديوان ضرورة جمع أموال تحت مسمى (العوارض الديوانية)، وهي تشبه إلى حد كبير الضرائب العرفية، وكانت في بادئ الأمر كضرائب لتأمين متطلبات الدولة في أثناء الحرب مع أعدائها، ومن ثم جمعتها لدفع رواتب الجند المتأخرة عليها، ومن ثم سمتها ضريبة العوارض أو النوازل.

لقد حدد الديوان ما المقصود بمصطلح النوازل فسماها (خانه *hane*) عائلة أو الدار أو الوحدة الأسرية، أما مصطلح خانة العوارض فهي تختلف عن مصطلح

الخانه الدار أو الوحدة الأسرية، كما أن مصطلح خانة العوارض فهي تختلف عن مصطلح الخانه أو العائلة(1).

اختلفت التقديرات المالية وكيفية حسابها أو جمعها وممن تجبى، فصناع الجسور وحراس الممرات والمناطق التي دارت الحرب عليها لا تجبى منها ضريبة العوارض، ومصادر أفادت أن البلدان أو الولايات التي تتعرض إلى كوارث طبيعية مثل مرور الجراد عليها، أو أن المناطق الحارة أصيب أطفالها بأمراض ولا تتوافر لديهم وسائل حماية، وهم بحاجة إلى مساعدات مالية، من أين ستقدم إليهم المساعدات تعفى هي الأخرى من ضريبة العوارض.

لم يحدد الديوان نسبة ما يجمع، وهل الضريبة نقدية أم عينية، أو خدمة بديلة تقدم للدولة. وقد أقر الآتي:

1) ضريبة عينية(2)، وهي مواد تموينية تقدم للجيش وسميت ضريبة النُزَل أي القمح والدقيق الذي يقدم للقوات المحاربة والشعير اللازم للدواب، وهذه الضريبة تجبى بلا مقابل، ويتكفل قضاة المنطقة بجمعها، ومن ثم يقدمونها إلى الموظف المختص ويسمى أمين النزل.

   كذلك فقد أقر الديوان فرض ضريبة بدل المناطق البعيدة عند مرور القوات، وضريبة النزل تفرض على الفئات المعفاة من الضرائب.

2) الضريبة النقدية، كثرت الألفاظ والمعاني بشأن الضريبة النقدية من ضرائب العوارض، فبعض المصادر ذكرت أنها تجبى من الفئات المعفاة أو البعيدة عن مرور القوات نقداً من قبل موظف مختص ويسمونه (عوارض أقجه سي)، وبعض المصادر ومنهم إحسان أوغلو في مؤلفه يذكر أن سبب فرضها لمنع الولاة من جمع أموال نفقاتهم بطرق غير مشروعة.

---

(1) ضريبة العوارض، هي ضريبة فورية تجمع للقوات ودوابهم لقاء دفاعهم عن الأهالي، للمزيد، رضا بك يلماز، ضريبة العوارض في الدولة العثمانية، أنقره، 1973، ص 120.

(2) خليل ساحلي أوغلي، الضرائب في الدولة العثمانية، استانبول، 1984م، ص 320.

أشارت المصادر إلى أن للقوات ضرائب متعددة في حالة الحرب، أما في حالة السلم، فلم يعثر في القانون على مادة تفيد أن هناك ضرائب تجمع للقوات وتسمى ضرائب (إمدادية) أو ضرائب (جهادية) (1).

يذكر إسماعيل حقي في مؤلفه أن الدولة العثمانية اختلقت ضريبة عوارض قسم منها لتغطية نفقات تحرك القوات التي تقاتل على الحدود الفارسية أو في العراق أو في اليمن، فلجأت إلى هذه الضريبة لسد الاحتياجات الخاصة للجنود، أو لتغطية عجز الميزانية، وأفاد أن هذه الضرائب لم تكن لتجمع من الفقراء الذين أرهقوا بالضرائب، وإنما تجمع من الأثرياء ما عدا كبار موظفي الدولة، وربما تجمع من التجار(2).

5- ضريبة الأملاك *Toprak vergiler* :

فرضت ضريبة الأملاك في عهد الإصلاحات، وذلك بموجب شريف همايون خطي سنة 1856م، بعد أن ألغيت الضريبة الجماعية، وتقرر جباية ضرائب أملاك الأراضي، وقسمت الولايات على أساس أملاكها وأراضيها، ووضعت ضريبة إلزامية على المباني كافة، وتقرر أن كل ملك أو أرض تدر بمعدل 0,8% وعن الأراضي بمعدل 0,4% تدفع ضريبة سنوية 3% وهناك ضريبة تمتع (رفاهية)، أما الذين يعملون في الزراعة أو في تربية الحيوانات فقد ظلت الضريبة عليهم كالمعتاد(3).

6-الضريبة الجماعية :

تزامن فرض الضريبة الجماعية مع تطبيق مبدأ المساواة بحسب الفرمان الذي أصدره السلطان عبد المجيد والمسمى كلخانه خطي سنة 1839م، لكن هذه الضريبة أثقلت كاهل الفقراء، وكثرت الشكاوي التي بلغت سلطان استانبول، فأصدر فرماناً يقضي بإلغاء هذه الضريبة عن الأهالي وإعفاء ملح البارود وتوفير الأخشاب من الضريبة الجماعية، لأنهم يقدمون للدولة نوع من البدل لحق الانتفاع

---

(1) Mehmet sert oğlu, cihad vergisi, istanbul ,1988,s 159.

(2) رضا نور، العجز النقدي في الدولة العثمانية، استانبول، 1935، ص 18.

(3) خليل ساحلي أوغلي، دفتر ذمم الملتزمين، استانبول، 1926م، ص 145.

بالمكان، لكن هذا الإجراء لم يكن كافياً لرفع الظلم عن كاهل المؤسسات الإنتاجية التي تدفع ضرائب متعددة، وجاءت الضريبة الجماعية لتزيد من معاناتهم، واضطر السلطان عبد المجيد لإلغاء هذه الضريبة واللجوء إلى الاقتراض الخارجي لسد عجز ميزانيته(1).

(1) عمر لطفي بارقان، واقع الضرائب في الدولة العثمانية، استانبول 1973م، ص147.

استنتاج الفصل الرابع :

تخبطت الدولة العثمانية كثيراً في ثلاثينات القرن السادس عشر، نتيجة للحركة غير السليمة التي خطاها السلطان سليمان القانوني، حيث أبطل دور الديوان الهمايوني الذي استطاع بنجاح أن يدير الدولة لأكثر من ثلاثة قرون.

على ما يبدو أن سنة 1324م عندما اتخذت بورصه عاصمة لدولة ناشئة، ومنذ ذاك الزمن والسلطان يترأس البلاد فعلياً وديوانه يساعده في إدارتها. وبلغت الدولة ذروة مجدها وعنفوانها وتلقب السلطان سليمان بألقاب لم يسبقه أحد إليها، ولكن المجد الذي بلغته دولته أراد السلطان سليمان دفنه، عندما عهد للصدر الأعظم إدارة البلاد.

إن إدارة الصدر الأعظم للدولة، أسفر عنها تغيرات كبيرة أبرزها أن الصدر الأعظم أصبح المرجع الأول ودواوينه هي التي تصيغ القرارات، وإن كانت تصدر باسم السلطان، فالسلطان واجهة سياسية اسمية لا دور لها إلا إذا قامت النساء بحضه على انتزاع السلطة من الصدر الأعظم.

إنها رحلة خلفها نساء لا قيمة لها، تبددها المتاعب والمشكلات، ولماذا يبذل السلطان مراد الرابع جهداً لإعادة قوة الدولة، وبعد موته يعود خلفاؤه إلى اللهو، الإدارة متعبة لا تنسجم مع متطلبات الحرملك، للحرملك دنيا مختلفة عما كانت أيام الفاتح وابنه بايزيد وحفيده سليم الأول، فيتراخى السلطان الحاكم أمام متاعب الإدارة، فيعهد خاتم القيادة والإدارة للصدر الأعظم، وتبدأ الدول الأوروبية بمراجعة الصدر الأعظم لمنحهم امتيازات، كان أكثرهم قادرون على إرضاء السلطان من خلال بناتهم القابعات في السراي، والجالسات بجمالهن حول السلطان يزفون إليه أحلى الكلام لمنح دولهم امتيازات، فيسارع ليرد إليهن البسمة بالموافقة.

بموجب القانون للصدر الأعظم مخصصاته، ومن يحظى بمنصب الوزارة له مخصصاته والدولة تبحث عن منافذ لفرض ضرائب كانت سابقاً لقواتها التي تقاتل أعدائها، أما الآن فالإنكشارية لا رغبة لها بالقتال، فلقد انصرفت إلى ممارسة اللهو والتجارة، والدولة لا تزال تلاحق الرعية تريد جمع المال، خلط النقود بمعادن بخسة لن يحل المشكلة الاقتصادية التي تواجهها الدولة، والدفتردار رئيس

الجهاز المالي أصبحت خزينته خاوية، لأن مصاريف السراي تضاعفت فلا العشر وإلا الخراج ولا الجزية ولا زيادة الضرائب على الأملاك ولا التذرع بعواقب السماء من نوازل وصواعق يمنح الخزينة ترياق بغداد، فالإفلاس تضاعف والرعية ازدادت نضوجاً، وأدركت أن الدولة تستغلهم، فلجؤوا إلى أوروبه التي تنتظر استغاثة لتقول للسلطان لا بد من الإصلاح فيستجيب السلطان محمود الثاني بالقضاء على الإنكشارية ويؤازره ابنه عبد المجيد بالتنظيمات ليبقيا الدولة بلا جيش ولا قانون، ويتركان لأوروبة مسألة تسوية نهاية لها.

الخـــاتمـــة

لقد رافق البحث الدولة العثمانية منذ اتخاذها بورصه عاصمة لها، واتخاذ قلعة بورصه كسراي للدولة، يوم قام أورخان غازي بتنظيمه على أساس مقر لدولته العسكرية، ثم انتقلت الدولة وانتقل السراي معها إلى أدرنه، وبني سراي لإدارة شؤون الدولة التي تزداد قوة إثر انتصاراتها التي حققتها على الساحة البيزنطية لينتهي الأمر سنة 1453م بسقوط القسطنطينية، ويضطر السلطان محمد الفاتح إلى بناء سراي خاص بدولته بعدما رفض السكن في السراي العتيق الذي أقيم على أنقاض كنيسة مسيحية قديمة.

افتتح الفاتح سراي الطوب قابي سنة 1478م وهيأ لعرشه وعرش خلفائه قاعدة إدارية متينة، اكتملت فيها مقومات الإدارة المركزية، وغدا السراي قبلة كل دولة راغبة بالحصول على اقتصادها من ولاياته وخاصة العربية منها.

ازداد السراي تعقيداً سنة بعد سنة، وكثرت فيه الخصيان والطواشيه والحريم المستورد من أصقاع الأرض، بعضه جاء بتوجيه دولته وبعضه الآخر خطفته الأقدار، وبعضه توصل إلى قلب السلطان الحاكم وتحكم بالعرش، حيث قدم من خلاله خدمات جلية لبلاده، وظلت الولايات العربية محرومة من رعايا هذا السراي، لأن نساءه غير مرغوبات لسلاطينه الذين تراكضوا خلف البيض من النساء، واستمر الأمر يدار من السراي حتى الثلاثينات من القرن السادس عشر، يوم تخلى السلطان سليمان القانوني عن قيادة الجيوش وإدارة البلاد وعهدهما إلى الصدر الأعظم، بينما هو غاب في دهاليز السراي لا يعرف الليل من النهار، ولا يدري ماذا يدور في بلاده وولاياته إلا ما يعلمه به صدره الأعظم وبعض خصيانه إذا وجد له من يصدقه القول لإن زوجه اليهودية سدت عليه أبواب المعرفة وجعلته أسير الغواني من كل صنف ولون.

لم يكن سليمان وحيد الغرق في دهاليز السراي، فلقد حذا حذوه خلفاؤه ممن لا هم لهم إلا التسلي والهرج والغياب عن إدارة الدولة ومتاعبها، وظل سراي الطوب قابي يتحكم بقدرات الإدارة حتى مطلع الثلاثينات من القرن التاسع عشر،

حيث قرر السلطان عبد المجيد بناء قصر دولمه بغجه (الحديقة المملؤة)، وشاركته أوروبة إكساء القصر من الداخل مقابل الخطوط الهمايونية التي تظاهر فيها بإصلاح دولته وتنظيمها مقرراً بأن هذه الدولة تخلفت عن ركب الحضارة التي قادته أوروبة منذ أكثر من عقد.

لم يحقق سلاطين الإصلاحات والتنظيمات إلا القليل من متع السراي، بسبب المشاغل التي أحاطت بالدولة بدءاً من عهد السلطان عبد العزيز الذي حاول أن يبني له سراي خاص به، لكن مدحت باشا ورفاقه أرهقوه بالمطالب الإصلاحية، وبقوة أصلح سراي چراغان، لكن الأحرار أنزلوه عن عرشه بفتوى وسجنوه في سراي چراغان إلى أن دُبر قتله، خلفه السلطان مراد الخامس فدُبِرَ له الجنون، وانتقل العرش إلى السلطان عبد الحميد الثاني رجل الشكوك، فسارع إلى بناء سراي خاص به، سماه يلدز (النجمة) وجلس خلاله يراقب الأسطول، وبث عيونه في كل مكان واحتمى بالعرب الذين أغرقوه بالألقاب لدرجة انه شعر أنه الوحيد على الأرض، لكن ساعة الجد لم يقوم بنجدته أحد، فاعتقل وأرسل إلى سلانيك ليموت فيها وحيداً سنة 1918م.

إن السرايا التي بنيت من بورصة إلى استانبول، لم تلغ ديواناً، ولم تعزل موظفاً من السراي الهمايوني، وظلت الإدارة تتحكم بإدارة البلاد، وأقر القانون ضرورة المحافظة على السلطان الحاكم باعتباره (تابو) ممنوع اللمس، وأكثر السلاطين من النساء والمحظيات فالسلطان مراد الثالث 1574–1595م تزوج بأكثر من مئة وعشرين امرأة معظمهم حوامل وكذلك من خلفه، وخصص للسلطان خزينة خاصة به وخصص للحريم السلطاني خزينة، وانبرى الأندرون والبيرون يتسابقان لخدمة السلطان الحاكم والتقرب منه أكثر، ولزيادة دلال السلطان أقر القانون إيجاد عدة أختام له، خاتم من الزمرد والخواتم الثلاثة من الذهب يحمل أحدهم الصدر الأعظم وخصص له ما يسمى بالفرمانات وكيفية حمل السيف وارتداء الملابس ووضع الطربوش وخصصت (الغرفة الخاصة) لقيافته وحسن مظهره الخارجي، وخصص للسراي ديوان آخر غير الديوان الهمايوني، ودربت

فيه عناصر سميت الأقلام الأساسية والأقلام التابعة، وأنيط بالسلطان الحاكم شيخ الإسلام وكيف يسارع لتقبيل يد السلطان وكذلك نقيب الأشراف.

لقد أفرز السلطان سليمان القانوني عصوراً تاريخية بإسناده الإدارة إلى الصدر الأعظم الذي أدار البلاد وخصص لبابه العالي دواوين مثل ديوان العصر وديوان الجمعة وديوان الأربعاء، علماً بأن قانوننامه حدد مورده ومورد من يحصل على منصب الوزارة، الذين يسمون وزراء القبه الذين يجتمعون في الديوان الهمايوني الذي كان يعقد يومياً وبحضور السلطان، لكن مكانة هذا الديوان تضاءلت بانتقال الإدارة إلى الصدر الأعظم، وتحولت مهمته إلى إقامة المراسيم والمناسبات واستقبال سفراء دول أوروبة والاحتفال باستقبال سلطان وتوديع آخر.

لم تكن الدولة التي تقاطرت الوفود إلى عتبتها الهمايونية غافلة منذ البداية عن تأمين مواردها، فهي تدرك منذ البداية حاجتها إلى الأموال أنها مهمة جداً، فأعدت نظاما محكماً، لم تترك وسيلة إلا وطرقتها إما بالاستناد إلى العرف من خلال العشر والخراج والجزية، وإما من خلال السباهية الذين ملّكتهم الأرض لربطهم بها، ولدفع الأموال إليها، وأقرت أيضاً الضرائب الجماعية وضرائب على الأملاك والعقارات أو الجهاد أو العوارض، وتمكن الكادر المالي برئاسة الدفتردار من إدارة الدولة بولاتها إدارة سليمة، ومنحته صلاحيات واسعة.

إن مسيرة الدولة بسراياها وعلمائها وقادتها العسكريين ونظامها الإداري تجسدت مؤخراً بإشراف الصدر الأعظم على مقدرات الدولة، إنها مسيرة مملؤة بالمتاعب والمشكلات، لكن ما يقدر لهذه الدولة التي سقطت على يد أحرارها تركت للأجيال كنوزاً أثرية (سراياهم ومحتوياتها) وكنوز علمية تعجز الأجيال بقرون عن قراءتها بالشكل الذي يوضح تاريخ الممالك التي كانت تابعة لها.

هكذا كانت مسيرة الدولة وسلاطينها وإدارتها التي قرئت من خلال السرايات التي بنيت على عجل أو بهدوء وترو، وحملت معها تاريخ الولاة والسفراء وأغلقت الأبواب ربما يأتي قارئ آخر يقرأ ما تبقى من تراث هذه الدولة التي دامت أكثر من ستة قرون ونصف.

إن التعقيدات التي ولّدتها الإدارة العثمانية أوقعت الباحثين بإرباك شديد نتيجة لتشابه المهام ظاهرياً وتباعدها باطنياً، وقد يتصور القارئ لتاريخ الدولة العثمانية ومؤسساتها تعدد شخصيات ومهام ومناصب ذات نسيج واحد، لكن مهامها الأساسية مختلفة.

وهناك يكمن سر قوة الدولة وتماسكها، رغم عقود الترهل والجمود.

مصادر البحث ومراجعه

أ – المخطوطات:

- العاملي، عبد الله، مجازر سلاطين آل عثمان، أصفهان رقم 157.
- ليون (كاهن)، خفايا السراي، برلين 638.
- مذكرات اليوزباشي رستم كدك أوغلو، مكتبة نور عثمانية، رقم 347.

ب – الوثائق غير المنشورة:

- آصاف يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان، ترجمة محمد زينهم محمد عزت القاهرة، 1995.
- أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول تصنيف علي أميري رقم 24.
- أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف جودت نمرة 30.
- أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول تصنيف كامل باشا.
- أرشيف رئاسة الوزراء، مالية دفتري، رقم 2475.
- أرشيف رئاسة الوزراء، طابو دفتري رقم 121.

جـ – المراجع العربية:

- بايزيد، راغب علي، التآمر ضد السلطان عبد الحميد، بغداد، 1943م.
- بيهم، محمد جميل، فلسفة التاريخ العثماني، بيروت، 1935م.
- حليم إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العليـــة، الإمـــارات العربيـــة 2003.
- اوغلو، خليل ساحلي، دفتر ذمم الملتزمين، استانبول، 1926م.
- تحليل خطي الخزينة العامرة، استانبول 1982.
- عامر محمود، الدولة العثمانية، تاريخ ووثائق، دمشق، 2001.
  - المكاييل والأوزان والنقود، دمشق، 1997.
  - الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، دمشق، 2003.
  - الماسونية ويهود الدونمه، دمشق، 2007.

- راضي، أحمد سليم، تجاوزات سلاطين بني عثمان للشريعة، بغداد، 1943م.
- سركو ماريه، الامتيازات الأجنبية وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية على سورية، دمشق 2010م.
- المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، القاهرة، 1998م.
- مجموعة مؤلفين، عصر السلطان عبد الحميد، دمشق 1965م.
- مؤنس، حسين، الجارية روكسلانه، بيروت، د ت.

هـ – المصادر العثمانية:

- أديب أفندي، تاريخ أديب، استانبول، 1294هـ.
- أيوب أفندي، عثمانلي، قانون نامه، استانبول، 1297هـ.
- جودت أحمد باشا، تاريخ جودت، استانبول، 1309هـ.
- خضر بك، لطائف اندرون، استانبول 1276م.
- بچوى، تاريخ بچوى، استانبول، 1306هـ.
- عبد الرحمن باشا، وقانع نامه، استانبول، 1297هـ.
- راضي أحمد، مختصر إسلام تاريخي، استانبول، 1305هـ.
- رشيد بك، تاريخ رشيد، استانبول، 1311هـ.
- راشد أحمد، تاريخ راشد، استانبول، 1291هـ.
- عطا بك، تاريخ الأندرون، استانبول، 1294هـ.
- فريدون بك، منشأة السلاطين، استانبول، 1294هـ.
- كوجي بك، مجموعة تشكيلات، استانبول، 1287.
- لطفي باشا، التنظيمات الخيرية، استانبول، 1316هـ.
- لطفي باشا، تاريخ لطفي، استانبول، 1305هـ.
- نعمة أديب، قانون نامه، استانبول، 1279هـ.
- نعيم أفندي، تاريخ نعيم، استانبول، 1305هـ.

س – المراجع التركية :

- أحمد رفيق، وعثمانلي بيوك تاريخي، ترجمة محمود عامر، استانبول 1980م.
- بارقان، عمر لطفي، ميزانيات الدولة العثمانية، استانبول، 1987م.
- واقع الضرائب في الدولة العثمانية، استانبول 1973م.
- بشرلي محمد، البكلكجي مهمامه ودوره، استانبول، 1973م.
- بشرلي محمد، قاضي العسكر، استانبول 1982م.
- أحمد راجي أفندي، مؤسسة شيخ الإسلام، استانبول، 1977م.
- التاي، أحمد، مكتب الأندرون ومهامه، انقره، 1957م.
- حقي، إسماعيل، عثمانلي تاريخي، انقره، 1954م.
  - دولت عثمانية سراي تشكيلاتي، أنقره، 1966.
  - مكتبة الطوب قابي، أنقره، 1967م.
  - الشؤون المالية للدولة العثمانية، أنقره، 1982م.
  - سراي دوري، أنقره، 1965م.
  - الخزينة واردها وصادرها، أنقره، 1974م.
- راضي، سليمان، القبيلة الهائمة، استانبول، 1956م.
- شرف، عبد الرحمن، باب السعادة وأهميته، استانبول، 1944م.
- كوينتح، دور شورى مجلسري، استانبول، 1982م.
- نور، رضا، عثمانلي تاريخي، استانبول، 1924م.

ص – المراجع المترجمة للعربية:

- أوغلو، أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،2ج، ترجمة صالح السعداوي، استانبول، 1999م.
- أوغلي خليل ساحلي، محمد الفاتح قانون نامه، عمان، (د.ت).
- أوزوتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية،2ج، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة محمود الإنصاري، استانبول، 1988م.

- قفلجملي، حكمت، التاريخ العثماني، رؤية مادية، تعريب: فاضل لقمان، دمشق، 1987م.

ت – الرسائل الجامعية :

- علي، إسبر، الانتفاضة في مصر وبلاد الشام، دمشق، 2008م.

ك – المراجع التركية الحديثة :

- *Ali, kemal meram, padışah analar ,Istanbul ,1997.*
- *Ahmed, deyar bekir oğlu, dolma bahçe masıLdı, Ankara, 1959.*
- *Ahmet, racı yazan, kubbe vezirLer devri, Ankara ,1939.*
- *Ali, osman, kanun name, istanbul, 1298.*
- *bekir ,kütük oğlu, vakayı nüvis, Istanbul ,1979.*
- *Halil, inalcık, reIs ük-kütab, Ankara ,1978.*
- *Halil ,ganem, Al sltane ül-osmaniye, Istanbul ,1943.*
- *Izzet, effendi, tarihi izzet, istanull .*
- *Cengiz, orhan, tercuman, istanbul ,1945.*
- *Ismaıl, hakkı, osmanlı tarihi, Ankara, 1964.*
- *Ibn, batuta, seyahat name sene, 1333.*
- *Evliya, çelebi, seyahat name, Istanbul ,1440.*
- *Mehmet, çelebi, meratü-tevarih, Istanbul, 1925.*
- *Fahri beLen 20 yüzyIL, osmanL Tarihi, istanbuL, 1974.*
- *Mahmet Zeki PakaLin deyimLeri Terimli söügü Istanbul 1964.*
- *Mustafabey, çirgan sarayında bahçesi, Ankara ,1979.*
- *Mustafa, effendi, dolma bahçe saray devri, Ankara, 1913.*
- *ỏmerlütfi, barkan, osmanlı malı nizarm, Ankara, 1979.*
- *Koç bey, teşkilat mecmuası, Istanbul ,1303.*

المـــلاحق

تتضمن الملاحق السلاطين الذين بنوا قصوراً (سرايات)، إضافة إلى السرايات التي بُنيت، كما تضمنت الملاحق مختلف أنواع الجند وتشكيلاتهم وألبستهم، وذلك لإيضاح مضمون البحث المعنون تشكيلات السراي الهمايوني غير أن البحث آثر وضع القانون الأساسي في مقدمة الملاحق لزيادة الاطلاع عليه، لأنه قرئ في قاعة التبريكات في قصر دولمه بغچه الذي بناه السلطان عبد الحميد.

ومن أبرز ما يقال عن تلك القصور أنها تتعدد في جمالياتها وزخرفتها، لكن داخل كل منها كان واحداً، أي ليس هناك خلاف جوهري من حيث الأقسام والمهام والغلمان.

وبصدور القانون الأساسي سنة 1876م بحسب المشروطية الأولى التي فرضها الأحرار العثمانيون، غدت هذه السرايا (القصور) متاحف، غير أن السلطان عبد الحميد آثر عدم تحويل تراث آبائه وأجداده إلى ذكريات متحفية، فضرب المشروطية الأولى سنة 1876م من جذورها، وعاد إلى الالتزام بالقرار الواحد والسلطان الواحد والخليفة الواحد، وحينما عزلوه سنة 1909م. أُمر السلطان محمد رشاد شقيق السلطان عبد الحميد بافتتاح مجلس المبعوثان في قاعة التبريكات في قصر دولمه بغچه، ولهذا وضع القانون الأساس كملحق في البحث للقراءة.

فضلاً عن ذلك، فإن القارئ ولاسيما طالب الدراسات العليا يستفيد منه فائدة عظمى، حيث يستطيع قراءة ثمن إبقاء الدولة العثمانية صاحبة السطوة والجاه العسكري والسياسي بلا جيش يدافع عنها عند الأزمات، ولا قانون تستند عليه أثناء الفوضى، ومن المؤسف أن هذه القصور التي هيمنت على (58) ولاية، وقبلّ عتاباتها ملوك وأمراء من قارات ثلاث، تحولت لمتاحف عامة، ناظروها قد يقرؤون تاريخ هذه القصور ويترحمون على سلاطينها الذين اتصف بعضهم بالعدالة التي أضاعها ولاة وصلوا إلى مناصبهم إما بالشراء (المال) أو بالاستناد إلى...!

ملحق رقم (1)

القانون الأساسي

طبع بنفقة
أمين الخــوري

ترجمه إلى العربية: نوفل نعمة اللّه نوفل
أعاد قراءته: أ.د. محمود عامر

طبعت في بيروت في المطبعة الأدبية

﴿تعريب الخط المنيف السلطاني﴾

﴿ وزيري سمير المعالي مدحت باشا ﴾

إن التدنيات العارضة منذ أزمان على قوة دولتنا العلية، قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيم في إدارة الأمور الداخلية أكثر مما نشأت من النوائل الخارجية ومن ميل الأسباب الكافلة أمنية التبعة من حكومتهم المتبوعة إلى الانحطاط، فلذا كان والدي الماجد المرحوم عبد المجيد خان أعلن مقدمة للإصلاحات خط التنظيمات الذي منح به عموم الرعية الأمن على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وناموسهم موافقة لأحكام الشرع الشريف المقدسة وما عشناه للآن ضمن دائرة الأمن، وما وفقنا به اليوم بوضع، وإعلان هذا القانون الأساسي الذي هو ثمرة الآراء والأفكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الأمنية، إنما هو إلا من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية فلذلك أردد خاصة في هذا اليوم المسعود اسم المرحوم المشار إليه وموفقيتِه واصفهُ بعنوان محيي الدولة ولا ريب، بأنهُ لو كان الأوان الذي تأسست فيه التنظيمات المذكورة موافقة الاستعداد زماننا هذا ولجآتهِ لكان المرحوم المشار إليه أسس إذ ذاك أحكام هذا القانون الأساسي الذي نشرناه الآن وأجراه، ولكن جناب الحق علق حصول هذه النتيجة المسعودة الكافلة بالتمام سعادة حال ملتنا وأعاقها لعهد سلطنتنا، فنقدم بناءً على هذه الدلالة لجناب الرب الكريم الحمد والشكر العظيم على أن المتغيرات التي وقعت بالطبع في أحوال داخلية دولتنا العلية، والتوسيعات التي حصلت في مناسباتها الخارجية أوصلت دم كفاءتها شكل إدارة الحكومة لدرجة البداهة، ولما كان أقصى مقاصدنا الخيرية إزالة الأسباب المانعة للآن الاستفادة الواجبة من ثروة ملكنا وملتنا الطبيعية ومن قابليتهما الفطرية، ونقدم صنوف التبعة في طرق الترقي بالتعاون والاتحاد، اقتضى لأجل الوصول إلى هذا المقصد أن تُتخذ الحكومة قاعدة سالمة ومنتظمة، وهذا أيضاً يتوقف على تأمين هذه الفوائد

وتقريرها بمعنى أن قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة وعلى منع الحركات غير المشروعة، أعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم الاستبدادي الفردي أو الأفراد القلائل لتستفيد جميع الأقوام المركبة هيأتها بأمنهم بلا استثناء من نعمة الحرّية والعدالة ذلك الحق ومنفعة الحرية بالهيئة الاجتماعية المدنية ولما كان ربط القوانين والمصالح القائمة بقاعدتي المشورة والمشروطية المشروعتين والثابت خيرهما مما تحتاج إليهِ هذه الأصول، أوعزنا في خطنا الذي أذعنا به جلوسنا عن لزوم ترتيب مجلس عمومي وحيث أن القانون الأساسي الذي اقتضى تنظيمهُ في هذا المطلب قد ترتب بالمذاكرة في الجمعية المخصوصة التي تعينت مركبة من متحيزي الوزراء وصدور العلماء ومن سائر رجال ومأموري دولتنا العلية، وجرى عليهِ التصديق في مجلس وكلائنا بعد إمعان نظر التدقيق وكانت المواد المندرجة فيهِ إنما هي متعلقة بحقوق الخلافة الإسلامية الكبرى والسلطنة العثمانية العظمى وحرّية العثمانيين ومساواتهم وصلاحية الوكلاء والمأمورين ومسئوليتهم وبما للمجلس العمومي من حق الوقوف وباستقلال الحاكم الكامل وبصحة الموازنة المالية وبالمحافظة على مركز الحقوق في إدارة الولايات واتخاذ أصول المأذونية، وكان جميع ما ذكر مطابقاً لأحكام الشرع الشريف ولاحتياج الملك والملة وقابليتهما في يومنا هذا، وكانت تخص أملنا في مطلب سعادة العامة وترقياتها مساعدة لهذا الفكر الخيري وموافقة لهُ فاستناداً عَلَى عون الله وإمداد روحانية رسول الله، قد قبلنا هذا القانون الأساسي وأرسلنا بهِ لطرفكم بعد أن صادقنا عليهِ، فبادروا لإعلانِه في جميع أنحاء الممالك العثمانية وأطرافها ليكون دستوراً للعمل إلى ما شاء الله وباشروا بإجراء أحكامهِ منذ اليوم متخذين أسرع التدابير لتنظيم ما تقرر فيهِ، وتسطر من النظامات والقوانين كما هو مطلوبنا القطعي ونسأل جناب الحق المتعالي أن يجعل مساعي المجتهدين في سعادة حال ملكنا وملتنا مظهراً للتوفيق في كل الأعمال في 7 ذي الحجة سنة 1293.

﴿ القانون الأساسي ﴾

﴿ ممالك الدولة العثمانية ﴾

(1) أن الدولة العثمانية تشمل الممالك والخطط الحاضرة والولايات الممتازة وهي كجسم واحد لا تقبل الانقسام أبداً لأية علة كانت.

(2) إن عاصمة الدولة العثمانية هي مدينة اسلامبول وهذه المدينة ليس لها أدنى امتياز عَلَى غيرها من البلاد العثمانية ولا هي معفاة من شيء.

(3) إن السلطنة السنية هي بمنزلة الخلافة الإسلامية الكبرى وهي عائدة بمقتضى الأصول القديمة إلى أكبر الأولاد من سلالة آل عثمان.

(4) إن حضرة السلطان هو حامي الدين الإسلامي بحسب الخلافة وحاكم جميع التبعة العثمانية وسلطانها.

(5) إن ذات حضرة السلطان هو مقدس وغير مسؤول.

(6) أن حقوق حرية سلالة بني عثمان وأموالهم وأملاكهم الذاتية ومخصصاتهم المالية في مدة حياتهم هي تحت الضمانة العامة.

(7) يعين الوزراء ويفصلهم ويوجه الرتب و المأمورين ويثبت رؤساء الولايات المقررة لهم بحسب الامتيازات المقررة لهم، ويصك النقود وتقام الصلاة باسمهِ في الجوامع ويعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية ويشهر الحرب ويعقد الصلح ويقود جيوش البر والبحر ويأمر بالحركات العسكرية، وينفذ الشرع الشريف، ويقرر نظامات الإدارة العامة، ويبطل أو يخفض القصاصات الجنائية، ويجمع مجلس الأمة ويختمهُ. وإذا رأى لزوماً يفض مجلس المبعوثان بشرط الشروع في تجديد انتخابهِ.

﴿ حقوق العثمانيين ﴾

(8) يسمى كل رعايا السلطنة بدون امتياز بعثمانيين، مهما كان دينهم، والجنسية العثمانية تخسر وتربح بحسب نصوص النظام.

(9) يتمتع جميع العثمانيين بالحرية الشخصية، بشرط أن لا يضروا بحرية الآخرين.

(10) أن الحرية الشخصية لا يتعدى عليها مطلقاً، ولا يقدر أحد أن يتحمل قصاصاً مهما كان لأية علة كانت إلا في الأحوال المعنية بالشرائع والنظامات والقوانين.

(11) الإسلام دين السلطنة ومع المحافظة عَلَى ذلك تصون السلطنة حرية جميع الأديان المعروفة في السلطنة، وتحافظ عَلَى الامتيازات الدينية الممنوحة إلى الطوائف المختلفة، بشرط أن لا تخل بالراحة العمومية والعادات التهذيبية.

(12) المطابع حرة بموجب الحدود المعينة بالنظام.

(13) يحق للعثمانيين أن يعقدوا شركات تجارية وصناعية وزراعية بموجب الحدود المعينة في الشرائع والنظامات والقوانين.

(14) يحق لواحد أو أكثر من العثمانيين، أن يقدموا عرضحالات إلى الحكومة التي يتعلق بها الأمر مآلها التشكي من التعدي عَلَى الشرائع والنظامات والقوانين لضررهم أو لضرر صالح العمومية، ويقدرون أيضاً أن يقيموا الدعاوى بعرضحالات ممضية، ترسل إلى مجلس الأمة، ليشتكوا من تصرفات المأمورين.

(15) التعليم حر، وكل عثماني يقدر أن يعلم تعليماً خصوصياً أو عمومياً بشرط الموافقة على النظامات.

(16) كل المدارس تحت مناظرة الدولة، وستعين الوسائل الموافقة لجعل تعليم كل العثمانيين واحداً، ولكن ذلك لا يمس التعاليم الدينية في كل طائفة.

(17) جميع العثمانيين متساوون أمام الشرائع والنظامات والقوانين، وواجباتهم وحقوقهم المتعلقة بالبلاد واحدة، بدون مس ما يتعلق بالدين.

(18) من شروط تقلد المأموريات العمومية معرفة التركية، لأمنها اللغة الرسمية.

(19) كل العثمانيين يدخلون المأموريات العمومية بحسب أهليتهم واستحقاقهم واقتدارهم.

(20) أن وضع الأموال الأميرية وتوزيعها يكون بموجب النظامات والقوانين المخصوصة بحسب اقتدار كلٍ المالي.

(21) قد ضمنت الأملاك المنقولة وغير المنقولة المرتبة الموجود ولا تؤخذ الأملاك إلا لأمور ذات نفع عام مقررة نظامياً مع دفع البدل بحسب النظام.

(22) منازل كل العثمانيين مصانة ولا تقدر الحكومة أن تدخلها جبراً إلا في الظروف المقررة في القانون.

(23) لا يلزم أحد أن يحضر أمام مجلس ما لم يكن من متعلقاته استماع الدعوى، وذلك يكون بحسب نظام المحاكمات الذي سيصير تقريره.

(24) قد منع ضبط الحكومة للأملاك والسخرة والجريمة، على أن المال الذي يجمع نظامياً في وقت الحرب والوسائل اللازمة في وقت الحرب مستثناة.

(25) لا يؤخذ مبلغ مطلباً كرسم أو مال أميري ما لم يكن موافقاً للنظام.

(26) قد منعت كل المنع التعذيبات و الإهانات.

﴿الوزراء﴾

(27) إن الحضرة الشاهانية توجه الصدارة العظمى ومشيخة الإسلام الجليلة إلى الذين تركن إليهما وتعيين سائل الوكلاء، يكون بإرادة سنية.

(28) يجتمع مجلس الوكلاء تحت رياسة الصدر الأعظم، ومن خصائص هذا المجلس، النظر في جميع الأمور المهمة الداخلية والخارجية، وما ينبغي إنفاذه بإرادة سنية ينفذ بها.

(29) كل ناظر نظارة يدير ضمن دائرة متعلقاته الأمور المتعلقة بنظارتهِ، وما هو خارج عنها يراجع بهِ الصدر الأعظم الذي يحيلها إلى مجلس

الوكلاء، ثم يقدمها إلى الأعتاب الشاهانانية أو يقررها بنفسهِ أو يقدمها إلى الحضرة الشاهانية لتنظر في إيجابها، وسيقرر نظام مخصوص لتحديد واجبات كل نظارة (وزارة).

(30) إن الوزراء مسئولون بما يفعلون.

(31) إذا شاء واحد أو أكثر من أعضاء مجلس المبعوثان أن يشتكي من ناظر لأنهُ مسئول وفي الأمور التي يحقق للمجلس أن يعرفها يرسل التشكي إلى الرئيس، فيرسله في ثلثة أيام إلى الدائرة التي يسلم إليها بسبب النظامات الداخلية البحث عن التشكيلات والحكم بوجوب طرحها أمام المجلس أولاً، وحكم الدائرة يكون بأكثرية الآراء بعد الحصول على التوضيحات اللازمة، وقيام الناظر بالتفسيرات المقتضية، فإذا حكمت الدائرة المذكورة بطرح التشكي أمام المجلس يقرأ حكمها المتعلق بذلك باجتماع عام. وبعد أن يسمح المجلس توضيحات الوزير بما دعي لأجله هو أو وكيله يقرر بأكثرية ثلثيه حكمهُ، فإذا حكم عليهِ يكتب تقرير بطلب محاكمة الوزير ويرسلهُ إلى الصدر الأعظم، فيقدمه إلى الحضرة الشاهانية لتقرره ويحيلهُ إلى المجلس العالي بموجب إرادة سنية.

(32) سيقرر نظام مخصوص لمحاكمة الوزراء.

(33) لا فرق بين الوزراء والأفراد في ما يتعلق بالدعاوى الخصوصية الخارجة عن مأمورياتهم، فيحاكمون في المجالس الاعتيادية.

(34) إذا حكم المجلس العالي بمحاكمة وزير يوقف عن مأموريته إلى أن يحكم ببراءته.

(35) إذا رفض مجلس المبعوثان نظاماً، ترى الوزارة وجوب تقريره بأمر الحضرة الشاهانية بتغيير الوزراء أو بفض المجلس بشرط تجديد انتخابهِ في المدة المعينة بالنظام.

(36) إذا حدثت أمور مهمة جداً، ومجلس الأمة غير مجتمع تقرر الوزارة الأمور اللازمة لصيانة الدولة من خطر أو لصيانة الأمنية العامة.

ويكون قرارها نفوذ النظام مؤقتاً ما لم يكن مضاداً لنصوص النظامات الأساسية وينبغي طرحه أمام مجلس الأمة عند اجتماعه.

(37) يحق لكل وزير أن يحضر اجتماعات مجلس الأعيان ومجلس المبعوثان أو أن ينوب عنهُ فيها مأمور أول من نظارتهِ، ويحق له أن يتكلم قبل جميع الأعضاء الذي طلبوا التكلم.

(38) إذا قررت أكثرية مجلس المبعوثان وجوب حضور وزير إليهِ لإعطاء توضيحات يحضر ومن واجباتهِ أن يجيب علَى السؤالات بنفسهِ أو بوكيل يكون مأموراً أول في نظارتهِ، ويحق لهُ أن يؤخر جوابهُ وإذا رأى لزوماً لتأخيره يحمل مسئولية التأخير سلطاني مظهراً حالة السلطنة الداخلية والصلات الخارجية في السنة الماضية ويظهر الأمور التي يحكم بموافقة تقريرها في السنة القابلة.

(46) يحلف جميع أعضاء مجلس الأمة بالأمانة للحضرة الشاهانية والوطن والمحافظة على النظامات الأساسية والقيام بالواجبات المسلمة إليهِ عند فتح المجلس بحضور الصدر الأعظم وبعد فتحهُ بحضور الرئيسين وفي اجتماع المجلس الذين هم منهُ.

(47) إن أعضاء مجلس الأمة أحرار في إبراز آرائهم وأفكارهم، ولا يمكن أن يربطوا بأوامر أو وعود، ولا أن يميلوا بتهديدات، ولا يمكن أن تقام عليهم الدعوى بسبب آرائهم وأفكارهم المبرزة في أثناء مفاوضات المجلس.

(48) إذا أتهم ثلثا أعضاء مجلس الأعيان والمبعوثين عضواً من مجلسهم بالخيانة أو بمحاولة التعدي على النظامات الأساسية أو بإخلال الإدارة وسلب أموال الحكومة أو وقع عليه حكم بالسجن أو بالنفي تسلب منهُ صفات الأعيان أو المبعوثان، والحكم في ذلك وإجراء القصاص متعلقان بالمجلس المختصة به الدعوى.

(49) كل عضو من أعضاء مجلس الأمة يصدر رأيهُ بنفسه، ويحق له أن يمتنع عن إصدار الرأي.

(50) لا يكون شخص واحد عضواً في المجلسين في وقت واحد.

(51) لا يمكن المفاوضة في أحد المجلسين ما لم يكن فيه نصف أعضائه مع زيادة عضو، وتقرر كل الأمور بأكثرية آراء الأعضاء الحاضرين ما عدا الأمور التي يقتضي لها أكثرية قدرها ثلثا الأعضاء، وإذا ت ساوت الآراء فالترجيح للرئيس.

(52) كل العرضحالات المتعلقة بالأمور الخصوصية المقدمة إلى أحد المجلسين إذا ظهر بالبحث عنها أن مقدمها لم يتشك في بادئ الأمر إلى المأمورين الذين يعينهم ذلك أو إلى الحكومة التي يختص بها أولئك المأمورون يصير رفضها.

(53) أن طلب تقرير نظام أو قانون أو تغييرهما متعلق بالوزارة ومجلس الأعيان والمبعوثان يجوز لهما أن يطلبا تغيير قانون أو تقرير قانون موجود وإذا كانا متعلقين بما يختص بهما وإذا طلبا يطرح الطلب بواسطة الصدر الأعظم أمام الحضرة الشاهانية ولدى الموافقة تصدر إرادة سنية إلى مجلس الشورى بأن يهيأ النظام المذكور بجمع الإفادات والتفسيرات من الدائرة التي يعنيها ذلك.

(54) فما يقرره مجلس الشورى يطرح أولاً أمام مجلس المبعوثان ثم أمام مجلس الأعيان ولا يصير ذلك نظاماً أو قانوناً إلا بعد أن يقرره المجلسان وتصدر الإرادة السنية بشأنهِ وذا رفض قانون في أحد المجلسين لا يمكن أن تجدد المفاوضة بشأنه في جلسات السنة التي رُفض فيها.

(55) لا يقرر نظام أو قانون، إذا لم يقرر بالتتابع في المجلسين بأكثرية الآراء بنداً فبنداً، ولم يقرر أجمالياً بأكثرية في المجلس.

(56) لا يسوغ لأحد أن يتداخل في أحد المجلسين، ولا أن يخابرهما بالأصالة عن نفسهِ أو بالوكالة عن قوم خلا الوزراء ومفوضيهم والمأمورين الذين يدعون دعوة مخصوصة.

(57) تجري مفاوضات المجلس بالتركيبة وموضوعات المفاوضة تطبع وتوزع قبل أن يتفاوض بها المجلس.

(58) تبرز الآراء بالتصريح بالاسم أو بعلامات ظاهرة أو بصندوقة سرية وإصدارها بالصندوقة يكون بقرار أكثرية أعضاء المجلس.

(59) إن رئيس كل مجلس يدير ضابطيتهُ الداخلية.

﴿مجلس الأعيان﴾

(60) إن الحضرة الشاهانية تعين رئيس مجلس الأعيان وأعضاءه، ولا ينبغي أن يكون عدد أعضاء هذا المجلس أكثر من ثلث مجلس المبعوثان.

(61) لا يمكن أن يصير الإنسان من مجلس الأعيان ما لم يكن قد فعل ما يجعلهُ أهلاً للأركان العام أو أن يكون قد خدم الدولة خدمة ممتازة، وأن لا يكون عمره أقل من أربعين سنة.

(62) تكون مدة عضوية الأعيان حياتهم بطولها، ويجوز أن توجه رتبة الأعيان إلى ذوات مفخمين بعد أن يكونوا تقلدوها منصب لوزارة أو الولاية أو المشيرية أو قضاء عسكر أو سفارة مطلقة أو سفارة أو بطريركية أو قائمقامية باش (رياسة الحاخامية) أو رياسة الفريق برّاً أو بحراً وبالعموم إلى أشخاص حاصلين على الصفات اللازمة، وأعضاء مجلس الأعيان الذين يتقلدون بطلبهم منصباً آخر يخسرون منصب الأعيان.

(63) أن معاش كل من أعضاء مجلس الأعيان عشرة آلاف غرش في الشهر، فالأعيان الذين يقبضون من الخزينة معاشاً أو معيناً آخر لا يقبضون إلا ما يجعل معاشهم عشرة آلاف غرش شهرياً، إذا كان ذلك المعين أقل من المبلغ المذكور، وإذا كان قدره أو أكثر لا ينقص.

(64) أن مجلس الأعيان يفحص مشروعات النظامات والقوانين والمصاريف والمداخيل التي يرسلها إليه مجلس المبعوثين، فإذا وجد في الفحص شيئاً

يخالف حقوق الذات السلطانية أو الحرية أو النظامات الأساسية أو صيانة أملاك السلطنة أو أمنية الداخلية أو صالح الدفاع عن الوطن أو العادات الجيدة يرفض ذلك قطعياً بقرارٍ يرده مع ملاحظاتهِ إلى مجلس المبعوثان طالباً تغييره وتبديلهُ بما يوافق ملاحظاتهُ، فالمشروعات القانونية التي يقررها مجلس الأعيان يعلم عليها وترسل إلى الصدر الأعظم ومجلس الأعيان يفحص العرضحالات التي تقدم إليهِ ويرسل إلى الصدر الأعظم ما يظهر له أنهُ يستحق الإرسال ويجعلهُ مرافقاً بملاحظاتهِ.

﴿ مجلس المبعوثين ﴾

(65) قد تعين عدد النواب بإقامة نائب واحد من كل خمسين ألف نفس من الذكور من الرعايا العثمانيين.

(66) يتم الانتخاب سراً وكيفية الانتخاب ستقرر في نظام مخصوص.

(67) لا يمكن الجمع بين النيابة ومنصب آخر عمومي إلا إذا كان منصب وزارة وكل مأمور آخر عمومي إذا وقع عليهِ الانتخاب ليكون في خيار من جهة قبوله أو رفضهِ أنهُ إذا قبله عليهِ أن يستعفي مأموريتهِ.

(68) لا ينتخب لمجلس المبعوثين :

أولاً: الذين ليسوا من الرعايا العثمانيين.

ثانياً: الذين بموجب نظام خصوصي جار إنفاذه يعفون من الضرائب لتعلقهم بخدمة أجنبية.

ثالثاً: الذين لا يعرفون اللغة التركية.

رابعاً: الذين لم يبلغوا الثلاثين عاماً.

خامساً: المتعلقون بخدمة إنسان مخصوص.

سادساً: المفلس الذي لم يتخلص من حالة العسر.

سابعاً: الذين يقل اعتبارهم عند الناس لسوء تصرفاتهم.

ثامناً: الذين حرموا الحقوق الشرعية العظيمة وما زال الحكم الصـــادر ضدهم نافذاً لم يبطل.

تاسعاً: الذين لا يتمتعون بالحقوق الأهلية.

عاشراً: الذين يزعمون بأنهم ليسوا من الرعية العثمانية وبعــد مضـــي السنين الأربع الأولى يصير من شروط الانتخاب لمجلس المبعوثـــان أن يقرأ النائب باللغة التركية ويكتب بها قدر الإمكان.

(69) إن انتخابات النواب العمومية تجري كل أربع سنين، ومـــدة مأموريـــة النائب تكون أربع سنين فقط إلا أنهُ يمكن تجديد انتخابهِ.

(70) إن الانتخابات العمومية تبتدئ قبل أول تشرين الثاني (نوفمبر) بأربعـــة أشهر ويلتئم المجلس في أول الشهر المذكور.

(71) كل عضو من مجلس النواب ينوب عن عموم العثمانيين لا عن الـــدائرة التي انتخبتهُ فقط.

(72) من الواجب عَلَى المنتخبين أن ينتخبوا النواب من سكان الولاية التي هم منها.

(73) عند فض المجلس بإرادة سنية يجب أن تبتدئ الانتخابات بوقت مناسب حتى يتمكن المجلس المذكور من الاجتماع ثانية بعد 6 أشهر في فضـــهِ في الأكثر.

(74) ويقام بالانتخاب للتعويض حسب النظام إذا مات العضو أو حرم حقوقهُ الشرعية أو النظامية أو غاب مدة طويلة أو خسر الصفات التي تؤهلـــه لأن يكون نائباً بسبب صدور حكم عليهِ أو قبول وظيفة وذلك في برهة يبقي العضو المبعوث قادراً على أن يقوم بواجباته ولا ينبغي أن يـــؤخر ذلك إلى ما بعد اجتماع تابع.

(75) ولا تستمر مدة المبعوث المنتخب ليقوم مقام مبعـــوث آخـــر ا لا إلـــى إجراء الانتخابات العمومية.

(76) وتدفع الخزينة لكل مبعوث 30 ألف غرش عن كل مدة اجتماعية (في السنة) ومصاريف الذهاب والإياب ويعين ذلك بموجب القـــانون الـــذي

تتعين بهِ مصاريف الطرق للمأمورين ويكون مؤسساً على معدل خمسة آلاف غرش في الشهر.

(77) إن رئيس مجلس المبعوثان ونائبهُ تنتخبهما الحضرة الشاهانية من بين 9 أشخاص يعينهم مجلس المبعوثين بأكثرية الآراء ويكون منهم 3 للرياسة و3 لنيابة الرياسة الأولى و3 للثانية ويعينون بإرادة سنية.

(78) إن اجتماعات مجلس المبعوثين مفتوحة على أنه يجوزُ لـــه أن يحـــول نفسهُ إلى عمدة سرية إذا طلب الوزراء ذلك أو الرئيس أو 15 عضـــواً وأن يقرر ذلك سراً.

(79) ولا يمكن إلقاء القبض على أحد المبعوثين في إثناء المعية ولا أن تقادم دعوى عليه ما لم يرتكب ذنباً عظيماً وذلك بقرار أكثرية المجلس التـــي تفوض إقامة الدعوى عليهِ.

(80) إن مجلس المبعوثين يتفاوض بالمشروعات النظامية والقانونية التي تقدم إليه ويقرر الأمور المتعلقة بالماليـــة أو بغيرهـــا أو يرفضـــها وكـــذلك المتعلقة بالنظامات الأساسية ويبحث بالتفصيل عن المصاريف العمومية ويعين المبالغ مع الوزراء، ويعين معهم أيضاً الأمـــوال التـــي تقابـــل المصروف مع مبالغها وكيفية توزيعها وجمعها.

﴿ القوة الشرعية النظامية ﴾

(81) إن القضاة أو الأعضاء المعينين بموجب النظام المخصـــوص المتعلـــق بتعيينهم ومعهم براءة تعيين لا يتغيرون ولكنهم يقدرون أن يستعفوا وفي النظام نفسه تتعين كيفية ترقيتهم في سلكهم وتبديلهم وتنحيهم وفصـــلهم عند صدور حكم، ويعين أيضاً الشروط والصفات التي تجعل الإنســـان أهلاً لتقلد ذلك المنصب أو غيره من المناصب الشرعية والنظامية.

(82) إن جلسات كل المجالس مفتوحة، وقد صار التفويض ينشر المضـــابط غير أنها تقدر أن تقفل أبوابها في الظروف المبينة بالنظام.

(83) إنهُ يحق لكل شخص أن يستخدم أمام المجلس الوسائط التي يسمح النظام بها في سبيل الدفاع عن نفسهِ.

(84) لا يقدر مجلس لأية علة كانت، أن يمتنع عن استماع دعوى من متعلقاتهِ، ولا يقدر أن يوقف الحكم أو يؤخره بعد الشروع بالاستحقاق والفحص، ما لم يمتنع المدعي عن ملاحقة دعواه، ولكن في المواد الجنائية تبقى الدعوى في مجراها بحسب النظام، ولو امتنع المدعي عن ملاحقة دعواه.

(85) إن كل دعوى تُرى في المجلس الذي من متعلقاتهِ أن يراها أو الدعاوي بين الأشخاص والدولة هي من متعلقات المجالس الاعتيادية.

(86) لا ينبغي أن تصير أقل مداخلة في المجالس.؟

(87) أن المواد المتعلقة بالشريعة المطهرة، ترى في المجالس الشرعية والمواد المدنية تري في المجالس البلدية.

(88) أنواع المجالس وصلاحيتها ومتعلقاتها ومرتبات الأعضاء (والقضاة) م عينة كلها في النظام.

(89) ولا ينبغي لأية علة كان إنشاء مجالس غير اعتيادية فضلاً عن المجالس الاعتيادية ولا كومسيونات للنظر في أمور مخصوصة، عَلَى أن التحكيم وتعيين موليين يسوغ بموجب النظام.

(90) ولا يسوغ لقاضٍ (عضو) أن يجمع بين مأموريته ومأمورية أخرى لها معاش من الدولة.

(91) يعين وكلاء من طرف الحكومة للقيام بالدعاوي العمومية ويوضع نظام تعيين خصايصهم وسلكهم.

﴿ المجلس العالي ﴾

(92) يتألف المجلس العالي من 30 عضواً 10 منهم من الأعيان و10 من مشيري الحكومة و10 ينتخبون من رؤساء مجلس الاستئناف النهائي

ومجلس الاستئناف وأعضائهما. ويعين الأعضاء بالقرعة ويجمع المجلس العالي عند مس الحاجة بإرادة سلطانية ويلتئم في قاعة مجلس الأعيان ويحاكم فيهِ الوزراء ورئيس مجلس الاستئناف النهائي وأعضاؤه، وجميع الذين يتهمون بالتعدي على الحضرة الشاهانية أو بالإضرار بأمنية الدولة.

(93) ينقسم المجلس العالي إلى قسمين مجلس الاستنطاقات ومجلس الحكم. ويتألف مجلس الاستنطاقات من 9 أعضاء، ينتخبون بالقرعة من أعضاء المجلس العالي ويكون ثلاثة منهم من الأعيان وثلاثة من مشيري الدولة وثلاثة من أعضاء مجلس الاستئناف النهائي أو من أعضاء مجلس الاستئناف.

(94) إذا حكم ثلثا أعضاء مجلس الاستنطاق بإرسال المستنطَق إلى مجلس الحكم، يُرسل إليهِ وأعضاء مجلس الاستنطاق لا يشتركون بالمفاوضات مع أعضاء مجلس الحكم.

(95) إن مجلس الحكم يؤلف من 21 عضواً منهم سبعة من الأعيان وسبعة من مشيري الدولة وسبعة من أعضاء مجلس الاستئناف النهائي وحكمهم بحسب القوانين النافذة، ويظن ذلك الحكم في الدعاوى التي ترسل إليهم من مجلس الاستنطاق وأحكامهم لا تستأنف ولا ترسل إلى مجلس الاستئناف النهائي.

﴿ المالية ﴾

(96) لا يرتب مال الميري لنفع الدولة ولا يوزع ولا يجمع إلا بموجب نظام.

(97) إن قائمة المصاريف والمداخيل هي القانون المتضمن تعيين مداخيل الدولة ومصاريفها فالأموال الأميرية المختصة لدولة يصير وضعها بموجب هذا النظام وكذلك توزيعها وجمعها.

(98) إن مجلس المبعوثين يفحص قانون قائمة المصاريف والمداخيل ويقرره بنداً بنداً والقوائم المعلقة فيها المتضمنة تفاصيل المداخيل والمصاريف تنقسم إلى أبواب وفصول ومواد بحسب ما يتعين بالقوانين وتقرر هذه القوائم فصلاً فصلاً.

(99) إن قانون المصاريف والمداخيل يطرح أمام مجلس المبعوثين حالاً بعد اجتماعه ليصير التمكن من إجرائهِ عند الابتداء بما يتعلق به.

(100) لا يمكن أن يصرف شيء فوق المعين في قايمة المصاريف والمداخيل إلا بموجب قانون.

(101) إذا حدثت أمور غير اعتيادية يحق للوزراء في غياب مجلس المبعوثين أن يجمعوا بإرادة سلطانية الأموال اللازمة لمصاريف غير معينة في القائمة المذكورة بشرط تحصيل قرار من مجلس المبعوثين بالتفويض بذلك في أقرب اجتماعاتهِ.

(102) تقرر المصاريف والمداخيل لسنة واحدة، ولا تكون نافذة كقانون، إلا في السنة التي قررت لأجلها على أنهُ إذا حدثت أمور غير اعتيادية وفض مجلس المبعوثان قبل تقرير المصاريف والمداخيل يجوز للوزراء بموجب إرادة سنية أن ينفذوا قايمة المصاريف والمداخيل للسنة المستقبلة إلى أن يجتمع مجلس المبعوثان بشرط أن لا يتجاوز نفاذ القايمة المذكورة مدة سنة.

(103) يتعين في القايمة النهائية المتعلقة بالدخل والمصروف مبالغ المداخيل التي يصير قبضها والمبالغ التي يصير دفعها في السنة المعينة فيها وينبغي أن تكون هيئتها وتقسيماتها موافقة لقايمة الداخل والمصروف.

(104) ينبغي أن تطرح القايمة النهائية أمام مجلس المبعوثان في 4 سنين على الأكثر بعد نهاية السنة المتعلقة بها (لتبين الحكومة لمجلس المبعوثين المبالغ التي جمعتها فعلاً وصرفتها فعلاً في سنة ماضية عين المجلس المبعوثين المبالغ التي جمعتها فعلاً وصرفتها فعلاً في سنة ماضية عين المجلس دخلها وخرجها.

(105) يعين مجلس حسابات ليفحص أعمال محاسبي المالية والحسابات السنوية التي تقدمها النظارات المختلفة. وفي كل سنة يقدم تقريراً لمجلس المبعوثين تبيناً لأعماله وملاحظاته، وفي نهاية كل ثلاثة أشهر يقدم إلى الحضرة الشاهانية بواسطة الصدر الأعظم تقريراً فيه إظهار الحالة المالية.

(106) إن مجلس الحسابات يتألف من 12 عضواً لا يتغيرون، ويعينون بإرادة سلطانية، ولا يعزل أحدهم ما لم يصادق مجلس المبعوثان على سبب طلب عزله ويصدر حكماً بذلك بأكثرية الأعضاء.

(107) سيكتب نظام مخصوص لتعيين أحوال أعضاء مجلس المحاسبات والصفات التي ينبغي أن تكون لهم وتفاصيل خصائصهم والقانون الذي ينفذ عند استعفاء بعضهم لتعيين غيرهم وترقيتهم وتنحيتهم وكذلك لتنظيم الدائرة المتعلقة بذلك المجلس.

﴿ إدارة الولايات ﴾

(108) إن إدارة الولايات تكون مؤسسة على قاعدة عدم التعلق كلياً بمركز السلطنة، وتفصيلات هذا النظام تعين نظام مخصوص.

(109) سيصير تقرير نظام مخصوص قواعده أوسع من القواعد الجارية لانتخاب مجالس الإدارة في الولايات والألوية والأقضية وانتخاب المجالس العمومية التي تجمع كل سنة في مركز كل ولاية.

(110) إن وظائف المجالس العامة في الولايات تحدد بذلك النظام المخصوص وتتضمن أما يأتي، المفاوضة بشأن الأمور النافعة العمومية وأنشأ أسباب المواصلات وإنشاء صناديق أموال الزراعة وترقية أسباب الصناعة والتجارة والزراعة ونشر المعارف العمومية، وحق توصيل التشكيلات إلى محلات الاقتضاء للانتصاف من حوادث أو أعمال

مضادة للنظامات والقوانين ومن توزيع الأموال الأميرية أو جمعهـــا أو غير ذلك.

(111) يكون في كل قضا مجلس متعلق بطايفة من الطوايف الموجود فيهِ مـــن خصوصياته أولاً إدارة مداخيل العقارات أموال الأوقاف التـــي تعـــين صرفها بوصفة الواقف أو بالعادة. ثانياً إدارة الأملاك والأموال المقررة بالوصية للحسابات، ثالثاً إدارة أموال الأيتام بحسب النظام المخصوص المتعلق بذلك، ويتألف كل مجلس من هذه المجالس من أعضاء تنتخبهم الطائفة التي ينوبون عنها بحسب النظام المخصوص الذي يقرر بهـــذا الشأن، وهذه المجالس تتعلق بالحكومة المحلية وبالمجالس العامـــة فـــي الولايات.

(112) إن الأمور البلدية تدار في الأستانة العلية والولايـــات بمجـــالس بلديـــة منتخبة وسيصير تقرير نظام مخصوص لتنظيم المجالس البلدية وتبـــين خصوصياتها وكيفية أعضائها.

﴿ مجلس المبعوثين ﴾

(113) إذا نُقرت حوادث أو حركات من شأنها أن تنذر بوقوع خلل في جهة من السلطنة يحق للحكومة السنية أن تضعها تحت حكومة عســـكرية ويتم ذلك بإلغاء النظامات المدنية إلغـــاءً مؤقتـــاً أمـــا طريقـــة إدارة الأماكن التي توضع تحت الحصر فتقـــرر فـــي نظـــام خصوصـــي والحضرة الشاهانية سلطان في طرد الذين يتحقق أنهـــم مخدشـــون لأمنية السلطنة السنية من الأراضي العثمانية وذلك بعـــد أن تجـــري إدارة الضابطة استعلامات يركن إليها.

(114) إن التعليم الابتدائي يُجعل إجبارياً على كل من العثمانيين، أما طريقة إجراء هذه المادة فستقرر في نظام مخصوص.

(115) لا يجوز إبطال أو توقيف شيء من مآل هذا النظام لأية حجة كانت.

(116) يمكن عند وقوع الضرورة أن يتغير بعض مآل النظام ويكون ذلك التغيير عَلَى الشروط الآتية كل قضية تعرض بصدد تغيير من الوزارة أو من كلا المجلسين يجب أن تعرض أولاً على مجلس المبعوثين ليبحث عنها فإذا تقررت القضية المذكورة بأكثرية هي ثلثا أعضاء المجلس المذكور يصير عرضها على مجلس الأعيان فإذا صادق مجلس الأعيان بالأكثرية نفسها عَلَى القضيةِ المذكورة تعرض حينئذٍ على الحضرة الشاهانية فإذا صادقت عليها بإرادة سنية يصير لها قوة النظام وكل بند من بنود النظام يتقدم بشأنهِ قضية تؤذن بالتغيير يبقى نافذاً أو جارياً على حاله إلى أن تعرض القضية على المجلسين ويصادق عليها بإرادة سنية.

(117) إن تفسير النظامات والقوانين متعلق بمجلس استئناف الأمور المدنية والجنائية ومجلس الشورى يفسر النظامات والقوانين الإدارية ومجلس الأعيان يفسر النظامات الأساسية.

(118) إن كل الشرايع والنظامات والعادات الجارية تبقى نافذة ما لم تتغير أو تبدل بنظامات أو قوانين أخرى.

(119) إن القوانين المؤقتة المؤرخة في 10 شوال سنة 1293 الموافق 16 و 28 تشرين الأول (أكتوبر) سنة 876 المتعلقة بمجلس الأعيان والمبعوثين تبطل عند فض الاجتماعات الأولى.

ملاحظة :

صدر هذا القانون في المشروطية الأولى، عندما تعهد السلطان عبد الحميد الثاني الحكم بموجب الدستور، غير أن السلطان عبد الحميد الثاني، ألغى الدستور ومجلس المبعوثان، وحكم البلاد على طريقته، من هنا ولدت الحركات القومية التركية.

﴿ **انتهى** ﴾

ملحق رقم 2
صور السلاطين
الدولــة العـثمــانيــة
(الذين بنوا قصوراً)

الغازي أورخان
1359 –1326



٢

السلطان أورخان غازي
(١٣٢٦ - ١٣٥٩)

والده: الغازي عثمان

والدته: مال خاتون (بيزنطية)

ولادته: 1281

وفاته: 1360 حزناً على ولده

سلطنته: 1326– 1359

(33 سنة)

حدود دولته: 95000 كم^2

السلطان محمد الفاتح
1481 –1451



٧

السلطان محمد الفاتح
(١٤٨١ - ١٤٥١)

والده: مراد الثاني

والدته: خومه خاتون (صربية)

ولادته: 29 آذار 1432

وفاته: 3 أيار 1481 (تسمم)

سلطنته: 1451– 1481 (31 سنة)

حدود دولته: 2214000 كم^2

السلطان عبد المجيد

1839- 1861



٣١

السلطان عبد المجيد
(١٨٣٩ - ١٨٦١)

والده: محمود الثاني

والدته: السلطانة بزمي عالم (يهودية روسية)

ولادته: 25 نيسان 1823

وفاته: 25 حزيران 1861 (داء السل)

سلطنته: 1839- 1861 (22 سنة)

السلطان عبد العزيز

1861- 1875



٣٢

السلطان عبد العزيز
(١٨٦١ - ١٨٧٥)

والده: محمود الثاني

والدته: بسمية برستو هانم (قبطية مصرية)

ولادته: 8 شباط 1830

وفاته: 4 حزيران 1876 (انتحار)

سلطنته: 1861- 1875 (15 سنة)



السلطان عبد الحميد الثاني
(١٨٧٦ - ١٩٠٩)

السلطان عبد الحميد الثاني

1876– 1909

والده: عبد المجيد

والدته: تيريمجان (أرمينية)

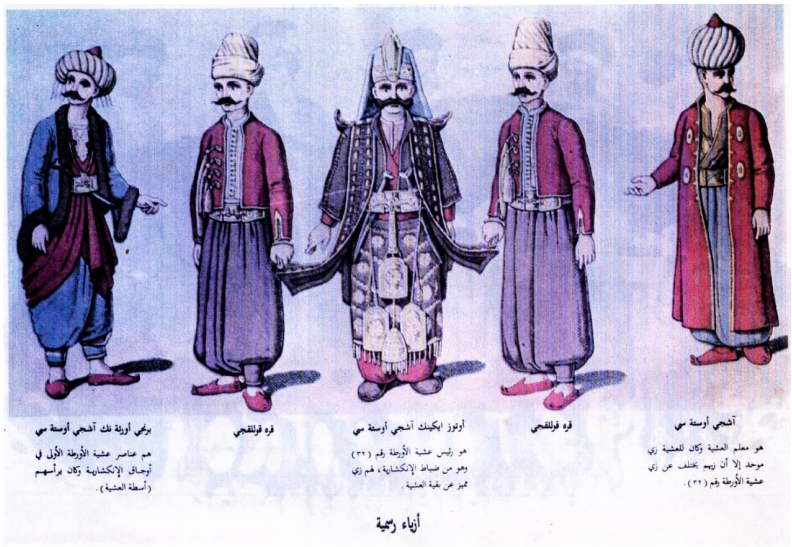
ولادته: 21 ايلول 1842

وفاته: 10 شباط 1918(سكتة قلبية)

سلطنته: 31 آب 1876– 27 نيسان 1909 (33 سنة)

ملحق رقم (3)

نماذج من الإنكشارية وشاراتهم



آشجي أوسنة سي
هو معلم العشية وكان للعشية زي موحد إلا أن زيهم يختلف عن زي عشية الأورطة رقم (٣١).

قره قولقجي

أونوز ايكبيك آشجي أوسنة سي
هو رئيس عشية الأورطة رقم (٣١) وهو من ضباط الإنكشارية، فهم زي مميز عن بقية العشية.

قره قولقجي

برغي أورنة تلك آشجي أوسنة سي
هم عناصر عشية الأورطة الأولى في أوجاق الإنكشارية وكان برأسهم (أسطة العشية).

أزياء رسمية



أورتة سقاس
سقاء الأورطة.

قره قولقجي
خادم القرقولقجي.

باش قره قولقجي
رئيس القرقولقجية.



أثناء قادة احدى وحدات الانكشارية (الاوطة)



أزياء مختلفة للرأس والصدر

ملحق رقم (4)

سراي الطوبقابي



بناه السلطان محمد الفاتح سنة 1465م

مساحته 700.000متر مربع

صور لسراي الطوبقابي













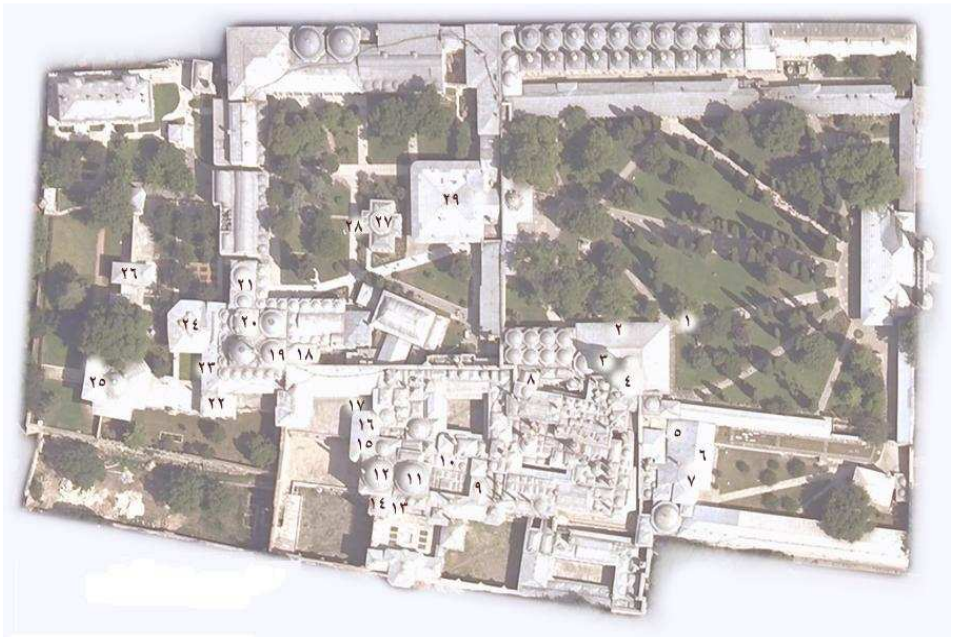



المسافر



ملحق رقم (5)

سراي دولمة بغچة



\



بناه السلطان عبد المجيد بوشر العمل به سنة 1843

صورلسراي دولمة بغچه






قصر دولما باشا -استنبول
الحمام الامبراطوري


قصر دولما باشا -استنبول
القاعة اليابانية


قصر دولما باشا -استنبول
القاعة الوردية


قصر دولما باشا -استنبول
غرفة السفرة 1


قصر دولما باشا -استنبول
باحة القصر


قصر دولما باشا -استنبول
شرفة

ملحق رقم(6)

سراي يلدز

ويليه

سراي چراغان

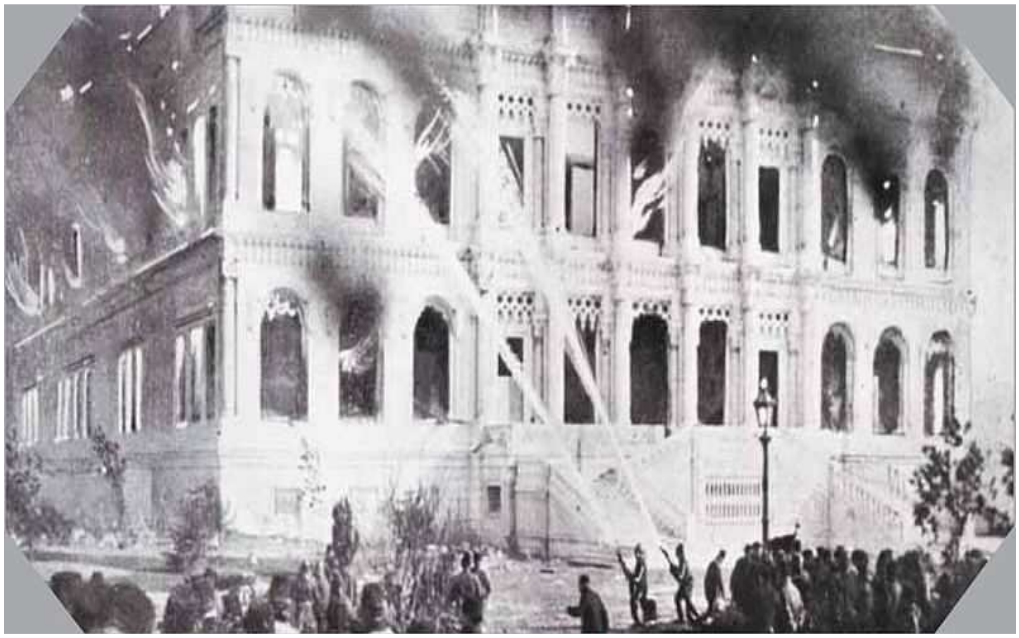




بناه السلطان عبد العزيز

بوشر العمل به سنة 1863م

صور لسراي جراغان





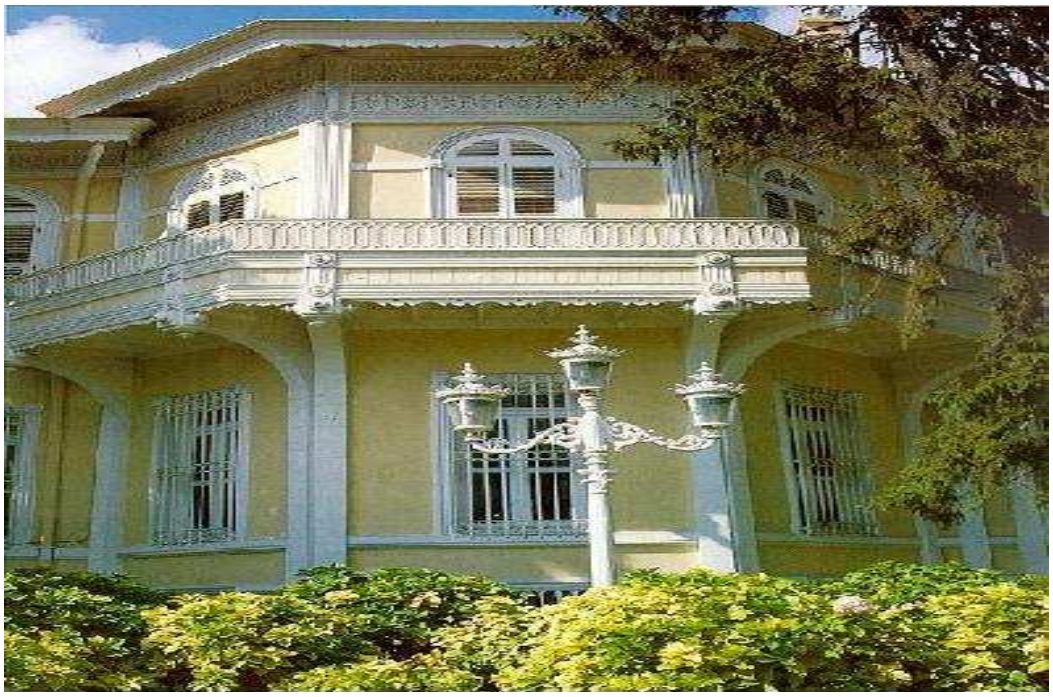
سراي يلدز



بناه السلطان عبد الحميد الثاني

بوشر العمل به سنة 1877م

صور لسراي يلدز















ملحق رقم (7)
سراي جرغان





القاعة الرسمية

الفهرس

الموضوعات	رقم الصفحة
المقدمة	3
تمهيد تاريخي	11
الفصل الأول، سراي السلاطين العثمانيين	25
1-سراي سلاطين النشأة والتوسع 1324-1413.	32
أ- سراي بورصه.	34
ب-سراي أدرنه.	36
2-سراي سلاطين الاستيلاء والفتوحات 1413-1595م.	39
أ. السراي العتيق.	40
ب. سراي الطوب قابي.	41
ج. غلطة سراي.	44
د. سراي ميدان الخيل.	46
3-سراي سلاطين الترهل والجمود 1595-1676م.	47
أ- سراي استاورز.	48
4-سراي سلاطين النهوض والتجدد 1828-1908م.	49
أ. سراي دولمه بغچه	50
ب. سراي چراغان	52
ج. سراي يلدز	53
استنتاج الفصل الأول	57
الفصل الثاني: السراي الهمايوني أقسامه ونظامه	59
1-أقسام السراي الهمايوني	60
أ. باب همايون	61
ب. باب السعادة	62
ج. باب المابين	67
2-نظام السراي الهمايوني	69
أ. نظام السراي العامرة	72
ب. نظام الطوب قابي	76
ج. نظام دائرة الحرملك	76
1-الحاشية السلطانية	78
أ. دائرة السلطانة الوالدة	78
ب. دائرة خزنة دار أوسطه	79

ج. الدائرة الأولى	79
د. دوائر باش قادين	79
ه. دوائر باش إقبال	79
و. دوائر قيزيده	79
ز. دوائر قادين أفندي	80
ح. دوائر السلطانات	80
2-زوجات السلاطين	80
الأميرات بنات السلاطين	82
3-مهام الأندرون	84
1- غرفة العرض.	85
2- الغرفة الكبيرة والصغيرة	85
3- الخزينة الهمايونية	86
4- الخزينة المالية	86
5- الخزينة السلطانية	87
6- غرفة الأمانات المقدسة	87
4-مهام البيرون	88
أ. طبقة العلماء	88
ب. طبقة الأمراء	88
ج. آغوات الركاب الهمايوني	88
5-الخدمات المتفرقة	88
6-حواشي السلطان	89
أ. الحاشية الداخلية	90
و-شهر آمين	92
أ-المطبخ العامرة	92
ب. الحاشية الخارجية	93
ج-الحاشية الوسطى	97
استنتاج الفصل الثاني	101
الفصل الثالث: المراسيم والفرمانات السلطانية	103
1-المراسيم:	104
أ. جلوس السلطان	105
ب. سيف السلطان	107

ج. أختام السلطان	108
د. قيافة السلطان وطربوشه	108
2-مظاهر السلطنة وسماتها	109
3-الفرمانات السلطانية	112
أ. الفرمان	112
ب. الطغراء	114
ج. الحكم	116
د. البيورلدي	117
ه. الألقاب	118
4-ديوان السراي الهمايوني	118
أ. أيام انعقاد الديوان	124
ب. مكان انعقاد الديوان	125
ج. أعضاء الديوان	125
1- رئيس الكتاب	127
2- الأقلام الأساسية	129
3- الأقلام التابعة	131
4- مجالس الشورى	132
5-الهيئة العلمية	133
أ. قضاة عسكر	134
ب. شيخ الإسلام	135
ج. نقيب الأشراف	137
-استنتاج الفصل الثالث	139
الفصل الرابع : النظام الإداري والمالي والضرائبي	141
1-الجهاز الإداري	142
أ- جهاز الباب العالي	143
1- ديوان العصر	145
2- ديوان الجمعة	146
3- ديوان الأربعاء	146
ب-موارد الصدر الأعظم	147
ج – موارد الوزير	148

2-النظام المالي	149
أ. مهام النظام المالي	149
ب. الدفتردار	151
ج. الخزائن المالية	153
3-نظام الملكانة	160
4-النظام الضرائبي	161
أ. الضرائب الشرعية .	161
1- ضريبة العشر	161
2- ضريبة الخراج	163
3- الجزية	163
ب. ضرائب السباهية أو ضرائب المسلمين	164
1- ضرائب المسلمين	164
2- ضرائب غير المسلمين	166
3- ضرائب متنوعة	166
4- ضرائب العوارض	167
1- ضريبة الأملاك	167
2- الضريبة الجماعية	169
-استنتاج الفصل الرابع	171
خاتمة البحث	173
مصادر البحث ومراجعه	177
المـــلاحق	182
ملحق رقم (1) القانون الأساسي	201
ملحق رقم (2) صورالسلاطين الذين بنوا قصوراً.....	205
ملحق رقم (3) الإنكشارية	207
ملحق رقم (4) سراي طوبقابي	207
ملحق رقم (5) سراي دولمه بغچه	2012
ملحق رقم (6) سراي يلدز	212
ملحق رقم (7) سراي چراغال	218
الفهرس	225